جامعة آل البيت
كلية الشريعة
قسم أصول الدين

رسالة الماجستير
بعنوان

منهج النبي – صلى الله عليه وسلم- في الدعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء

" دراسة تحليلية "

Method of the prophet in preaching through messages to the kings and princes

إعداد

الطالبة: ليندا نعيم أبو سيف
الرقم الجامعي:٠٦٢٠١٠٥٠٠٩

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد علي الزغول

العام الدراسي ٢٠١١ – ٢٠١٢

منهج النبي – صلى الله عليه وسلم- في الدعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء

" دراسة تحليلية "

Method of the prophet in preaching through messages to the kings and princes

إعداد
الطالبة: ليندا نعيم أبو سيف
الرقم الجامعي:٠٦٢٠١٠٥٠٠٩

إشراف
الأستاذ الدكتور محمد علي الزغول

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١- أ.د. محمد علي الزغول	مشرفا ورئيسا	....
٢- د. بكر بني ارشيد	عضوا	....
٣- د. بهجت الحباشنة	عضوا	....
٤- د. يوسف الزيوت	عضوا	....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين في كلية الشريعة في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢،الموافق ٢٠١١/١١/٢١ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}

سورة العنكبوت، الآية ٤٦

وقال تعالى:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}

سورة آل عمران، الآية ١٥٩

الشكر والتقدير

هذا، والشكر والحمد لله الكريم الحكيم الذي أسبغ علي النعم الظاهرة والباطنة، ووفقني وحده لمعالجة هذا الموضوع، وهو أهل الثناء والمجد.

وفي مقامي هذا أمتثل حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: « لا يشكر الله من لا يشكر الناسَ »(١).

فأشكر أستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة، فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد الزغول، عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية بكلية الغزالي في جامعة آل البيت، الذي بذل الكثير من وقته وراحته، ولم يبخل علي بالرأي والمشورة والتوجيهات القيمة لرفع مستوى هذه الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة، وكل ذلك كان بأسلوب العلماء الربانيين، وأدب وخلق حسن، وصبر وتحمل، فقد أفادني كثيرا، فجزاه الله خيرا، وأجزل له الثواب، إنه قريب مجيب الدعوات. كما أشكر كل من أعانني على كتابة هذا البحث من أهلي وفي المقدمة رفيق دربي، وشريك حياتي، زوجي الكريم، الذي لم يبخل علي بوقت، أو توجيه، أو إعانة نافعة لإتمام هذا البحث، وإخراجه، فله خاص شكري وتقديري، وأسأل الله العلي القدير ان يجعل ذلك كله في ميزان حسناته يوم أن يلقاه.

كما أشكر الأساتذة الأفاضل: الدكتور بهجت الحباشنة / ، والدكتوربكر بني ارشيد / ،والدكتوريوسف الزيوت، على تفضلهم بقبول عضوية مناقشة الرسالة وإعطاء الكثير من وقتهما وراحتهما لقراءة الرسالة، فجزاهما الله خيرا.

ولا يفوتني أن أشكر كل من أسهم في إخراج هذا البحث ونقده، ورتق فتقه، وسد ثغراته، وكل من قدم إلي نصحا، أوأسدى إلي رأياً، أو أعارني كتابا أفدت منه في هذه الرسالة، ومن خصني بدعوة صالحة، فكل هؤلاء أهل للشكر والتقدير، والله أسأل أن يجعل جميع أعمالنا خالصة له، وأن يوفقنا جيمعا لما يحب ويرضى.

---

(١) أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ٤ / ٢٥٥ رقم(٤٨١١)واللفظ له وإسناده صحيح، والترمذي بنحوه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٤ / ٣٣٩ رقم(١٩٥٤)وقال:هذا حديث صحيح، وأحمد ٢ / ٢٩٥، ٥ / ٢١١،وانظر : صحيح أبي داود للشيخ الألباني ٣ / ٩١٣ ، وصحيح الترمذي للألباني ٢ / ١٨٥ .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا محمد بـــن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

وهذا جهدي المتواضع أقدمه بين يدي أساتذتي ومشايخي النبلاء؛ أطمع في أن ينال حظه من التوجيه والإرشاد، سائلةً المولى جل وعلا أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم.

محتويات البحث

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثاني

رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى الدولة الفارسية ولواحقها

الفصل الثالث

ضوابط ومنطلقات الدعوة من خلال رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى الملوك والأمراء

ملخص الرسالة باللغة العربية

منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء

"دراسة تحليلية "

تتناول هذه الدراسة (منهج الني صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء)، وقد قسمت الباحثة هذه الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

أما **المقدمة** فقد تحدثت فيها الباحثة عن أهمية الدعوة وأن مسيرتها لا تنجح إلا بالسير على بصيرة، ولهذا تناولت منهج الدعوة وأساليبها من خلال تحليل رسائل النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك،و بينت قواعد الدعوة النبوية الكريمة وأساليبها الحكيمة، التي ينبغي للدعاة السير على ضوئها في الدعوة إلى الله تعالى .

وتناولت فيها أيضا نظريات الرسالة من إشكالية البحث، وأسباب اختياره، وأهمية الموضوع وأهدافه، ومنهجية البحث، وكذلك الجهود السابقة المتصلة بالموضوع .

وفي **الفصل التمهيدي** قامت الباحثة بتعريف كل من المنهج والدعوة وإظهار معناهما في اللغة والاصطلاح، ثم قامت بالتفريق بين المنهج والشرعة للتقارب بينهما، ولأنهما قد ذكرتا مجتمعتين في القرآن الكريم. ولكي تكتمل الصورة ويتضح معنى الدعوة وقفت على استعمال هذا اللفظ في سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

وفي **الفصل الأول** تناولت الباحثة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ملوك وأمراء الدولة الرومية ولواحقها، وفيه بينت عناية الرسول– صلوات الله وسلامه عليه– بتبليغ الدعوة، وقد استعمل الرسول في سبيل تحقيق هذا الهدف الدعوة بالكلمة المقولة والكلمة المكتوبة، تحقيقا لعالمية الإسلام، وبناء على هذه العالمية أرسل –صلى الله عليه وسلم– رسائله إلى ملوك عصره وأمراء عهده. فتناولت الباحثة رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى

الملوك والرؤساء وقامت بتحليلها ، وبهذه الرسائل تجاهل الرسول – صلى الله عليه وسلم – تماما التوسعات الاستعمارية التى كان يقوم بها الروم والفرس ضد بعض المناطق العربية وكتب – صلوات الله وسلامه عليه – لولاة هذه المناطق مباشرة، فكتب لوالى الروم على دمشق والمقوقس في مصر، وكتب إلى باذان وإلى الفرس على اليمن، وتعتبر هذه الخطوة رائعة ذات مغزى عظيم فى الدلالة على عظمة الدعوة. وبينت الباحثة طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في صياغة الكتب فكانت بمنتهى الحكمة والبراعة فالرسول فيها سمح يدعو ولا يهدد، يخاطب الملوك والرؤساء بألقابهم ويعترف بمكانتهم ويقرر أن سلطانهم في ظل الإسلام باق لهم، وكان – عليه الصلاة والسلام – يخاطب كل ملك حسب ظروفه، فإن كان من أهل الكتاب أشار إلى ما بين الأديان السماوية من روابط، وإذا كان من غيرهم أشار إلى التزام البشرية بالعودة إلى الله وترك عبادة ما سواه. هذا وقد اختير المبعوثون بحيث يعرف كل منهم لغة من سيرسل إليه. وامتدت فترة إرسال الرسل في ما بين الحديبية ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد أدت الرسائل كلها مهمتها خير أداء. فأصبحت الدولة الإسلامية لها مكانتها وقوتها وفرضت وجودها على الخريطة الدولية لذلك الزمان.

وفي **الفصل الثاني** عرضت الباحثة رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – الموجهة إلى الملوك والأمراء في الدولة الفارسية ولواحقها ،وكيف كانت ردود الفعل المختلفة تجاه تلك الرسائل والدعوة إلى توحيد الباري – جل وعلا– ثم قامت بتحليل كل منها على حده.
وبينت الباحثة مدى موثوقية رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى أولئك الملوك.

وفي **الفصل الثالث** تناولت الباحثة ضوابط ومنطلقات الدعوة من خلال رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى الملوك والأمراء،وكيف سلك النبي صلى الله عليه وسلم سبل الدعوة بالحكمة والوعظة الحسنة ثم المجادلة بالحسنى .وبينت الباحثة بعد ذلك الوصف العام لرسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء، وأنه(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يشرع كتبه بالبسملة وتقديم اسمه الشريف في أول كتابه تعظيما للنبوة وترفيعا لمقام الرسالة، وكان غيره من الملوك يبدأ رسالته اليه باسمه المبارك إجلالا وإعظاما للرسالة وأداء لحق النبوة السامية .كماتظهر جليا في تلك الكتب بلاغته (صلى الله عليه وآله) و تجنبه (صلى الله عليه وآله) عن الإسهاب الممل والإيجاز المخل. بينت الباحثة الفوارق الدقيقة في رسائل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للملوك وأنها كانت مؤسسة على حكمة الدعوة، فروعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، فعلى ملوك العالم والعالم البشري

أن يتعلموا لسانه المقدس، ولغته السامية لغة القرآن المجيد، تثبيتا لهذا المرمى العظيم والغرض العالي في الدعوة .

فهذا ملخص لمباحث الرسالة، حاولت فيه أن أعطي صورة إجمالية لهذا الموضوع، وقد أنهيت هذه الرسالة بخاتمة أودعت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج .

وأسأل الله تعالى أن يوفقنا في القول والعمل وأن يعصمنا من الخطأ والزلل

****

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أمابعد؛ فإن الله جل وعلا خلق الثقلين ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وليشكروه ولايكفـروه، ولما كانت سائر العبادات لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الرسل، وإنزال الكتب لبيان ما خلق من أجله الجن والإنس، امتن سبحانه بإرسال رسله وإنزال كتبه وختمهم بكتابه العزيز، فبلـغ عليـه الصلاة والسلام أتم البلاغ ما أرسل به، ولم يكتم نبينا محمد من العلم شيئا عن أمته ناشرا دعوتـه لكل الناس، وتم الدين، واكتمل، والتحق عليه الصلاة والسلام بربه قرير العين مطمـئن الـنفس، مستشهدا أصحابه في أعظم اجتماع لهم في حجة الوداع: (ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم، فيقـول: اللهم فاشهد)، ولم تتوقف الدعوة بموته عليه الصلاة والسلام، بل بلغت ما بلـغ الليـل والنهـار، ومازال هم الدعوة والقيام بها ديدن أهلها والمشتغلين بها؛ لعلمهم بفضلها، وخيرها، وثمارها كمـا قال النبي: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[(١)].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَـهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا" [(٢)]

ولأن مسيرةَ الدعوة لا تنجح إلا بالسير في الدعوة على بصيرة، رغبت الباحثة أن تكتب في موضوع منهج الدعوة، وأساليبها من خلال تحليل رسائل النبي – صلى الله عليه وسـلم – إلـى الملوك، عسى أن تنال بذلك أجرا، وأن تسهم في خدمتها وخدمة أهلها حسب علمها وجهدها، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) صحيح مسلم، ح ٢٤٠٦ ، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ــ بيروت

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٦٧٤ كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لا يخفى على الدارسين والدارسات للعلم الشرعي ما لحياة النبي صلى الله عليه وسلم من أهمية كبرى في نفوس المسلمين عامةً والدعاة منهم خاصة. ومصدر هذه الأهمية يكمن في أنّ أقواله وتوجيهاته، وحي وصدق ونور، فينبغي للدعاة أن يفيدوا منها في حياتهم في كل مكان وزمان إلى يوم الدين.

ويدور هذا البحث حول رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء. ومن يتأمل فيها يجدها حافلةً بصنوف الدروس الدعوية، والفوائد العلمية التي تلزم معشر الدعاة.
ويتضح من تلك التوجيهات الكريمة الصبر على الدعوة، والثبات عليها، وانتقاء أفضل الوسائل والأساليب في الدعوة إلى الله.

وإن مما من الله به علي، هذه الدراسة العلمية التي أحتسب أجرها وبركتها ونفعها في الحياة وبعد الممات، والتي اخترت موضوع البحث فيها ورغبت أن أقف على مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، التي تخدم الدعوة، وتسهم في إقبال الناس على الهداية والرشاد.

وتنبثق أهمية كتابة هذا البحث من الحاجة عند أهل الدعوة للإسهام في بيان قواعد الدعوة النبوية الكريمة وأساليبها الحكيمة، التي ينبغي للدعاة السير على ضوئها في الدعوة إلى الله.

وقد بيّن القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلى الله – عز وجل – وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم – بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فقال: { **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** }[١].

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

ومن تتبع سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله – عز وجل– ، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم – صلى الله عليه وسلم – الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، فعن أنس – رضي الله عنه – قال: « كان أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي. . . » (٢)

وهذا يُثبتُ أن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأمور الأساسية في الدين، حيث كانت نهجا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– " صاحب الدعوة " في حياته كلها، كما يؤكد قيمة الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة من خلال مجيئها يحملها جبريل وهو روح القدس، في طست من ذهب، وهو أغلى المعادن، في مكة المكرمة، وهي البقعة المباركة، ليمتلئ بها صدر محمد رسول – صلى الله عليه وسلم – وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم وهو أطهر الماء وأفضله.

كل هذا يؤكد أن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم وشأنها كبير، وقد قال تعالى: " **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** " (٣).

---

(١) إناء كبير مستدير . انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١ / ٤٦٠ ، والمعجم الوسيط مادة (الطسْت) ٢/ ٥٥٧ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ١ / ٤٥٨ ،رقم(٣٤٩) المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.دار طوق النجاة. الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ. ومسلم ، واللفظ له ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى السماوات وفرض الصلوات ، ١/ ١٤٨ برقم(١٦٢).

(٣) فصلت:٣٣

ثم سار أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على طريقه وهديه في الدعوة إلـــى الله تعالى، فانتشر الإسلام في عهدهم – رضي الله عنهم – انتشارًا عظيمًا، ودخل في الإســـلام خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وجاء التابعون، وكملوا السير على هذا الطريق في الدعوة إلى الله، وهكذا سارت القرون الثلاثة المفضلة ومن بعدهم من أهل العلم والإيمـــان، فـــأظهر الله الإسلام وأهله، وأذلّ الشرك وأهله وأعوانه.

وإن الخوض في منهج النبي في دعوة الملوك والأمراء تجعل الداعيـــة إلـــى الله يتأمـــل ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يُؤتَون من قبلها، والقدر الذي يبين لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفـــوس لهـــا، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع والتشويق في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، ويدعو إلـــى الله بالعلم لا بالجهل، ويبدأ بالمهم فالذي يليه، وتجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحـــريص علـــى سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدعوة إلى الله بالحكمة التي هي الطريـــق الوحيد للنجاح.

والمهم أن تكون أقوال الداعية إلى الله تعالى وأفعاله وتدبيراته وأفكاره نابعة من إيمانـــه العميق وثقته بنجاح هذه الدعوة بتأييده من الله تعالى.

وهذا يؤكد أن دراسة الدعوة إلى الله تعالى من أهم المهمات، ومن أعظم القربات، وأنهـــا بحاجة إلى من يبرزها في صورة ميسرة؛ ليستفيد منها الدعاة في دعوتهم إلى الله – عز وجل–؛ ليقدموا للناس الإسلام بالطرق السليمة التي توصله إليهم بيسر وسهولة، وهذا يحتاج إلى معرفة أحوال المدعوين، سواء كانت اعتقادية أو نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ثـــم معرفـــة الشـــبه لديهم؛ لإزالتها بالطرق المناسبة لأحوالهم، وهذا كله يحتاج إلى دراسة علميـــة دقيقـــة متكاملـــة متأنية، ولا سيما أن هذا الموضوع لم يتناوله أحد من الباحثين في دراسة مستقلة شاملة تستوعب جميع جوانبه المختلفة.

وكذلك مما يجعل لهذا البحث أهمية أيضاً بذل الجهد في جمع المادة العلميـــة وتوثيقهـــا، وتحليلها، ودراستها دراسة دعوية للتعرف على طريقة التعامل النبوي فـــي مختلـــف المواقـــف، والوقائع، خطيبا، ومعلماً، و واعظًا، ومربيا، ومعاشرا إلى غير ذلك من المواقف التـــي بـــرزت وظهرت في رسائله إلى الملوك ومضامينها العظيمة.

ولهذه الأهمية، وهذه الأسباب، وللعديد من غيرها، وحُبّا في خدمة هذا الموضوع عقــدت العزم، واستعنت بالله، وقررت بعد الاستخارة والاستشارة أن أجعل موضوع رســالتي "مــنهج النبي في الدعوة إلى الله تعالى من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء".

والله أسأل أن يلهمني رشدي، ويعيذني من شر نفسي، ويوفقني للهدى والسداد، وجميــع المسلمين.

الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات السابقة لهذا الموضوع فحاصل ما اطلعت عليه منها ما يأتي:

- محمد حميد الله . في كتابه مجموعة الوثائق السياسية.

وقد حاول جمع الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة وتوثيقها، ولم يتعرض في كتابه لتحليل تلك الرسائل وبيان منهج النبي في الدعوة إلى الله تعالى.

- مكاتيب الرسول . للشيخ علي الأحمدي الميانجي .

وقد قام بتحليل الكثير من الرسائل، ثم ذكر تعليقاته عليها، وأحكام الفقه الإِسلامي، ولم يتعرض في كتابه إلى شيء من جوانب الخطة التي وضعتها.

وما كتبه ابن القيم – رحمه الله تعالى – حول الدعوة في كتابه : " زاد المعاد "، فقد اقتصر على تحليل بعض الرسائل، ولم يتعرض – رحمه اللّه – إلى بيان مدى موثوقية الرسائل ولم يبين منهجية النبي في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن موضوع كتابه لم يختص بإبراز هذا الموضوع الذي كنت بصدده.

ولم تحظ الرسائل النبوية إلى الملوك والأمراء وتحليلها لبيان منهج النبي في الدعوة إلى اللّه تعالى –بعد– بمؤلَّف مستقل شامل يتطرق للموضوع من جميع جوانبه في دراسة علمية متخصصة شاملة، دقيقة متكاملة.

منهجي في البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستنباطي التحليلي، الذي يقوم على جمع المادة ومحاولة استقرائها، ثم تحليلها، ودراستها، واستخلاص أبرز جوانب فقهها ودروسها الدعوية.

واتجهت إلى المصادر الأصلية لتزودني بروايات صحيحة موثقة لرسائل النبي – صلوات الله عليه – إلى الملوك والأمراء كالصحيحين، وكتب السنن، ومسند أحمد بن حنبل، وموطأ الإمام مالك.

أما المراجع المعاصرة، فقد استفدت منها في الاستنباط والمناقشة، وقمت بتوثيق النقولات من مظانها، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بعزو الحديث إليهما، وإن كانت في غيرهما من كتب الحديث قمت بتخريجها قدر الإمكان..

كما استخدمت منهج الاستدلال؛ لأني احتجت إلى الاستدلال العقلي الذي ينبني على قواعد التأمل والتفكر في الوصول إلى الحقائق، واستخدمت هذا المنهج كثيرًا في الرسالة.

وقد راعيت الأمور التالية:

- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وذكرت اسم السورة ورقم الآية منها.
- خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية.
- حاولت الاقتصار على الأحاديث الصحيحة أو الحسنة.
- حرصت على جمع المعلومات من المصادر الأصلية مباشرة، ورجعت إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلا، مع الاستفادة من المراجع الحديثة.
- قمت بعد ذلك بالرجوع إلى كتب الشروح، وقرأت شروح الأحاديث من عدة كتب ثم بدأت بالكتابة والتعليق على كل حديث بأسلوبي، مع استخلاص الفقه والدروس الدعوية من تلك الأحاديث.
- اجتهدت في توضيح معاني الكلمات الغريبة، من كتب المعاجم والغريب، فإن لم أجد ذهبت إلى كتب اللغة، كلسان العرب، والقاموس المحيط ونحوهما.
- بينت في الحاشية بعض الكلمات التي أرى أنها في حاجة إلى البيان.
- حرصت على رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني، اتباعا لرسم المصحف الشريف.

- قد أقحم كلمة أو كلمتين في ثنايا النصوص المنقولة وهي قليلة إذا دعت الحاجة لذلك، لــربط السياق بعضه ببعض، فأعبر عن ذلك في الهامش بقولي: انظر.
- قمت بتكرار بعض النصوص والمعلومات ،حتى يتسنى للقارىء ربط المعلومــات بعضــها ببعض فيكون متسلسل الفكار .
- قمت بعمل الفهارس المساعدة للاستفادة من البحث.
- عملت فهارس تفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديــث النبويــة الشريفة،والمصــادر والمراجع.

ولا أدَّعي الكمال، فالكمال من صفات اللّه تعالى، والنقص والتقصير واختلاف وجهــات النظر من صفات الإنسان، ولكني قد بذلت قصارى جهدي؛ ليخرج هذا البحث المتواضع علــى الوجه المطلوب، فما كان من صواب وسداد فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومــن الشيطان، والله بريء منه ورسوله – صلى الله عليه وسلم– ، وأستغفر الله من ذنبي كله: هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، إنه سميع مجيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

إن أمتع الأوقات وأنفسها تلك التي تقضى في طلب العلم، ومعرفة ما ينبغي فعله مما لاينبغي، وما يجب مما لا يجب، وما يجوز و ما يحرم فعله، وكلٌ ذلك لا يتأتى لطالب العلم إلا بمدارسة العلم، ومعايشته، والوقوف على هدي الكتاب والسنة في تلك المسائل العظيمة. وقد شرفني الله تبارك وتعالى بسلوك هذا الطريق الشريف الجليل، وبضاعتي فيه مزجاة، راجية أن أستزيد وأستفيد وأفيد، سائلة الله العلي القدير السداد في كتابة بحث أخدم به مكتبة العلم الدعوي، حباً فيها ورغبة في معرفة فقهها على الوجه الذي لا غلو فيه ولا شطط، والله خير معين وعليه أتوكل وبه أستعين.

ولما في هذا الموضوع من أهمية، اخترت لبحثي العنوان التالي: منهج النبي في الدعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء.

والعيش مع حديثه عليه الصلاة والسلام، وسيرته، وسنته يطيب؛ لأن فيها الهدى والنور، والوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكلامه الثابت الصحيح وحي كما قال تعالى: " **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** "(١)

---

(١) النجم: ٣-٤

موضوعات البحث

جاءت الرسالة مكونة من ثلاثة فصول، اندرج تحت كل فصل عدد من المباحث على النحو الآتي:

المقدمة:

وتشتمل على :

١ -أهمية الموضوع وسبب الاختيار.

٢ -الدراسات السابقة.

٣ -مشكلة البحث وحدوده ومنهجه.

- **الفصل التمهيدي: وفيه التحديد المفاهيمي لمصطلحات البحث.**

المبحث الأول: التعريف بالمنهج والشرعة والفرق بينهما.

المطلب الأول: معنى المنهج لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: الفرق بين الشرعة والمنهاج.

المبحث الثاني: معاني الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الأول: الدعوة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: الدعوة في السياق القرآني.

- **الفصل الأول: دعوة ملوك وأمراء الدولة الرومية ولواحقها .**

المبحث الأول: رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى النجاشي ملك الحبشة وتحليلها.

المطلب الأول: قصة هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة وما جرى فيها من أحداث.

المطلب الثاني: تزويج النبي – صلى الله عليه وسلم – بأم حبيبة.

المطلب الثالث: إسلام عمرو بن العاص وما ظهر له على لسان النجاشي وغيره من آثار صدق الرسول في الرسالة.

المطلب الرابع: لقاء جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه– بالنجاشي ملك الحبشة.

المطلب الخامس: اختلاف الباحثين في النجاشي.

المطلب السادس: كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى النجاشي الأول.

المطلب السابع: حوار عمرو بن أمية الضمري مع النجاشي الأول ملك الحبشة.

المطلب الثامن: كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى النجاشي الثاني.

- **الفصل الثالث: ضوابط ومنطلقات الدعوة من خلال رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى الملوك والأمراء.**

المبحث الأول: الوصف العام لرسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء.

المبحث الثاني: التوجيه الإلهي للأساليب الحكيمة في الدعوة.

المطلب الأول: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: الدعوة الى الله تعالى بالموعظة الحسنة.

المطلب الثالث: الدعوة الى الله تعالى بالجدال بالتي هي أحسن.

- **الخاتمة:**

وتشتمل على :

- ملخص البحث.
- أهم النتائج.
- التوصيات.

- **الفهارس:**

١- فهرس المراجع والمصادر .

٢- فهرس الموضوعات .

الفصل التمهيدي

التحديد المفاهيمي لمصطلحات البحث

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: التعريف بالمنهج والشرعة والفرق بينهما.

المبحث الثاني: معاني الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثالث : الدعوة في السياق القرآني.

الفصل التمهيدي:

التحديد المفاهيمي لمصطلحات البحث

قبل الوقوف على هذه المنهجية يحسن بنا أن نبدأ بتعريف كل من المنهج والدعوة وإظهار معناهما في اللغة والاصطلاح، وذلك في مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول:

التعريف بالمنهج والشرعة والفرق بينهما

قبل الدخول في منهجية الدعوة في القرآن الكريم يلزمنا أولا أن نبدأ بتعريف المنهج وإظهار معناه لغة واصطلاحا، ثم التفريق بينه وبين الشرعة للتقارب بينهما، ولأنهما قد ذكرتا مجتمعتين في القرآن الكريم.

المطلب الأول: معنى المنهج لغة واصطلاحا

أ. معنى المنهج لغة

تتنوع التعريفات اللغوية وتتعدد حول المعنى اللغوي للمنهج، ومن تلك التعريفات اللغوية ما يلي: قال صاحب معجم مقاييس اللغة: النهج، الطّريق. ونهج لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المنهاج. والمنهج: الطريق أيضا، والجمع المناهج.(١)

وقال الراغب الأصفهاني، نهج: النهج الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج: وضح(٢)، قال تعالى: **(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)**(٣) فاستعير المنهج للطريق في الدين كما استعيرت الشريعة لها.(٤)

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.ج٥ص٣٦١

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. المفردات في غريب القرآن. مكتبة نزار مصطفى الباز.دط .كتاب النون ص٥٠٦

(٣) المائدة: ٤٨

(٤) أبو هلال العسكري . معجم الفروق اللغوية. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم. الطبعة: الأولى . ج١ص٢٠٤

قالوا نهج الأمر وأنهج: اتضح، ومنه نهج الثوب وأنهج: أي بان فيه أثر البلى[١].
وكذا في لسان العرب فإن من أوضح معاني المنهج "هو الطريق الواضح المستقيم"[٢] .

ويرى أبو البقاء الكفوي أن النهج: هو الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال.[٣]
ويلاحظ العلماء من خلال التعاريف السابقة أن المنهج عند أهل اللغة يدور حول معان ثلاثة، وهي: الطريق، والوضوح، والبيان. وعلى هذا يمكن تعريف المنهج لغة بأنه: الطريق الواضح البيّن .

ب.معنى المنهج اصطلاحا

إن تعريف المنهج في الاصطلاح لا يبتعد كثيرا عن معناه اللغوي، ومع اختلاف عبارات الباحثين في معنى المنهج إلا أنها متقاربة في دلالتها، ومن هذه التعريفات :

أ. "هو طريق كسب المعرفة، أو هو علم التفكير" [٤]

ب. "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة " [٥]

ج. "الطريقة أو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسة مشكلته والوصول إلى حلول لها أو إلى بعض النتائج " [٦]

د." خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة ما [٧]".

ومن هذا يتبين أن هذه التعريفات لا تخرج في مدلولها عن أن المنهج: هو الخطة أو القواعد التي يتبعها الباحث في دراسته.

---

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. تحقيق محمد باسل عيون السود.دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط١ فصل النون والهاء٢٢٤ج٤

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى. دار صادر – بيروت . ج٢/ ص٣٨٣

(٣) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي. الكليات. مؤسسة الرسالة. ط٢. كتاب النون. ص٩١٣

(٤) عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"مقدمة في المنهج، جامعة القرويين: المغرب ص١٣

(٥) الذهبي: محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ج١ ص١٤٨ (١٣٩٦.١٩٧٦ م)

(٦) العيسوي : عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية ، ١٩٩٦ م / ١٩٩٧ م ، ص ١٣

(٧) مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤ ص ٢٩٣ . وانظر سعيد إسماعيل علي : مشكلة المنهج في دراسة التربية الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨

المطلب الثاني: الفرق بين الشرعة والمنهاج

الشريعة والشرعة معناهما في اللغة مورد الناس للاستقاء، سمي بذلك لوضوحه وظهوره. قال تعالى: " **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** "(١) وقال تعالى: " **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا** "(٢) وهذا واضح مما ذكره أصحاب المعاجم، حيث قالوا بأن الشرع هو: نهج الطريق الواضح، يقال: شرعتُ له طريقا، والشرع مصدر. ثم جعل اسما للطريق النهج، فقيل له: شرع وشريعة واستعير ذلك للطريقة الإلهية، كما قال تعالى : " **شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** "(٣) فذلك إشارة إلى أمرين:

أحدهما: ما سخر الله تعالى عليه كل إنسان من طريق يتحراه مما يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد،وذلك المشار إليه بقوله:" **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**"(٤).

الثاني: ما قيض له من الدين وأمره به ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ودل عليه قوله: " **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا** "(٥) قال ابن عباس: الشرعة ما ورد به القرآن، والمنهاج ما ورد به السنة، وقوله: " **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ** "(٦) فإشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها الملل فلا يصح عليها النسخ كمعرفة الله تعالى ونحو ذلك من نحو مادل عليه قوله: " **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** "(٧) قال بعضهم: سميت الشريعة شريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روى وتطهر، كما قال بعض الحكماء: كنت أشرب فلا أروى فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب.(٨)

---

(١) [المائدة ٤٨]
(٢) [الجاثية/١٨]
(٣) [المائدة ٤٨]
(٤) [الزخرف/٣٢]
(٥) [الجاثية/١٨]
(٦) [الشورى/ ١٣]
(٧) [النساء/١٣٦].

(٨) الاصفهانى. المفردات في غريب القران . كتاب الشين ج١ص٣٤٠ ،الحلبي .عمدة الحفاظ ج٢ص٢٦٢

وقد غلب استعمال هذه الألفاظ في الدين وأحكامه، وهذا ظاهر من أقوال العلماء في قول الله تعالى: " **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا** "(١) وقوله تعالى: " **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** "(٢) قيل في تفسيره: الشِّرْعةُ الدِّين والمِنهاجُ الطريقُ، وقيل الشرعة والمنهاج جميعاً الطريق، والطريقُ ههنا الدِّين. ولكن اللفظ كما يرى ابن منظور إذا اختلف أتى به بألفاظ يؤَكِّدُ بها القِصة(٣). على أنه جاء في كليات الكوفي أن: شِرْعةً معناها ابتِداءُ الطريق والمِنهاجُ الطريق الواضح المستقيم(٤).

وعن ابن عباس: شرعة ومنهاجاً سَبيلاً وسُنَّة، وعن قتادة: شرعة ومنهاجاً الدِّين واحد والشريعة مختلفة. وقال الفراء في قوله تعالى: " **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ** "(٥)على دين ومِلَّة ومنهاج وكلٌّ ذلك يقال وقال: على شريعة: على مِثال ومَذْهبٍ (٦). قال الأزهري: معنى شَرَعَ بَيَّنَ وأوضَح. والشِّرْعةُ العادةُ.(٧)

ومما تقدم يتبين لنا أن هناك صلة وثيقة بين معنى المنهج والشرعة، فكلاهما يدل على الطريق الواضح. ففي قوله تعالى: " ثم جعلناك على شريعة "وقوله: " **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** "دلت كلمة شرعة وشريعة على الطريق الربانية. وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: الشّريعة، وهي مورد الشَّاربة الماء. واشتُقّ من ذلك الشِّرْعة في الدِّين، والشَّريعة"(٨) وسميت الشريعة شريعة تشبيها بشريعة الماء أيضا لوضوحها، ولأن من يردها روي وتطهر من درن جسده. وكذلك الشريعة الإلهية من يردها رويت روحه وتطهر قلبه من كل درن.

---

(١) [الجاثية ١٨].

(٢) [المائدة ٤٨]

(٣) ابن منظور . لسان العرب ج٨ ص ١٧٥

(٤) الكفوي .الكليات ص٥٢٤ ،لسان العرب ج٨ص ١٧٥.

(٥) [الجاثية/١٨].

(٦) الفراء،معاني القرآن ج٤ص١٦٤

(٧) لسان العرب ج٨ ص ١٧٥
(٨) معجم مقاييس اللغة.ج٣ص٢٦

المبحث الثاني:

معاني الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية

قبل الدخول في منهجية الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يلزمنا أولا أن نبدأ بتعريف الدعوة وإظهار معناها لغة واصطلاحا

المطلب الأول: الدعوة في اللغة والاصطلاح

الدعوة في اللغة

إن للدعوة في اللغة معان عدة، منها إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، والدعوة إلى الطعام، والنداء[١]، والحثّ على قصد الشيء وهناك معان أخرى، منها التمني[٢]، والطلب، والزعم.[٣] ويظهر لنا أن هذه المعاني كلها تدور حول معنى الحث فالداعية يحثّ المدعوين على الفكرة التي يريدها،والدِّين الذي يدعو إليه.[٤]والنداء مناداتهم لاتباع أمرأو دين ما والإمالة كذلك.

التعريف الاصطلاحي للدعوة:

لا نكاد نجد عند المتقدمين تعريفات للدعوة، وربما يكون هذا من باب أن الواضح لا يوضح، أو أنه لم يكن قد ظهر كمصطلح يحتاج الباحثون إلى تحديد مفهومه، ومع ذلك يمكن أن نقف عليه من معرض كلامهم ومفهومه.

ومن ذلك قول ابن تيمية: " الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله بتصديقهم في ما أخبروا به وطاعتهم في ما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه".[٥]

---

(١) انظر: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. (ج٢ / ص٢٢١) دار ومكتبة الهلال- تحقيق: د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي
(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٣٨ / ٥١)

(٣) انظر: لسان العرب (١٤/٢٥٧)
(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس – (٣٨ / ٤٧) (٥) ابن تيمية. الفتاوى الكبرى ج١٥.ص١٥٨. مطابع الرياض

وهذا التعريف مفرط في الإطالة مفصل للجزئيات كما أنه لا يخلو من التكرار، وهو من جهة أخرى غير جامع لأنه لم يشر إلى المخاطبين بالدعوة ولا إلى أسلوب وأدوات الدعوة حيث اكتفى بذكر مقصد الدعوة. والذي يبدو لي أنه لم يكن يقصد تعريف الدعوة وإنما أشار إلى مقدماتها ومعطياتها .

وقد عرّف الدعوة كثير من الكتّاب والدعاة المعاصرين نقتصر منها على التعاريف التالية: قال أحمد غلوش: "هي العلم الذي تعرف به المحاولات الفنية الهادفة إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق".[١] يلاحظ أن هناك فرق بين تعريف المتقدمين والمتأخرين للدعوة.وعرَّفها الأستاذ أبو المجد نوفل بقوله: " إن الدعوة هي قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة " [٢] .

ويلاحظ أن هذا التعريف استعاض عن المحاولات الفنية الهادفة بعبارة "من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد..."، وكأن هذا التعريف ألصق بمفهوم الدعوة الإسلامية من السابق .

ومنهم من عرفها بقوله: حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل.[٣]

وقال آخرون: " إن الدعوة إلى الله هي قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعًا في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر الرسول– صلى الله عليه وسلم– ، والتأسِّي به قولا وعملا وسلوكًا " [٤] .

---

(١) الدكتور أحمد غلوش.الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها ص١٠.دار الكتاب المصري.القاهرة ١٩٨٧م
(٢) أبو المجد نوفل، الدعوة إلى الله، خصائصها، مقوماتها، مناهجها ، ص١٨
(٣) الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح.منهج الدعوة الإسلامية من القرآ ن الكريم والسنة النبوية ص٢٩ . مجلة الأزهر. جمادى الأولى ١٤١٩ه (٤) محمد بن سيدي بن الحبيب، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، دار الوفاء، جدة، (ط ١ / ١٤٠٦ هـ). ص ٢٧

وخلاصة القول: فإن معاني الدعوة إلى الله تعالى تدور حول معرفة الدين وتبصير الناس به وحثهم على اتباعه بالمعروف، تحقيقا لقوله تعالى: { **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** }(١). وهذا مستقى من المعاني التي وردت في قوله تعالى: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**)(٢) ومن وصيته – صلى الله عليه وسلم– لعلي ومعاذ عندما أرسلهما إلى اليمن بقوله: (يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفِّرا)(٣).

هذا ولا يجد الباحث حرجا في اعتبار كلام الصحابي الجليل ربعي ابن عامر وحذيفة بن محصن – رضي الله عنهما – لرستم قائد الفرس في معركة القادسية خلاصة لمعنى الدعوة حين قالا له جوابا على سؤال رستم ما الذي جاء بكم؟ فقال: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه، فمن قبله منا؛ قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه، ومن أبى؛ قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر)(٤).

وكل هذا يشير إلى اتساع مفهوم الدعوة إلى الله تعالى ليشمل ما ذكره الباحثون في هذا المجال وكل ما في معناه.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨

(٢) النحل: ١٢٥

(٣) صحيح البخاري. باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه. حديث رقم: ٢٨٧٣

(٤) علوي بن عبدالقادر السَّقَّاف. تخريج أحاديث وآثاركتاب "في ظلال القرآن" لسيد قطب – رحمه الله– ج١ ص١٤٢.حديث رقم ٤٠٤الطبعة الثالثة

المبحث الثالث :

الدعوة في السياق القرآني

ولكي تكتمل الصورة ويتضح معنى الدعوة لا بد من الوقوف على استعمال هذا اللفظ في سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة

أولا: الاستعمال القرآني للفظ "الدعوة "

وردت كلمة الدعوة في القرآن الكريم في أكثر من موضع وبمعان مختلفة، منها:

١. الرَّغْبَةُ إلى الله عز وجل[١] في ما عنْدَه مِن الخيْرِ والابْتِهال إليه بالسُّؤَالِ[٢]؛ ومنه قوله تعالى: { **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** }[٣].

٢. حث الناس وسوقهم إلى تَوْحيد الله تعالى وما يُقَرِّبُ منه، فالنبيُّ – صلى الله عليه وسلم– داعي اللَّه؛ وهي مِن قوْلِه تعالى: { **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا** }[٤]. وقوله تعالى (**وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**) معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقَرب منه [٥] وقال الله عز وجل مخبراً عن الجن الذين استَمعوا القرآن وولّوْا إلى قومهم منذرين: " **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ** ". [٦]

٣. الادعاء: التَّمنِّي؛ وبه فسر قَوله تعالى: { ولهم مايدعون }[٧]، حكاية عن أهل الجنة أن ما يتمنوه يأتيهم[٨].

---

(١) انظر: لسان العرب (١٤ / ٢٥٧)

(٢) انظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض ، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مجموعة من المحققين/ دار الهداية ص٣٨ / ٤٦.

(٣) الأعراف:٥٥

(٤) الأحزاب: ٤٦

(٥) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس – (٣٨ / ٤٧)

(٦) سورة الأحقاف، الآية : ٣١ .

(٧) يس: ٥٧

(٨) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٣٨ / ٥١)

٤. والدعاء: العبادة والاستغاثة، ومِنه قوله تعالى: " **وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** "[١] قال أبو إسحق: يقول ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة مثله، وقال الفراء: وادعوا شهداءكم من دون الله يقول آلِهَتَكم، يقول اسْتَغِيثوا بهم. وهو كقولك للرجل: إذا لقيت العدوّ خاليا فادع المسلمين ومعناه استغث بالمسلمين، فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة[٢].

٥. النداء: في قوله عز و جل: **(تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى)**[٣] يقَال: ليس هو كالدعاء ولكن دعوتها إياهم: ما تفعل بهم من الأفاعيل يعني نار جهنم.[٤] وقول – الله عز وجل – : " **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** "[٥] دار السلام هي الجنة والسلام هو الله ويجوز أن تكون الجنة دار السلام أي دار السلامة والبقاء ودعاء الله خلقَه إليها كما يدعو الرجل الناس إلى مدعاة أي إلى مأدبة يتخذها وطعام يدعو الناس إليه.[٦]

٦. الطلب والسؤال: في قوله عز وجل: " **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا** "[٧] قال سل لنا ربك.[٨] ويطلق الداعي على المؤذن أيضا، لأنَّه يدعو إلى ما يقَرب من اللَّه [٩] والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع، ورجل داعيةٌ إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أُدخلت الهاء فيه للمبالغة. والنبي – صلى الله عليه وسلم – داعي الأُمة إلى توحيد الله وطاعته[١٠]. ودعوة الحق: شهادة أن لا إله إلا الله.[١١]

---

(١) البقرة: ٢٣
(٢) انظر: لسان العرب (١٤ / ٢٥٧)
(٣) المعارج ١٧
(٤) انظر: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين . (ج٢ / ص٢٢١) دار ومكتبة الهلال- تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي
(٥) يونس: ٢٥
(٦) انظر: لسان العرب (١٤ / ٢٥٧)
(٧) البقرة:٦٩
(٨) انظر: لسان العرب (٢٥٧/١٤)
(٩) تاج العروس من جواهر القاموس – (٣٨ / ٥٠)
(١٠) لسان العرب (١٤ / ٢٥٧)
(١١) تاج العروس من جواهر القاموس – (٣٨ / ٥٠)

ثانيا: الدعوة في السنة النبوية الشريفة

عند الرجوع إلى السنة النبوية نجد لفظ "الدعوة" ورد ليدل على معان عدة ومنها:

١. النداء والتسمية: وفي حدِيثِ عُمَر: (كان يقَدم الناس على سابقتهم في أعطياتهم، فإذا انتهت الدعوة إليه كبر) أي النداء والتسميةُ وأن يقال دونك أمير المؤْمنين. [١]

وفي الحديث أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن شاء طعم وإن شاء ترك.[٢]

٢. الدعاء: وفي حديث عرفة "أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفات لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[٣]. وإنما سمي التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لأنه بمنزلته في استيجاب ثواب الله وجزائه.[٤]

٣. دعوة الحق: وفي كتابه – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل (أدعوك بدعاية الإسلام)[٥] أي بدعوته وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة وفي رواية (بدعاية الإسلام) وهو مصدر بمعنى الدعوة.[٦]

---

(١) انظر: لسان العرب (٢٥٧/١٤)

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. صحيح مسلم. حديث رقم٣٥٩١ . دار الجيل، بيروت + دار الأفاق الجديدة ــ بيروت.

(٣) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي. سنن البيهقي الكبرى. حديث رقم ٩٢٥٨ ج٥ص١١٥ مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ – ١٩٩٤تحقيق : محمد عبد القادر عطا

(٤) انظر : لسان العرب (٢٥٧/١٤)

(٥) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري .الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. حديث رقم٧ج١ المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة .الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ

(٦) انظر: لسان العرب (٢٥٧/١٤)

٤. التسمية والنداء: وفي الحديث "ما بال دعوى الجاهلية ؟" [١] هوقولهم يا لفلان كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر الحادث الشديد ومنه حديث زيد بن أرقَم (فقال قوم: يا للأنصار وقال قوم: يا للمهاجرين فقال عليه السلام: دعوها فإنها منتنة). [٢]

٥. الأذان، وهو دعوة الحق: وفي الحديث: الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة. [٣] أراد بالدعوة الأذان جعله فيهم تفضيلا لمؤذنه بلال. [٤]

٦. الاضطرار: ويقال ما الذي دعاك إلى هذا الأمر؟ أي ما الذي جرك إليه واضطرك؟ وفي الحديث: لو دعيت إلى ما دعي إليه يوسف – عليه السلام – لأجبت. يريد حين دعي للخروج من الحبس فلم يخرج وقال :"ارجع إلى ربك فاسأله"، يصفه – صلى الله عليه وسلم– بالصبر والثبات أي لو كنت مكانه لخرجت ولم ألبث. وهذا من جنس تواضعه–عليه الصلاة والسلام [٥].

ومن مجموع ما تقدم من الآيات والأحاديث النبوية نلحظ أن هناك صلة وثيقة بين مدلول لفظ الدعوة في اللغة، وبين مدلوله في ما اصطلح عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، ففي كلا منهما استعمل للدلالة على الطلب والحث على أمر معين، وإمالة الناس إليه وترغيبهم فيه.

---

(١) البخاري .حديث رقم ٤٩٠٥ بَاب قَوْلُهُ تعالى {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}

(٢) انظر: لسان العرب (٢٥٧/١٤)

(٣) أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. حديث رقم ١٧٦٥٤ .تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون.مؤسسة الرسالة.ط الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٤) انظر: لسان العرب (٢٥٧/١٤)

(٥) عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري. تأويل مختلف الحديث ج١ص٩٨. دار الجيل – بيروت، ١٣٩٣– ١٩٧٢تحقيق: محمد زهري النجار

الفصل الأول

دعوة ملوك وأمراء الدولة الرومية ولواحقها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى النجاشي ملك الحبشة وتحليلها.

المبحث الثاني: رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وتحليلها.

المبحث الثالث: رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى هرقل عظيم الروم.

المبحث الرابع: رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى المقوقس ملك مصر وتحليلها.

الفصل الأول:

دعوة ملوك وأمراء الدولة الرومية ولواحقها

عني الرسول- صلوات الله وسلامه عليه- عناية كبيرة بتبليغ الدعوة، وقد استعمل الرسول في سبيل تحقيق هذا الهدف الدعوة بالكلمة المنطوقة والكلمة المكتوبة والأسوة الحسنة.

وفى الأسوة الحسنة كان الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – نموذجا رائعا لكل صفات الخير، ويقول القرآن الكريم عنه: { **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** }(١). وتقول السيدة عائشة –رضى الله عنها- : (كان خلقه القرآن)(٢).

وبمراجعة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد فيها أسمى طريق للخلق الحسن فى كل شيء.

وعني الرسول – صلى الله عليه وسلم – بتربية الحكام والقضاة و الولاة كما عني أعظم عناية بالتربية الاجتماعية.

وإذا نظرنا إلى الكلمة المكتوبة: نجد رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والرؤساء يدعوهم للإسلام تحقيقا لعالمية الإسلام كما جاء فى قوله تعالى: { **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** }(٣)، ثم توالت الآيات فى السور المكية تؤكد عالمية الإسلام كقوله تعالى: { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** }(٤)، كما جاءت فى معنى عالمية الإسلام آيات فى سورة الأنبياء والأعراف وإبراهيم وبناء على هذه العالمية أرسل –صلى الله عليه وسلم- رسائله إلى ملوك عصره وأمراء عهده، وبهذه الرسائل تجاهل الرسول – صلى الله عليه وسلم – تماما التوسعات الاستعمارية التى كان يقوم بها الروم والفرس ضد بعض المناطق العربية وكتب – صلوات الله وسلامه عليه – لولاة هذه المناطق مباشرة فكتب لوالي الروم على دمشق والمقوقس في مصر، وكتب إلى باذان والي الفرس على اليمن، وتعتبر هذه الخطوة رائعة ذات مغزى عظيم فى الدلالة على عظمة الدعوة.

---

(١) الأحزاب:٢١

(٢) أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني،مسند الإمام أحمد بن حنبل،مؤسسة قرطبة – القاهرة ،حديث رقم٢٤٦٤٥ج٦ ص٩١

(٣) الفرقان:١ (٤) سبأ:٢٨

وقد صيغت كتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمنتهى الحكمة والبراعة فالرسول فيها سمح يدعو ولا يهدد، يخاطب الملوك والرؤساء بألقابهم ويعتـــرف بمكــانتهم ويقـــرر أن سلطانهم في ظل الإسلام باق لهم، وهو بذلك يؤكد أنه ليس طالب ملك، ثم هو يذكر أن هنـــاك زكاة في أموال الأغنياء ولكنه يؤكد أن الزكوات والصدقات لا تحل لمحمد ولا آل محمد، وإنما تؤخذ من أغنياء المسلمين وترد على فقرائهم، وهو بهذا يؤكد أنه ليس طالب مال.

وكان – عليه الصلاة والسلام – يخاطب كل ملك حسب ظروفه، فإن كان من أهل الكتاب أشار إلى ما بين الأديان السماوية من روابط، وإذا كان من غيرهم أشار إلى التـــزام البشـــرية بالعودة إلى الله وترك عبادة ما سواه. هذا وقد اختير المبعوثون بحيث يعرف كل منهم لغة مـــن سيرسل إليه. وامتدت فترة إرسال الرسل في ما بين الحديبية ووفاة الرســـول صـــلى الله عليـــه وسلم. وقد أدت الرسائل كلها مهمتها خير أداء.(١)

فقد أظهر الرسول – صلى الله عليه وسلم – في مراسلاته تلك سياسته الخارجية بما فيها من دراية سياسية فاقت التصور، وأصبحت مثالا لمن جاء بعده من الخلفاء، كما أظهر – صلى الله عليه وسلم – قوة وشجاعة فائقتين، فلو كان غير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لخشي عاقبة ذلك الأمر، لا سيما أن بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوياء على تخـــوم بـــلاده كهرقل وكسرى والمقوقس، ولكن حرص رسول الله وعزيمته على إبلاغ دعـــوة الله، وإيمانـــه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه. وقد حققـــت هـــذه السياسة نتائج هامة، تعد نقطة تحول في تاريخ الدولة الإسلامية فقد وطد الرسول – صـــلى الله عليه وسلم – بهذه السياسة أسلوبًا جديدًا في التعامل الدولي لم تكن تعرفه البشرية من قبل.

فأصبحت الدولة الإسلامية لها مكانتها وقوتها وفرضت وجودها على الخريطـــة الدوليـــة لذلك الزمان.

ومن خلال تلك الرسائل كُشِف للرسول – صلى الله عليه وسلم – نوايا الملوك والأمـــراء وسياستهم نحوه وحكمهم على دعوته.

وسنعرض في هذا الفصل رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – الموجهة إلى الملوك والأمراء وكيف كانت ردود الفعل المختلفة تجاه تلك الرسائل والدعوة إلى توحيد الباري – جل وعلا– ثم نقوم بتحليل كل منها على حده.(٢)

---

(١) انظر: أ.د/أحمد شلبى، مفاهيم إسلامية – (ج ١ / ص ١٦١)

(٢) انظر: علي الصلابي ،السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – (٤ / ١٩)

المبحث الأول:

رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى النجاشي ملك الحبشة وتحليلها

المطلب الأول: قصة هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة وما جرى فيها من أحداث:

جاء في البخاري عن أبي هريرة قال نعى لنا رسول الله – صلى الله عليه و سلم – النجاشي صاحب الحبشة اليوم الذي مات فيه فقال (استغفروا لأخيكم).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال إن النبي صلى الله عليه و سلم صف بهم بالمصلى فكبر عليه أربعا [١]

حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر – رضي الله عنه –: أن النبي صلى الله عليه و سلم صلى على أصحمة النجاشي فكبر أربعا [٢]

وعن جابر – رضي الله عنه – : قال النبي – صلى الله عليه و سلم – حين مات النجاشي (مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة)[٣]

وفي صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– صلى على أصحمة النجاشى فكبر عليه أربعا.[٤]

وفي صحيح مسلم أيضا عن أنس أن نبى اللَّه –صلى الله عليه وسلم– كتب إِلَى كسرى وإِلى قيصر وإِلى النجاشى وإِلى كل جبار يدعوهم إِلى اللَّه تعالى وليس بالنجاشى الذي صلّى عليه النّبى – صلى الله عليه وسلم–.[٥]

---

(١) صحيح البخاري.حديث رقم١٢٦٣ – كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة (١ / ٤٤٦)

(٢) صحيح البخاري حديث رقم١٢٦٩ ،كتاب الجنائز –باب التكبيرعلى الجنازة أربعا (١/ ٤٤٧)

(٣) صحيح البخاري حديث٦٧ كتاب الجنائز – باب موت النجاشي (٣ / ١٤٠٧)

(٤) صحيح مسلم –حديث رقم ٢٢٥٠ –كتاب الجنائز– باب فِى التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَازَةِ (٣ / ٥٤)

(٥) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت–حديث رقم٤٧٠٩ –كتاب الجهاد والسير، باب كُتُبِ النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– إِلَى مُلُوكِ الْكُفَّارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (٥ / ١٦٦)

وقد روت زوج النبي– صلى الله عليه وسلم– أم سلمة قصة ذهابهم إلى الحبشة بتمامهـــا، فقد روى الامام أحمد في مسنده – مسند أحمد بن حنبل – عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي – صلى الله عليه و سلم – قالت :

لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نُؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينـــا رجلـــين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ،وكان من أعجب ما يأتيه منهـــا إليه الأدم.

فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بـــذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل الســـهمي وأمروهمـــا وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قالت:

فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار وخير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ثم قال لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم (١). لنردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم ثـــم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلـــدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلـــى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه قالت:

ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا علـــيهم فأسلمهم إليهما فليردانهم إلى بلادهم وقومهم.

---

(١) أحمد بن حنبل .مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق. شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة قرطبة– القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـــ ، ١٩٩٩م–حديث رقم ٢٢٥٥١ (٥ / ٢٩٠)

قال فغضب النجاشي، ثم قال: لا وأيم الله إذا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني، قالت:

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا – صلى الله عليه و سلم– كائن في ذلك ما هو كائن فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ليسألهم فقال ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له:

أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسبي الجوار، يأكل القوي منا الضعيف فكناعلى ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قال فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث.ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك[1].

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج٥ ص ٢٩١)

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من "كهيعص" قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضلَ لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا [١] أسلمهم إليكم أبدا .

قالت أم سلمة – رضي الله عنها – : فلما خرجا من عنده قال عمرو ابن العاص: والله لآتينه غدا أعيبهم عنده ثم استأصل به خضراءهم. قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا، لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليهما السلام عبد. قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

قالت أم سلمة: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله سبحانه وتعالى وما جاء به نبينا – صلى الله عليه و سلم – كائنا في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – : نقول فيه الذي جاء به نبينا – صلى الله عليه و سلم – هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول[١].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج٥ ص ٢٩١)

قالت: فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عودا ثم قال:

ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي. _ والسيوم الآمنون_ من سبكم غرم ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم .فما أحب أن لي دير ذهب وإني آذيت رجلا منكم. _والدير بلسان الحبشة الجبل_ ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع في الناس فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار، قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به يعني من ينازعه في ملكه، قالت: فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه، قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل .

قالت: فقال أصحاب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : من يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: – رضي الله عنه – : أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سنا، قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قالت: ودعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده. واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله – صلى الله عليه و سلم – وهو بمكة[١].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل [ج٥ ص ٢٩١]،قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق.

المطلب الثاني: تزويج النبي – صلى الله عليه و سلم– بأم حبيبة

عن ابن عباس في قوله تعالى: " **عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَــوَدَّةً** "[١] قال: هو تزويج النبي – صلى الله عليه و سلم – بأم حبيبة بنت أبـــي ســـفيان فصـــارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين.[٢] وكانت أم حبيبة زوجة عبيد الله بن جحش وكانت قد هاجرت معه الى أرض الحبشة وزوجهاعبيد الله بن جحش خرج مع المسلمين مسلما فلما قــدم أرض الحبشة تنصرفكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب – رسول الله صلى الله عليه وســلم – قال: فتحنا وصأصأتم أي قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد، وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا، أي أن قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك. ومات نصرانيا هناك.[٣]

وقد بعث الرسول إلى النجاشي أن يزوجه بأم حبيبة وهي بأرض الحبشـــة، وســـنترك أم حبيبة –رضي الله عنها – تقص لنا قصة زواجها بالنبي – صلى الله عليه و سلم–.

.... قالت أم حبيبة بنت أبي سفيان: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشـــي جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ووهنه ،فاستأذنت علي، فأذنت لها. فقالت: إن الملك يقول له: أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – كتب إلي أن أزوجكـــه. فقلـــت: بشـــرك الله بالخير، وقالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك. قالت فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته. وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخذمتين من فضة كانتا علي وخواتيم من فضة فـــي كل أصابع رجلي سرورا بما بشرتني به.

---

(١) الممتحنة : ٧

(٢) البداية والنهاية – (٤ / ١٤٣)

(٣) انظر :عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية لابن هشام سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد،الناشر دار الجيل،سنة النشر ١٤١١ بيروت (ج٥ / ص٩)

فلما أن كان من العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا وخطب النجاشي وقال: الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم أما بعد فإن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله – صلى الله عليه و سلم – وقد أصدقها أربعمائة دينار.

ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال:

الحمد لله أحمده وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله – صلى الله عليه و سلم – وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله – صلى الله عليه و سلم – ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد، فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن من سنة الأنبياء اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .قال الحافظ البيهقي ذكر أبو عبد الله ابن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست.[١]

---

(١) البداية والنهاية – (٤ / ١٤٤)

المطلب الثالث: إسلام عمرو بن العاص وما ظهر له على لسان النجاشي وغيره من آثار صدق الرسول في الرسالة

قال عمرو بن العاص: كنت للإسلام مجانبا معاندا، حضرت بدرا مع المشركين فنجوت. ثم حضرت أحدا فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوت، فقلت في نفسي: كم أوضع الله ليظهـرن محمدا على قريش. فلحقت بمالي بالرهط وأقللت من الناس _ أي أقللت من لقائهم_فلما حضـر الحديبية وانصرف رسول الله في الصلح ورجعت قريش إلى مكة جعلت أقول :يدخل محمد قابلا مكة بأصحابه، ما مكة بمنزل ولا الطائف وما شيء خير منا لخروج وأنا بعد ناء عن الإسـلام أرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم. فقدمت مكة فجمعت رجالا من قومي وكانوا يـرون رأيـي ويسمعون مني ويقدموني فيما أنا بهم .

فقلت لهم: كيف أنا فيكم؟ فقالوا: ذو رأينا ومد رهنا في يُمن نقيبة وبركة أمر(١) قال قلـت تعلمون أني والله لا أرى أمر محمد أمرا يعلو الأمور علوا منكرا وإني قد رأيت رأيا. قالوا: وما هو؟ قال: نلحق بالنجاشي فنكون معه فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي فنكون تحت يد النجاشي أحب إلينا أن نكون تحت يد محمد وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا.

قالوا هذا الرأي قال: فأجمعوا ما تهدونه له وكان أحب ما يهدي إليه مـن أرضـنا الأدم فجمعنا أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي فوالله إنا لعنك إذ جاءه عمرو بـن أميـة الضمري وكان رسول الله قد بعثه إليه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة ابنة أبي سفيان فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية ولو قد دخلت على النجاشي قد سـألته إيـاه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك سررت قريشا وكنت قد أجزأت عنها حين قلت رسـول محمد فدخلت على النجاشي فسجدت كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقي أهديت لي من بـلادك شيئا

---

(١) البيهقي (٣٨٤ ــ ٤٥٨ هـ) دلائل النبوة. دار الكتب العلمية ــ ودار الريان للتراث.الطبعة الأولى١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م (٤ / ٣٤٣)

قلت: نعم أيها الملك أهديت لك أدما كثيرا ثم قربته إليه فأعجبه ففرق منـــه أشـــياء بـــين بطارقته وأقر بسائره فأدخل في موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به فلما رأيت طيب نفسه قلـــت أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنـــا وقتـــل أشـــرافنا وخيارنا فأعطنيه فأقتله. فغضب فرف يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كســـره، فابتـــدر منخراي فجعلت أتلقى الدم بثيابي، فأصابني من الذل ما لو انشقت لي الأرض دخلت فيها فرقـــا منه.

ثم قلت: أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتكه. قال واستحيا وقال: يـــا عمـــرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى عليهما السلام لتقتله، قال عمرو: وغير[١] الله قلبي عما كنت عليه وقلت في نفسي عـــرف هـــذا الحق العرب والعجم وتخالف أنت قلت: أتشهد أيها الملك بهذا، قال: نعم أشهد به عند الله تعالى يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى عليـــه السلام على فرعون وجنوده.

قلت: أفتيا يعني له على الإسلام قال: نعم، فبسط يده فبايعني على الإسلام، ثم دعا بطست فغسل عني الدم وكساني ثيابا، وكانت ثيابي قد امتلأت الدم فألقيتها ثم خرجت على أصـــحابي. فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك وقالوا: هل أدركت من صاحبك مـــا أردت؟ فقلـــت لهـــم: كرهت أن أكلمه في أول أمره وقلت أعود إليه. قالوا: الرأي ما رأيت. ففارقتهم وكـــأني أعمـــد لحاجة فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد شحنت تدفع، فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعيبة، وخرجت من السفينة ومعي نفقة فابتعت بعيرا، وخرجت أريد المدينة حتى خرجت على مر الظهران ثم مضيت حتى إذا كنت بالهداة فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثيـــر يريـــدان منزلا وأحدهما داخل في خيمة والآخر قائم يمسك الراحلتين،

نظرت فإذا خالد بن الوليد، فقلت: أبا سليمان؟ قال: نعم، قلت: أين تريد؟ قال: محمدا دخل الناس في الإسلام . والله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها. قلت: وأنـــا والله قد أردت محمدا وأردت الإسلام.

---

(١) دلائل النبوة ــ للبيهقى (٤ / ٣٤٤)

فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي فنزلنا جميعا في المنزل، ثم رافقنا حتى قدمنا المدينة فما أنسى قول رجل لقينا ببئر أبي عنبة يصيح: يا رباح يا رباح، فتفاءلنا بقوله وسرنا، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين فظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد وولى مدبرا إلى المسجد[١] سريعا فظننت أنه بشر رسول الله بقدومنا، فكان ما ظننت وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابا، ونودي بالعصر فانطلقنا حتى أطلعنا عليه وأن لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا

وتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما أستطعت أن أرفع طرفي إليه حياء منه فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال: إن الإسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بي رسول الله وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في أمر حزبه منذ أسلمنا. ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك الحال وكان عمر على خالد كالعاتب.

قال عبد الحميد بن جعفر فذكرت هذا الحديث ليزيد بن أبي حبيب. فقال: أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أويس الثقفي عن حبيب عن عمرو نحو ذلك.

قال: عبد الحميد، فقلت ليزيد: فلم يوقت لك متى قدم عمرو وخالد؟ قال: لا إلا أنه قال قبل الفتح قلت: إن أبي أخبرني أن عمروا وخالدا وعثمان بن طلحة قدموا المدينة لهلال صفر سنة ثمان[٢].

---

(١) دلائل النبوة ــ للبيهقي (٤ / ٣٤٥)

(٢) دلائل النبوة ــ للبيهقي (٤ / ٣٤٦)

المطلب الرابع: لقاء جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – بالنجاشي ملك الحبشة

خرج جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه– في رهط من المسلمين عند ذلك فرارا بدينهم أن يفتنوا عنه إلى أرض الحبشة وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وأمروهما أن يسرعا السير ففعلا، وأهدوا للنجاشي فرسا وجبة ديباج وأهدوا لعظماء الحبشة هدايا فلما قدما على النجاشي قبل هداياهم وأجلس عمرو بن العاص على سريره

فقال عمرو: إن بأرضك رجالا منا سفهاء ليسوا على دينكم ولا على ديننا فادفعهم إلينا فقالت عظماء الحبشة للنجاشي: أجل فادفعهم إليهم فقال النجاشي: لا والله لا أدفعهم إليهم حتى أكلمهم وأعلم على أي شيء هم. فقال عمرو بن العاص: هم أصحاب الرجل الذي خرج فينا وسنخبرك بما نعرف من سفههم وخلافهم الحق. أنهم لا يشهدون أن عيسى ابن الله ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك كما يفعل من أتاك في سلطانك، فأرسل النجاشي إلى جعفر وأصحابه وأجلس النجاشي عمرو بن العاص على سريره فلم يسجد له جعفر ولا أصحابه وحيوه بالسلام

فقال عمرو وعمارة: ألم نخبرك خبر القوم الذي يراد بك؟ فقال النجاشي: ألا تحدثوني أيها الرهط ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتاني من قومكم وأهل بلادكم(١) وآخرون وأخبروني ماذا تقولون في عيسى بن مريم وما دينكم أنصارى أنتم؟

قالوا: لا، قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا، قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا، قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام، قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئا. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا فأمرنا بالبر والصدق والوفاء وأداء الأمانة ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به فصدقناه وعرفنا كلام الله تعالى وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادنا قومنا. وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله. وردونا على عبادة الأوثان ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. ولو أقرونا استقررنا.

---

(١) دلائل النبوة – للبيهقى. تحقيق : الدكتور/ عبد المعطى قلعجى.دار الكتب العلمية – ودار الريان للتراث. الطبعة الأولى١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م (٢ / ٢٩٣)

فقال النجاشي: والله إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التي خرج منها أمر عيسى عليه السلام. قال جعفر: وأما التحية فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام وأمرنا بذلك فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا، وأما عيسى بن مريم عليه السلام فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول. فخفض النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودا وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود[١]. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنك. فقال النجاشي: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدا وما أطاع الله عز وجل الناس في حين رد إلي ملكي فأنا أطيع الناس في دين الله ،معاذ الله من ذلك.

وكان أبو النجاشي ملك الحبشة، فمات والنجاشي غلام صغير فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومي حتى يبلغ ابني فإذا بلغ فله الملك. فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار فقال للتاجر: دعه حتى إذا أردت الخروج فآذني فأدفعه إليك فآذنه التاجر بخروجه فأرسل بالنجاشي حتى أوقفه عند السفينة ولا يدري النجاشي ما يراد به فأخذ الله عز وجل عمه الذي باعه صعقا فمات .فجاءت الحبشة بالتاج فجعلوه على رأس النجاشي وملكوه.

فلذلك قال النجاشي والله ما أطاع الله الناس في حين رد الله علي ملكي وزعموا أن التاجر الذي كان ابتاعه قال ما لي بد من غلامي الذي ابتعت أو مالي. قال النجاشي: صدقت فادفعوا إليه ماله فقال النجاشي حين كلمه جعفر بما كلمه وحين أبى أن يدفعهم إلى[٢] عمرو أرجعوا إلى هذا هديته ،يريد عمرو بن العاص، والله لو رشوني في هذا دبر ذهب. والدبر في لسان الحبشة الجبل. ما قبلته

وقال لجعفر وأصحابه: امكثوا فإنكم سيوم. والسيوم :الآمنون. قد منعكم الله عز وجل وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال: من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد رغم؛ أي فقد عصاني.

---

(١) دلائل النبوة – للبيهقي (٢ / ٢٩٤)

(٢) دلائل النبوة ـــ للبيهقي (٢/٢٩٥)

وكان الله عز وجل قد ألقى العداوة بين عمرو بن العاص وعمارة في مسيرهما قبـــل أن يقدما إلى النجاشي ثم اصطلحا حين قدما على النجاشي ليدركا حاجتهما التي خرجا إليهـــا مـــن طلب المسلمين فلما أخطأهما ذلك، رجعا إلى أشد ما كانا عليه من العداوة وسوء ذات البين فمكر عمرو بعمارة

فقال: يا عمارة إنك رجل جميل فاذهب إلى امرأة النجاشي فتحدث عندها إذا خرج زوجها فإن ذلك عون لنا في حاجتنا، فراسلها عمارة حتى دخل عليها فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشي فقال له: إن صاحبي هذا صاحب نساء وإنه يريد أهلك فاعلم علم ذلك، فبعث النجاشي فإذا عمارة عند امرأته فأمر به فنفخ في إحليله ثم ألقي في جزيرة من البحر، فجن واستوحش مع الوحش ورجع عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه وخيب مسيره ومنعه حاجته[١].

---

(١) دلائل النبوة ــ للبيهقى (٢٩٦/٢)

المطلب الخامس: اختلاف الباحثين في النجاشي

جاء في زاد المعاد أنه – صلى الله عليه و سلم – لما رجع من الحديبية كتب إلى ملــوك الأرض وأرسل إليهم رسله فكتب إلى ملك الروم فقيل له: إنهم لا يقــرؤون كتابــا إلا إذا كــان مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر ورسول سطر والله ســطر وختم به الكتب إلى الملوك وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع، فأولهم عمرو بن أمية الضمري بعثه إلى النجاشي واسمه أصحمة بن أبجر وتفسير [أصحمة] بالعربية: عطية[١].

فكتب – عليه السلام – إلى النجاشي، والنجاشي اسم الملك، اذ يطلق النجاشي على كل من ملك الحبشة، كقولك كسرى و هرقل[٢] .

وقد روى مسلم في صحيحه عن أنس – رضي الله عنه – قال: كتب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعــالى وليس بالنجاشي الذي صلى عليه رسول الله – صلى الله عليه و سلم – [٣]

وقال أبو محمد بن حزم: "إن هذا النجاشي الذي بعث إليه رسول الله – صلى الله عليــه و سلم – عمرو بن أمية الضمري لم يسلم"[٤].

ورجح ابن القيم قول ابن حزم، فقال: "فإن أصحمة النجاشي الذي صلى عليه رسول الله – صلى الله عليه و سلم – ليس هو الذي كتب إليه، هذا الثاني لا يعرف إســلامه. بخــلاف الأول فإنه مات مسلما، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه"[٥].

---

(١) زاد المعاد (١ / ١١٦)

(٢) انظر: المستدرك – (٢ / ٦٧٩)

(٣) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة – بيروت – حديث رقم ٤٧٠٩– باب كُتُبِ النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– إِلَى مُلُوكِ الْكُفَّارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (٥ / ١٦٦)

(٤) زاد المعاد (١ / ١١٦)

(٥) انظر: زاد المعاد (١ / ١١٦)

وترجح الباحثة أن ما ذهب إليه ابن حزم وابن القيم – رحمهما الله تعالى – هو الصواب، لما يلي:

أولا: لم يبدأ الرسول كتابه بقوله: السلام عليك أوسلم أنت. أو ما شابه. وإنما قال: سلام على من اتبع الهدى، وهي نفس العبارة التي افتتح بها كتبه إلى كسرى وهرقل وغيرهما ممن لا يدين بالإسلام. ولو كان النجاشي مسلما لابتدأ النبي كتابه إليه بتحية الإسلام.

إلا أن الكثير ممن سرد قصة رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي يدعوه فيها إلى الإسلام، لم يميز ما بين الرسالتين: رسالته – عليه السلام – إلى النجاشي الأول والنجاشي الثاني وكان من بينهم للأسف ابن القيم – رحمه الله تعالى – فنجده قد روى القصة في كتابه زاد المعاد على النحو الآتي:

"[بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة أسلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز و جل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى]".

فعظم كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكان من أعلم الناس بالإنجيل.

وبعث بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمري فقال ابن إسحاق: إن عمرا قال له: يا أصحمة! إن علي القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك. الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور ،وفي ذلك موقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم. وقد فرق النبي صلى الله عليه و سلم رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر منتظر .

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبى الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى[١] براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر، وصلى عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم مات بالمدينة وهو بالحبشة. وليس كما قال هؤلاء فإن

أصحمة النجاشي الذي صلى عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليس هو الذي كتب إليه هذا الثاني لا يعرف إسلامه بخلاف الأول فإنه مات مسلما.

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث قتادة عن أنس قال: كتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي – صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم – وقال أبو محمد بن حزم: إن هذا النجاشي الذي بعث إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عمرو بن أمية الضمري لم يسلم والأول هو اختيار أبي سعد وغيره والظاهر قول ابن حزم.

ثم كتب النجاشى جواب كتاب النبى – صلى الله عليه و سلم –:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا، إنه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين (والثفروق: علاقة ما بين النواة والقشر) .

وتوفي النجاشي سنة تسع وأخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بموته ذلك اليوم فخرج بالناس إلى المصلى فصلى عليه وكبر أربعا.

---

(١)محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، زاد المعاد في هدي خير العباد – مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٠٧–١٩٨٦تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، ذكر هديه صلى الله عليه و سلم في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم، (٣ /٦٠٠)

ثم قال: " قلت: وهذا وهم – والله أعلم – وقد خلط راويه ولـــم يميـــز بـــين النجاشي الذي صلى عليه وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه وبين النجاشي الذى كتب إليـــه يدعوه فهما اثنان وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتب إلى النجاشي وليس بالذي صلى عليه"[١].

فيظهر مما سبق أن ابن القيم – رحمه الله– يرجح أنهما نجاشيان، إلا أن الباحثة لم تجد نـــص الرسالة إلى النجاشي الذي أورده ابن القيم الا في كتاب (عيون الأثر) وهو كالتالي:

ذكر الواقدي أن ذلك الكتاب: [بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملـــك الحبشة سلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن و أشهد أن عيسى بن مريم روح الله و كلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه و نفخه كما خلق آدم بيده و إني أدعوك إلى الله و حده لا شريك له و الموالاة على طاعته و أن تتبعني و تؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله و إني أدعوك و جنودك إلى الله عز و جل و قد بلغت و نصحت فاقبلوا نصيحتي و السلام على مـــن اتبـــع الهدى][٢]

---

(١) زاد المعاد – (٣ / ٦٠٠)

(٢) محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس ٦٧١هـــ – ٧٣٤، السيرة النبوية المسمى عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير ،مؤسسة عز الدين ١٤٠٦هـــ – ١٩٨٦م، بيروت – لبنان ، (٢ / ٣٢٩)

كما يظهر جليا عدم التطابق التام بين التحيتين الواردتين في كلا الرسالتين، ففي رسالة النبي – صلى الله عليه و سلم – إلى النجاشي في كتاب زاد المعاد لابن القيم، كانت التحية "أسلم أنت" ولعله قصد السؤال: أي أمسلم أنت حقا. وكأن خبر إسلام النجاشي قد وصل إلى الرسول إلا أنه أراد التأكد من ذلك بالسؤال. أو أنه قصد تحية الإسلام، وفي كلا الحالتين لا يجوز ذلك في نص هذه الرسالة.

فبما أن ابن القيم – رحمه الله تعالى – يرى أنهما نجاشيان ويرى أن نص الرسالة التي أوردها في كتابه كانت موجهة إلى النجاشي الثاني لدعوته للدخول في الاسلام فلا يمكن أن يبدأه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بتحية الإسلام، أو يسأله عن حاله أدخل في الإسلام أم لا.

فيظهر والله أعلم أن الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – لم يميزمابين الرسالتين الموجهتين إلى النجاشي الأول والثاني.

فنص رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى النجاشي الأول كما أوردها محمد حميد الله في مجموعة الوثائق الساسية كانت:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلم أنت فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى)(١)

هذا وقد أشار المؤلف الى أن نص الكتاب وصورته الفوتوغرافية وصور عن الصورة الأصل تواجدت في عدة كتب نقل عنها هذا الكتاب ومنها: "رسول اكرم كي سياسي زندكي" وهو كتاب ألف باللغة الهندية. وكذلك كتاب Muhammad Rasullaah وهو كتاب باللغة الإنجليزية وأشار كذلك إلى كتاب آخر ألف باللغة الفرنسية.(٢)

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والرسل والملوك (٢ / ١٣٢)

(٢) انظر: محمد حميد الله. مجموعة الوثائق الساسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. دار النفائس، بيروت – لبنان، الطبعة السابعة، ص١٠٠

ويظهر من خلال دراسة النص أن هذا الكتاب وجه إلى النجاشي الأول ،فقد حياه الرسول- صلى الله عليه و سلم - بتحية الإسلام، ثم أوصاه فيه على ابن عمه جعفر ومن كان معه من المسلمين المهاجرين إلى ارض الحبشة.

وقد يسأل سائل: كيف أسلم النجاشي قبل دعوة الرسول له للدخول في الإسلام وقبل مقابلته لجعفر الطيار أيضا؟ كيف علم بالإسلام ومن دعاه إليه وكيف أسلم؟ والجواب سيكون على النحو الآتي:

أما أن النجاشي كان على علم بالإسلام وأسلم وهذا الكتاب الذي أرسله النجاشي يؤيد إسلامه صراحة، وأنه يرى في عيسى عليه السلام ما يراه الإسلام. فبعدما أسلم النجاشي وأعلن إسلامه أمام جعفر ومن معه من المسلمين. كتب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الكتاب:

"بسم الله الرحمن إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الذي لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام أما بعد: فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا. إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادق مصدق وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق والسلام عليك يارسول الله ".[١]

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص١٠٤

ثم يقول محمد رشيد رضا في شأن إسلام النجاشي:

"إن رواية ابن إسحاق صريحة بأن النجاشي أصحمة أسلم، وقد قرأ جعفر بن أبي طالب عليه سورة مريم وقول عيسى: { **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** }(١) الآية، وفي هذه الآية نص عيسى عليه السلام على إثبات عبوديته وقال تعالى: { **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** }(٢)، وفي قوله عيسى بن مريم إشارة إلى أنه ولد هذه المرأة وابنها لا أنه ابن الله، وقال عز شأنه: { **وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** }(٣)

وقد شك بعضهم في إسلام النجاشي، لكن المصادر التاريخية المهمة تصرح بإسلامه، وفي قول عمرو بن العاص أنه بايع النجاشي على الإسلام، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه ولكنه كان يخفي إسلامه لأن أمته كانت مسيحية فخشي أن يثوروا عليه.

ومما يقوي إسلام النجاشي أنه كان مسيحيا نسطوريا ومذهب نسطور قائم على التوحيد. وينكر ألوهية المسيح فمن ذلك قوله: (لا تقولوا مريم أم الله لأنها من البشر ويستحيل أن يولد الإله من البشر).(٤)

وقد ذكرت أن بحيرا الراهب الذي أكرم النبي – عليه الصلاة والسلام – عندما رحل إلى الشام وعرّفه بعلامات فيه، كان متبعا هذا المذهب – ونسطور هذا كان رجلا جليل القدر متبحرا في الديانة المسيحية والذي يدل على مكانته الرفيعة في الدين المسيحي أنه كان بطريرك القسطنطينية من عام ٤٢٨ إلى ٤٣١م وكان له أتباع كثيرون أسلم عندما عرض عليه الإسلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقرأ سورة مريم التي تنطبق على مذهبه، ولأن الإسلام يحارب عبادة الأصنام ويدعو إلى التوحيد وينكر ألوهية عيسى عليه السلام ويقر نبوّته.

(١) (مريم: ٣٠، ٣١)

(٢) (مريم: ٣٤، ٣٥)

(٣) (مريم: ٣٦).

(٤) محمد رشيد رضا، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – (١ / ٤٢١)

وجاء في مسند الشافعي (من كتاب الجنائز والحدود) عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نعى للناس النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبّر أربع تكبيرات وهذا دليل على إسلام النجاشي لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يصلي إلا على مسلم.

وفي صحيح البخاري: عن جابر – رضي الله عنه – قال النبي – صلى الله عليه وسلم – حين مات النجاشي: "مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة"(١).

وإن لم يكن ذلك فهناك احتمال ضعيف بعدم صحة هذا الكتاب –والله أعلم –.

ثانيا: ومما يؤيد كونهما نجاشيان وقد بعث إلى كل منهما كتاب مستقل ،أن – عليه السلام – أوصى النجاشي بجعفر ومن معه من المسلمين وكان ذلك عندما هاجر المسلمون إلى أرض الحبشة بأمر من النبي – صلى الله عليه وسلم – فرارا من أذى المشركين في بداية البعثة .

أما كتب ورسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والحكام لدعوتهم إلى الإسلام فقد كانت بعد صلح الحديبية بعدما قويت شوكة المسلمين .

ثالثا: هذا وقد أورد الإمام أحمد بن حنبل في مسنده أنه عليه السلام: ...قَال: إني قد كتبت إلى النجاشي فخرقه فخرقه اللَّه مخرق الملك. وكتبت إلى كسرى كتابا فمزقه فمزَقه اللَّه تمزيق الملك وكتبت إلى قيصر كتابا فأجابني فيه فلم تزل الناس يخشون منهم بأسا ما....." قال عباد :فقلْت لابن خثيمٍ: أليس قد أسلم النجاشي ونعاه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بالمدينة إلى أصحابه فصلى عليه؟ قال: بلى، ذاك فلان بن فلان وهذا فلان بن فلان قد ذكرهم ابن خثيم جميعا ونسيتهما.(٢)

وقال رسول الله – صلى الله عليه و سلم –:" إني كتبت إلى النجاشي فأحرق كتابي والله محرقه(٣)...."ويدل الحديث على أنهما نجاشيان فالأول أسلم والثاني خرق الرسالة وتجبر وكفر .

(١) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ،بَاب مَوْتُ النَّجَاشِيِّ،حديث رقم (٣٨٧٧)

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٢ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (٢٧ /٢٤٢) حديث رقم: ١٦٦٩٣ –

(٣) أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ،مسند أبي يعلى، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤،تحقيق: حسين سليم أسد

رابعا: ترجم ابن عبد البر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة للنجاشي وعده من الصحابة. فقال: ٤٧٣ – أصحمة بن أبحر النجاشي ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب له أسلم على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان ردءا للمسلمين نافعا وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام ،وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلاته – صلى الله عليه وسلم – صلاة الغائب من طرق.(١)

وهذا ينطبق على النجاشي الأول، لأنه أسلم ومات مسلما وصلى عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا يمكن أن يكون النجاشي الثاني الذي خرق كتاب الرسول وتجبر وعاند وكفر، هو من ترجم له وعده من الصحابة. كما لا يمكن للنجاشي الثاني أن يكون هو من زوج الرسول عليه السلام بأم حبيبة، وإنما هو النجاشي الأول. ففي (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) عند ترجمة أم حبيبة أيضا: وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية واسمها رملة تزوجها سنة ست وبنى بها سنة سبع زوّجه إياها النجاشي.(٢)

فيستدل من الأدلة السابقة على أنهما نجاشيان – والله أعلم –.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة – (١ / ٢٠٥)

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب – (١ / ١٦)

المطلب السادس : كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي الأول

لما اشتد أذى المشركين وازداد تعذيبهم للمسلمين أذن لهم الرسول – صلى الله عليه وسلم– بالهجرة إلى الحبشة واختارها من بين عدة دول مجاورة لأن فيها ملكا عادلا وهو "النجاشي" فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): " لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه "[١]

ثم بعث المهاجرين تحت كفالة جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه، وكتب إلى النجاشي رسالة يوصيه فيها على المسلمين المهاجرين إليه، ويأمره بإكرامهم. ويظهر من النصوص أنه – عليه الصلاة والسلام – بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، قبل هجرتهم إليه[٢]

وكتب معه كتابا " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلم أنت فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى

الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى"[٣].

فيظهر من تتبع النص أن عبارة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر"تدل دلالة واضحة وصريحة على عدم وصول جعفر ومن معه بعد، إنما بعث إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – بالرسالة قبل وصولهم إليه. ويستدل من ذلك أنه – عليه السلام – كان على علم بإسلام النجاشي لذلك اختاره من بين الملوك وأمنه على المسلمين.

---

(١) مسند أحمد ج٤ ص٢٥٩

(٢) مكاتيب الرسول [٤٥٠/٢]

(٣) تاريخ الأمم والرسل والملوك – الطبري – (٢ / ١٣٢)

ويظهر ذلك من قوله – صلى الله عليه وسلم – :"سلم أنت" – الواردة في بداية الرسالة – وهي تحية الاسلام، ويمكن أن نلمس ذلك من ردة فعل النجاشي في النص الآتي أيضا معرفته بالإسلام وإخفاءه لإسلامه، وكأنه كان بانتظار الرسول الذي بشرت به كتبهم

"فلما أوصل عمرو بن أمية الكتاب إلى النجاشي أخذه ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض إجلالا وإعظاما، ثم أسلم، ودعا بحق من عاج وجعل فيه الكتاب وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته "(١).

---

(١) مكاتيب الرسول [٢/٤٥٠]

المطلب السابع: حوار عمرو بن أمية الضمري مع النجاشي الأول ملك الحبشة

بعد أن تسلم النجاشي المكتوب من الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال عمرو بن أمية: ياأصحمة إن علي القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، ولم نحفظك على شر قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الخير وإصابة الفضل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأنه ليس الخبر كالعيان ولكن أعواني من الحبشة قليل فانظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب، وفي رواية: لو أستطيع أن آتيه لأتيته[١].

وفي هذا الكتاب بيّن (صلى الله عليه وآله) الروابط الحاصلة بينه وبين النجاشي بأبلغ بيان وأوجزه، ومعناه: أنك في الرقة على ما يصيبنا من الآلام وتألمك، وحزنك على ما يصيب الإسلام والمسلمين من الفادحات (كتعذيب المسلمين والضغوط الواردة على رسول الله – صلى الله عليه وآله–) وسرورك بما يصيبهم من الظفر على الأعداء، وفتح الله ونصره وإعلاء كلمة التوحيد، وتقوية أمر الدين كأنك من المسلمين.

وفي ذلك تلميح إلى أنه لم يعلن إسلامه بعد ،بل فيه الرقة على المسلمين، فكأنه في زمان كتابة هذا الكتاب لم يظهر الإسلام بعد. ويفيد هذا الكتاب أشد ما يجب أن يكون عليه المسلمون من الإخاء. الخالص من الشوائب، وتوطيد الوحدة الدينية الحاكمة على الروابط الاجتماعية الأخرى مثل القومية والوطنية وغيرها، فعلى كل مسلم أن يحزن لحزن المسلمين ويفرح لفرحهم، فالمسلمون كلهم كأنهم جسم واحد إذا أوذي واحد تداعت له الأعضاء الأخرى[٢]

---

(١) مكاتيب الرسول [٢/٤٥٠]

(٢) انظر: مكاتيب الرسول ج٢ ص[٤٥٤]

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).[١]

وفي هذا الحديث شبه الرسول – صلى الله عليه وسلم – المسلمين في (تراحمهم) أي رحمة بعضهم بعضا، و (توادهم) تحابهم، و (تعاطفهم) تعاونهم بـ (الجسد) الجسم الواحد بالنسبة إلى جميع أعضائه. إذا (اشتكى عضو) لمرض أصابه. (تداعى) شاركه فيما هو فيه سائر الجسد. (السهر) عدم النوم بسبب الألم (الحمى) حرارة البدن وألمه[٢].

ثم قال له – عليه السلام – " وكأنا من الثقة بك منك " أي تعاملنا كما تعامل أهل مملكتك، لأنا لا نرجو شيئا منك إلا نلناه ولا نخاف أمرا منك إلا أمناه، كما يتعامل رئيس القوم مع قومه، والملك مع رعاياه من رعاية حقوقهم وحفظ أموالهم ونفوسهم، ومرماه إفادة غاية ما أصاب المسلمون من بره وإحسانه وخيره. وبالجملة رقتك وتحننك على المسلمين يشبه رقة المسلم وتحننه على المسلم، ومعاملتك معهم تشبه معاملة الملك مع أهل مملكته. وقد روي حديث يدل على رقته على المسلمين وسروره بما ينالهم من الخير والفتح[٣].

وروي أن النجاشي أرسل ذات يوم إلى جعفر رحمه الله وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان جالس على التراب قال جعفر وأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال فلما رأى ما في وجوهنا قال إني أبشركم بما يسركم إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله قد نصر نبيه وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان فلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأني أنظر إليه، قال جعفر: ما بالك جالسا على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق؟

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم ٢٥٨٦

(٢) انظر: صحيح البخاري (٥ / ٢٢٣٨)

(٣) انظر: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٥٥

قال: إنما نجد فيما أنزل الله على عيسى – صلى الله عليه وسلم – أن حقا على عباد الله أن يحدثوا الله تواضعا عند كل ما أحدث لهم من نعمة فلما أحدث الله لنا نصر نبيه – عليه السلام – أحدثت لله هذا التواضع[١]. وذلك مصداقا لقول النبي (صلى الله عليه وآله) لأصحابه: إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد.[٢]

وبعد هذا الخطاب وذلك التصريح من النجاشي بقبوله للإسلام دينا له، وصل المهاجرون إليه من الصحابة – رضوان الله عليهم – وكما هو مشهور حدث لقاء بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – فلما دخل عليه جعفر بن أبي طالب فقال له: إن الله بعث فينا رسوله، وهو الرسول الذي بشّر به عيسى بن مريم: { ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد }[٣] فأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قولَ الله، هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر.

فتناول النجاشي عوداً من الأرض فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، والذي بشّر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه.

لقد أسلم – رحمه الله – بما آتاه الله من معرفة بالكتب قبل الإسلام، ورأى فيها دليلاً صادقاً من دلائل نبوته – صلى الله عليه وسلم – ، فكان النجاشي الأول ممن شهد لنبينا بالرسالة من أهل الكتاب؛ فإنه آمن بالرسول – صلى الله عليه وسلم –[٤].

---

(١) انظر: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، الزهد – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي حديث رقم ١٩٢(١ / ٥٣)

(٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم،دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، حديث رقم ٢٨٦٥ ج٤ ص٢١٩٧.

(٣) (الصف: ٦)

(٤) د. منقذ بن محمود السقار،دلائل النبوة – (١ / ١٢٣)

ثم كتب النجاشي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– :

"بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أجبر سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا إنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إليا وقد قرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله فإني أشهد أن ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله"(١).

وبعدما مات النجاشي رحمه الله؛ نعاه النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أصحابه في اليوم الذي مات فيه، وصلى عليه صلاة الغائب، وقال: (مات اليوم رجل صالح، فقوموا، فصلوا على أخيكم أصْحمة).(٢)

رحمه الله تعالى، وقد كان إسلامه دليلا من دلائل نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

---

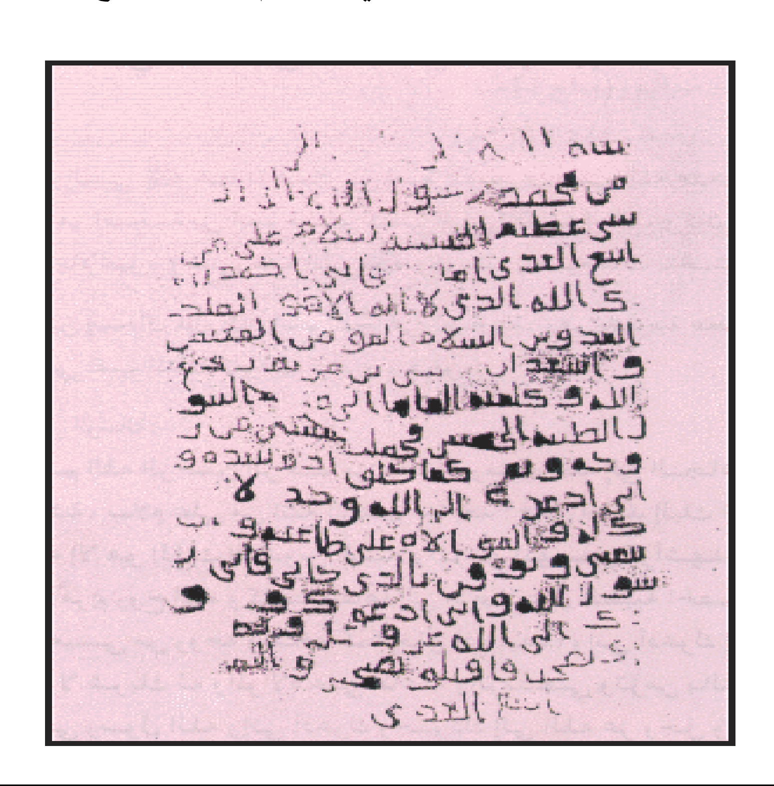
(١) انظر: مكاتيب الرسول [٤٤٨/٢]، وانظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك – الطبري – (٢ / ١٣١)

(٢) صحيح البخاري،كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي حديث٦٧– (٣ / ١٤٠٧)

المطلب الثامن: كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي الثاني

تعددت التي تناولت سرد رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي "الثاني" لكنها خلطت ما بين النجاشي الأول والثاني، فنجدهم رووا الرسالة ثم أوردوا قصة جعفر أوقصة إسلام النجاشي بعد استلامه للرسالة أوردة فعل النجاشي الأول بعد استلامه الرسالة ويـــدرجوها بعد الكتاب الموجه الى النجاشي الثاني وهكذا، فقد حصل الخلط في معظم كتب الحديث والسيرة. وقد بحثت في شتى كتب الحديث والسيرة فلم أجد نص الرسالة الأصلية التي بعث بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي الثاني. وقد تسنى للدكتور حميد الله في مجموعة الوثـــائق السياسية الحصول على نص الوثيقة الأصل للرسالة وصورة عن تلك الرسالة وهي:

[بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدىأما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبـــة الحصـــينة فحملـــت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شـــريك لـــه والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنـــودك إلى الله عز و جل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى]"[١]



(١) مجموعة الوثائق السياسية .ص١٠١

* انظر صورة الرسالة في مجموعة الوثائق السياسية ص١٠٢

المطلب التاسع: تحليل كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي الثاني

يطلق النجاشي على كل من ملك الحبشة كقولك كسرى الفرس وهرقل الروم وهكذا، واسم النجاشي أصحمة، وتذكر معاجم اللغة معنى اسم أصحمة في اللغة فنجده في لسان العرب: الأصحم والصحمةُ سواد إلى الصفرة وقيل هي لون من الغبرة إلى سواد قليل وقيل هي حمرة وبياض وقيل صفرة في بياض. قال الأصمعي لم أسمع فعلى في مذكر إلا في هذا الحرف فقط وأصحمة اسم رجل(١).

ويقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (صحم) الصاد والحاء والميم أصيل صحيح يدل على لون. فالأصحم: الأغبر إلى السواد. وبلدة صحماء: مغبرة. واصحامت البقلة: اخضارت. وإنما قيل لها ذاك لأنها إذا رويت فكأنها سوداء. ولذلك يقال: إدهامت(٢)

يستدل من ذلك أن أصحمة اسم ذكر على وزن فعلى، ولم يرد ذلك في مذكر إلا في هذا الاسم، ومعنى أصحمة سواد مائل إلى الصفرة، أو سواد داكن.

ابتدأ الرسول – صلى الله عليه وسلم – كتابه إلى النجاشي الثاني بالتحية "سلام على من اتبع الهدى" وهي نفسها التحية التي ابتدأ بها كتابه إلى كسرى وهرقل وغيرهما ممن لا يدين بالإسلام.

وعلى أي حال لم يكتب – صلى الله عليه وآله – إليه تحية الإسلام أو ما يقاربها، ولم يكتب إليه كما كتب إلى النجاشي الأول سلم أنت أو "سلام أنت". أو أسلم أنت، أو ما شابه من تحية الإسلام ما بين المسلمين، وذلك يؤذن بعدم إسلامه، أما تحيته للنجاشي الأول "سلم أنت" فتؤذن بإسلامه قلبا وإن لم يظهره بلسانه. "أما بعد فإني أحمد إليكم الله" أي: أحمده معك فأقام "إلى" مقام "مع" ونقل عن الأزهري والخليل أن إلى هنا بمعنى مع في قول العرب وفي الكتب: أحمد إليك الله، ثم نقل كلام ابن الأثير ونقل عن بعض: أشكو إليك أياديه ونعمه، وعن بعض: أشكر إليك نعمه وأحدثك بها(٣).

---

(١) لسان العرب – (١٢ /٣٣٣)

(٢) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة – المحقق : عبد السلام محمد هارون الناشر: اتحاد الكتاب العرب الطبعة: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ مباب الصاد والحاء وما يثلثهما (٣ /٢٦١)

(٣) انظر: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٣

"اللَّه الذي لا إله إلا هو" وفيه اهتمام بصفة الوحدانية. وتأكيد عليها لنفي عقيدة التثليث التي يدين بها النجاشي وأتباعه.

و{الملك} : الحاكم في الناس، على الإطلاق، وأما وصف غيره بالملك فهو بالإضافة إلى طائفة معينة من الناس.

وعقب بـ {القدوس} وصف {الملك} للاحتراس إشارة إلى أنه منزه عن نقائص الملوك المعروفة من الغرور، والاسترسال في الشهوات ونحو ذلك من نقائص النفوس.

"القدوس" أي الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص وفعول بالضم من أبنية المبالغة

و{السلام} مصدر بمعنى المسالمة وصف الله تعالى به على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة في الوصف، أي ذو السلام، أي السلامة، وهي أنه تعالى سالم الخلق من الظلم والجور.

وفي الحديث "إن الله هو السلام ومنه السلام". وبهذا ظهر تعقيب وصف {الملك} بوصف {السلام} فإنه بعد أن عقب ب {القدوس} للدلالة على نزاهة ذاته، عقب بـ {السلام} للدلالة على العدل في معاملته الخلق، وهذا احتراس أيضا.(١)

و{المؤمن} اسم فاعل من آمن الذي همزته للتعدية، أي جعل غيره آمنا.

فالله هو الذي جعل الأمان في غالب أحوال الموجودات، إذ خلق نظام المخلوقات بعيدا عن الأخطار والمصائب، وإنما تعرض للمخلوقات للمصائب بعوارض تتركب من تقارن مصالح، فيرجع أقواها ويدحض أدناها، وقد تأتي من جراء أفعال الناس.

وذكر وصف {المؤمن} عقب الأوصاف التي قبله إتمام للاحتراس من توهم وصفه تعالى بـ {الملك} أنه كالملوك المعروفين بالنقائص. فأفيد أولا نزاهة ذاته بوصف {القدوس}، ونزاهة تصرفاته المغية عن الغدر والكيد بوصف {المؤمن}، ونزاهة تصرفاته الظاهرة عن الجور والظلم بوصف {السلام}.

---

(١) انظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م (٢٨ / ١٠٧)

و{المهيمن}: الرقيب بلغة قريش، والحافظ في لغة بقية العرب.

وتعقيب {المؤمن} بـ {المهيمن} لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف أو عن مخافة غيره، فأعلموا أن تأمينه لحكمته مع أنه رقيب مطلع على أحوال خلقه فتأمينه إياهم رحمة بهم.[١]

" وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته " أضاف الروح إلى الله تعالى أي: روح اختاره الله واصطفاه وخلقه وأضافه إلى نفسه وفضله على جميع الأرواح،[٢] **(وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ)**[٣].

وعيسى كلمة الله: لأنه ولد بكلمة الله من غير والد أي: بأمره تعالى. " البتول" أي: المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها في الرجال، أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها إلى الله تعالى، وبذلك فسر البتول في ألقاب سيدة النساء، لأنها انقطعت عن الدنيا، قال ابن حجر في فتح الباري: "باب ما يكره من التبتل" المراد بالتبتل الانقطاع عن النكاح وما يتبعه والملاذ إلى العبادة. فأصل التبتل الانقطاع، والمعنى انقطع إليه انقطاعا.

لكن حقيقة الانقطاع إلى الله إنما تقع بإخلاص العبادة له، ومنه "صدقة بتلة" أي منقطعة عن الملك، ومريم البتول لانقطاعها عن التزويج إلى العبادة وقيل لفاطمة البتول إما لانقطاعها عن الأزواج غير علي أو لانقطاعها عن نظرائها في الحسن والشرف[٤]. " الطيبة الحصينة " وصرح بكونها طيبة في مقابل ما قاله اليهود فيها * **(مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)**[٥]، كما صرح في القرآن الكريم بطهارتها في قوله تعالى حاكيا عنها: **(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)**[٦] .

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ١٠٨

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٤

(٣) النساء :١٧١

(٤) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)- فتح الباري تعليق ابن باز- (٩ / ١١٨)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، الناشر: دار الفكر.

(٥) مريم:٢٧

(٦) مريم:٢٠

وقال سبحانه: (**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**)[١]. والطيبة: أي الطاهرة المطهرة ومنه الحديث: جاء عمار يستأذن على النبي صلى الله عليه و سلم فقال: ائذنوا له، مرحبا بالطيب المطيب[٢]. وعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عن النبي صلى الله عليه و سلم: " جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا "[٣] والاستطابة: التطهير[٤]

ثم دعاه – صلى الله عليه وسلم – مباشرة وبصراحة متناهية الى الدخول في الاسلام ونصحه بقبوله دينا له ولقومه بدلا من النصرانية.

---

(١) آل عمران: ٤٢

(٢) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي – دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، حديث رقم3798 (٥ / ٦٦٨) - و قال هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) صحيح البخاري ،كتاب الصلاة ،بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا،حديث رقم ٤٣٨

(٤) انظر: مكاتيب الرسول (ج٢ ص٤٣٥)

المطلب العاشر: تميز رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي عن غيرها

يعلم النبي – صلى الله عليه وسلم – أن كتابه موجه إلى رجل نصراني فلذلك أرسل إليــه بكلام يبين حقيقة عيسى – عليه السلام – كما جاء في كتاب الله تعالى. ولهــذا نلحــظ تغييــر الخطاب بما يوافق الحال والمخاطب؛ وهذا كان منهج النبي – صلوات الله عليه – في مراسلاته للملوك.

فجميع الرسائل الموجهة للملوك تشترك في مضمون محوري واحد، وفكرة أساسية واحدة، وهو الدعوة إلى الإسلام، وقد جاءت هذه الدعوة في أساليب متعددة، وصور مخــتلفة تراعى شخصية المرسل إليه، ومكانته السياسية والاجتمــاعية، والدينيــة، وكانت جميعها تمزج في مضمونها بين الترغــيب فــي اعتناق الديــن الإســلامي، والترهيــب المجمــل من نتيجــة المخالفــة برفض اعتنــاق الإسلام وهو الدين الخاتــم الذي جاء به محمــد بن عبد الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مبعوثًا للناس كافة.

إلا ان رسالته – صلى الله عليــه وسلــم– إلى النجاشــي انفردت عن الرسائل الأخرى بذكر بعض أسمــاء الله الحسنى: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وشرح طبيعة المسيح عيسى بن مريــم ـــ عليه الســلام ـــ فهو "روح الله، وكلمتــه ألقاها إلى مريــم البتول الطيبــة الحصينة، فحملت بعيسى، حملته من روحه ونفخــه، كما خلق آدم بيده ونفخه."

ولكــن معرفــة الواقــع التــاريخــي آنــذاك تجعلنــا نؤمــن بــأن النبــي ـــ صلــى الله عليــه وسلــم ـــ فــي اختصاصــه رسالتــه للنجاشــي بذكر المسيح، وكيفية ولادته ـــ و إثبات حقيقة النبي عيسى – عليه السلام – وأنــه نبــي مــن عند الله، تولد بطريقة غير بيولوجية طبيعية (نفخ الله في مريم العذراء من روحه).

وإثبات حقيقة آدم – عليــه السلام – بأن قال لــه كن فكان، مما يدل على أن آدم – عليه السلام – بدوره خلق بطريقة لا تخضع للقوانين البيولوجيــة. فكمــا خلق آدم خلــق عيسى عليه السلام، فلم يؤله عيسى ولايؤله آدم عليه السلام؟

وخلاصة القول: أن الذي تحصل لنا من تتبع الأحاديث والتأريخ عدة أمور:

الأول: أن النجاشي الذي عاصر النبي – صلى الله عليه وآله – من أول البعثة إلى ارتحاله – صلى الله عليه وآله – إلى الملأ الأعلى رجلان:

أحدهما: أصحمة بن أبجر الذي هاجر إليه المسلمون، وكان عالما دينا، لا يظلم عنده أحد، فأكرمهم، وقراهم، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، ومات سنة ثلاث أو أربع أو تسع أو ثمان أو سبع على الخلاف،

وثانيهما: هو الذي ملك الحبشة وكتب إليه النبي – صلى الله عليه وآله– ، فخرق الكتاب وتجبر وكفر.

الثاني: أن النبي – صلى الله عليه وآله – كتب إلى الأول كتابا يوصيه فيه بجعفر وأصحابه ويثني على عيسى بن مريم وأمه الطاهرة، ويدعوه إلى الإسلام،[1] وظاهر النص أنه بعثه قبل وصول جعفر الطيار – رضي الله عنه – ومن معه، وكما جاء في كتب الحديث والتاريخ فقد بعث الكتاب مع عمرو الضمري – رضي الله عنه – وتدل على ذلك العبارة: " فإذا جاؤوك فاقرهم ودع التجبر" وكان ذلك في بدء البعثة، والجملة صريحة في عدم وصول جعفر وأصحابه إلى النجاشي حال الكتابة.

---

(١) انظر: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٤

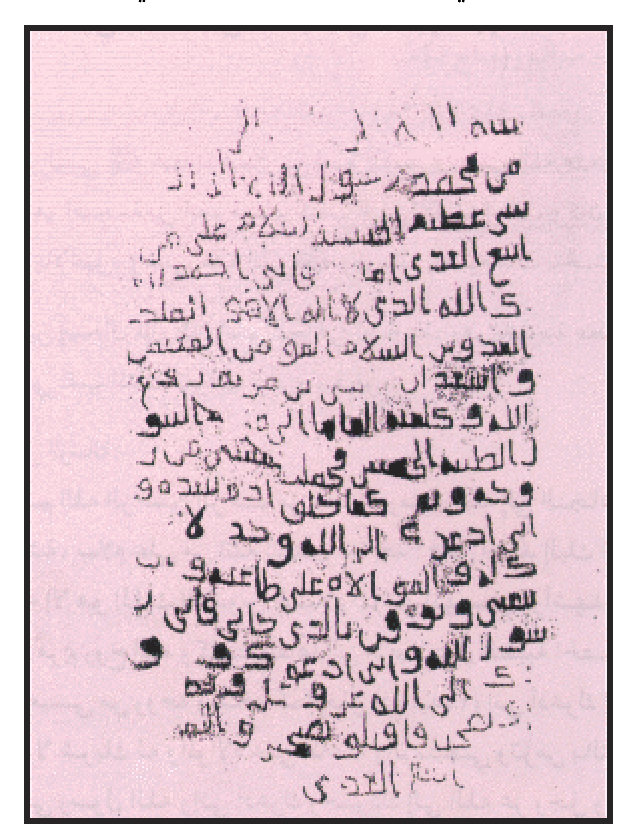
المطلب الحادي عشر: مدى موثوقية رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي ملك الحبشة

بعد البحث في كثير من كتب الحديث والسيرة والتاريخ، خرجت الباحثة بنتيجة مفادها أن معظم تلك الكتب لم تحظ بالكتاب والنص الأصلي للرسالة التي بعث بها النبي –صلى الله عليه وسلم–إلى النجاشي الثاني الذي دعاه إلى الإسلام في ذلك الكتاب.

وقد حصل لهم خلط مابين الرسالتين المبعوث بهما إلى النجاشي الأول والنجاشي الثاني، والبعض أورد نصا لرسالة لا أصل لها معتقدا أنها نفسها التي بعث بها إلى النجاشي الأول أو الثاني.

وخلاصة القول أن الخلط ورد في معظم الكتب ولم يحظ بنص الرسالة إلى النجاشي الثاني إلا محمد حميد الله في مجموعة الوثائق السياسية، والذي جعل الباحث يجزم بصحتها عدة أمور منها:

أولا: كونه أورد في كتابه صورة الرسالة وهي:



---

* انظر صورة الرسالة في مجموعة الوثائق السياسية ص١٠٢

ثانيا: بعد تحليل الباحثة للرسالة في الصفحات السابقة اتضح أنها هي الرسالة الموجهة من قبل الرسول إلى النجاشي الثاني – والله أعلم –.

ثالثا: أن حميد الله قال بعد إيراده لصورة الرسالة:

"....وقد ظفر المستشرق دنلوب من براند كرك في اسكوتلاندا بأصل هذا المكتوب ونشر صورته الشمسية في مجلة الجمعية الملكية الآسيائية (jras) الإنجليزية في شـــهر ينــــاير ســـنة ١٩٤٠ ."[١]

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص١٠١

المبحث الثاني:

رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وتحليلها

بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – شجاع بن وهب الأسدي إلى ملك دمشق الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه إليه. قال شجاع: فانتهيت إليه وهو في غوطة دمشق وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطاف لقيصر وهو جاء من حمص إلى إيلياء فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه:

إني رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليه فقال: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه – وكان روميا اسمه مري – يسألني عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكنت أحدثه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما يدعو إليه فيرق حتى يغلب عليه البكاء ويقول:

إنى قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه فأنا أؤمن به وأصدقه فأخاف من الحارث أن يقتلني. وكان يكرمني ويحسن ضيافتي. وخرج الحارث يوما فجلس فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقرأه فإذا فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر: سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك "

فرمى به وقال: من ينتزع مني ملكي وقال: أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته، علي بالناس فلم تزل تعرض حتى قام وأمر بالخيول تنعل ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه فكتب إليه قيصر: أن لا تسر ولا تعتبر إليه واله عنه ووافني بإيلياء فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ فقلت: غدا فأمر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة.

وقال: اقرأ على رسول الله – صلى الله عليه و سلم – مني السلام فقدمت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته فقال: باد ملكه وأقرأته من حاجبه السلام وأخبرته بما قال فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : [صدق] ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح.(١)

وزاد ابن سعد: أن حاجب الحارث الغساني "مري" أسلم، وبعث إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بكتاب مع شجاع يقرئه به السلام ويخبره أنه على دينه، فقال عليه السلام: صدق.(٢)

---

(١) انظر: زاد المعاد – (٣ / ٥٠٧/ ٦٠٨)، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد – (١ / ٢٦١)، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الخصائص الكبرى – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م (٢ / ١٩). الامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير ٧٠١ – ٧٤٧ ه ، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد ،دار المعرفة، بيروت – لبنان، (٣ / ٥٠٦). عز الدين بن جماعة الكتاني، سنة الولادة ٦٩٤هـ / سنة الوفاة ٧٦٧هـ، المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق سامي مكي العاني، دار البشير، سنة النشر ١٩٩٣م، مكان النشر عمان (١ / ١١٦). أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، دار النشر / عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٥هـ.تحقيق: محمد عظيم الدين، (١ / ٢٨٤)، ابن الجوزي، الوفا بتعريف فضائل المصطفى، دار المعرفة، (١ / ٤٧٤)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف – بيروت (٤ / ٢٦٨)، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تاريخ الأمم والرسل والملو، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، (٢ / ١٢٨).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد – (١ / ٢٦١)، وانظر: المراجع السابقة

تحليل كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الحارث الغساني

نلاحظ أن كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الحارث كان مختصرا، حيث دعاه إلى الإيمان بالله، ومتابعته لأنه رسول الله، ورغبه بأنه رسول الله، ورغبه بأنه إن فعل ذلك فإنه سيبقى له ملكه. وهذه دعوة من الرسول صلى – الله عليه وسلم – إلى الحارث الغساني، ليتخلى عن موالاة الروم والتحالف معهم، والدخول في الإسلام، ليكون من المسلمين، ويضم بلاده إلى الرقعة الإسلامية المتنامية!

وختم الرسول – صلى الله عليه وسلم – كتابه، واستدعى شجاع بن وهب الأسدي – رضي الله عنه–، وكلفه بالذهاب إلى الحارث، وتبليغه الدعوة.

حمل شجاع بن وهب رضي الله عنه الكتاب، وتوجه إلى (بصرى) عاصمة الغساسنة، للقاء الحارث الغساني.

وصل شجاع بن وهب بصرى، فإذا بالحارث الغساني مشغول بتجهيز الأمور لاستقبال هرقل قيصر.

فقد انتصر هرقل على كسرى، وهزم الفرس، وأرادا التوجه إلى بيت المقدس لشكر الله، الذي نصره على الفرس المجوس، وكان هرقل نصرانيا، وهو سيمر على بصرى عاصمة الغساسنة في طريقه إلى بيت المقدس.

ولذلك قام الحارث الغساني بالاستعدادات المطلوبة لاستقبال هرقل ولا يملك غير ذلك، ألم يكن تابعا للرومان؟ والتابع ملزم بحسن متابعة المتبوع، وإلا كان مشكوكا في متابعته له !!

وبما أن الحارث كان مشغولا بالاستعدادات لاستقبال هرقل، فلا وقت عنده لاستقبال رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

أقام شجاع بن وهب عدة أيام وهو يحاول مقابلة الحارث دون جدوى، وقد تعرف خلال هذه الأيام على صاحب الحارث – رئيس الديوان عنده – وهو رجل روماني اسمه (مرى).

وأخبر شجاع الحاجب (مرى) بمهمته، وأنه رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فقال له الحاجب: لا يمكن أن تقابله إلا عند خروجه يوم كذا وكذا.

ولما سمع (مرى) اسم محمد – صلى الله عليه وسلم – وأنه رسول الله، اهتم بالأمر؛ لأنه كان نصرانيا مطلعا على الإنجيل، وعلى بشارات الأنبياء السابقين بالنبي الخاتم.

صار مرى يسأل شجاع بن وهب عن صفات رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، وعما يدعو إليه، وكان شجاع يجيبه على أسئلته، فيرى الاهتمام والتأثر على ملامحه، وكان يزيد به التأثر فيصل إلى حد البكاء.

وكان يقول لشجاع: لقد قرأت الإنجيل، ووجدت فيه صفات النبي الخاتم، ووجدت هذه الصفات تنطبق على محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم- ، وأخشى إن أظهرت إيماني به أن يقتلني الحارث.

ثم قال مرى لشجاع: إنني أؤمن أن محمدا هو رسول الله، فأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله!

وبذلك أسلم مرى الحاجب النصراني على يد شجاع بن وهب الأسدي.

ورتب الحاجب لقاء شجاع مع الحارث، واستعد الحارث لمقابلة شجاع وجلس في ديوانه، ووضع التاج على رأسه، ولبس زينته، ثم دخل شجاع بن وهب عليه.

سلم ابن وهب كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الحارث، وفتح الحارث الكتاب وقرأه.

ولما قرأه استشاط غضبا، ورمى بالكتاب على الأرض، وقال: من هو هذا الرجل الذي يهددني وينتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه لحربه وقتاله، ولو كان باليمن !![١]

وكدليل على نزقه وتسرعه وعجلته أمر بتجهيز الجيوش للتوجه إلى المدينة لقتال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.

وعند ذلك توجه إلى شجاع الجالس أمامه، وقال له: هذا هو ردي على كتاب صاحبك، فأخبره بما ترى.

فكان رد الحارث على الكتاب هو إعلان الحرب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، ويعلمه أنه قد أمر بتسيير جيش لقتاله في المدينة، وأن الحارث سيقود هذا الجيش بنفسه.

---

(١) انظر: صلاح الخالدي، الرسول المبلغ ص٢٢٨-٢٣٠

وصل كتاب الحارث إلى هرقل وهو في بيت المقدس، وكان هرقل قد تلقى هو أيضا كتاب الرسول - صلى الله عليه وسلم-، مع دحية الكلبي - رضي الله عنه-، يدعوه إلى الإسلام.

وكان ميل هرقل القلبي مع النبي - صلى الله عليه وسلم-، ويتمنى لو يسلم قومه ليسلم معهم.

ولذلك ثبط هرقل الحارث عن غزو المسلمين، وقال له: لا تسر لمحمد بن عبدالله، وأوقف تجهيز الجيش، وتعال عندي إلى بيت المقدس!

أوقف الحارث استعداداته العسكرية، بعدما جاءه الأمر من سيده هرقل، وتوجه إلى بيت المقدس للاجتماع به.

تأخرشجاع بن وهب أياما أخرى في بصرى، بعد سفر الحارث إلى بيت المقدس، وكان يجلس مع الحاجب المهتدي المسلم (مرى).

وقبيل عودة شجاع بن وهب إلى المدينة، أكرمه (مرى) إكراما كبيرا، وإعطاه مئة مثقال ذهبا، وأمر له بنفقة كافية وكسوة مناسبة.

وقبل خروج شجاع بن وهب من بصرى قال له الحاجب (مرى): بلغ سلامي لمحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وأخبره أني على دينه، وأني متبع له!

ولما وصل شجاع - رضي الله عنه - المدينة، أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموقف الحارث بن أبي شمر من كتابه، وكيف ألقى به على الأرض، وكيف أمر بتسيير الجيش لغزو المدينة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((باد ملكه))!!

والمعنى أن الحارث هو الخاسر برفضه الإسلام، وأن ملكه الذي آثره على الإسلام سيبيد ويزول، وبذلك يفقد ملكه في الدنيا، والجنة في الآخرة.

وبعد ذلك أخبر شجاع بن وهب النبي – صلى الله عليه وسلم – بقصة الحاجب مرى وإسلامه، وبلغه سلامه، فقال – صلى الله عليه وسلم– : صدق. وهذا ثناء منه على (مرى) المهتدي.

ولم يعش الحارث الغساني طويلا بعد هذه الحادثة؛ فقد كانت مقابلته لشجاع بن وهب في آخر السنة السابعة، ولم تمض على هذه المقابلة إلا عدة أشهر حتى وافاه أجله، فلم يستمتع بملكه.(١)

(١) صلاح الخالدي، الرسول المبلغ ص٢٣٠-٢٣٢

المبحث الثالث: رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى هرقل عظيم الروم

المطلب الأول: قصة بعث رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل عظيم الروم

تعددت الروايات التي تناولت قصة بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم– بكتابه مع دحية الكلبي – رضي الله عنه – إلى هرقل عظيم الروم. وقد حاولت في بحثي هذا الجمع بين تلك الروايات؛ لتكتمل صورة أحداث تلك القصة من جميع جوانبها.

فيروي ابن كثير قصة تلك الرسالة في كتابه "البداية والنهاية":

عن عبد الله بن عباس يقول: حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال كنا قوما تجارا وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا فلما كانت الهدنة – هدنة الحديبية – بيننا وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا نأمن إن وجدنا أمنا فخرجت تاجرا إلى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلا إلا وقد حمّلني بضاعة وكان وجه متجرنا من الشام غزة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها

وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام فخرج منها يمشي متشكرا إلى بيت المقدس ليصلي فيه تبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها فأصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء

فقالت له بطارقته: أيها الملك لقد أصبحت مهموما، فقال: أجل، فقالوا: وما ذاك؟ فقال: أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر فقالوا: والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن إلا اليهود وهم تحت يديك وفي سلطانك فإن كان قد وقع ذلك في نفسك[1] منهم فابعث في مملكتك كلها فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه فتستريح من هذا الهم. فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع إليهم.

---

(١) انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه– باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم (ج١ /ص ٨) وانظرأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري . الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. باب كِتَابِ النبى –صلى الله عليه وسلم– إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام. – (٥ / ١٦٣).وانظر :إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء. البداية والنهاية (ج٤ ص ٢٦٢)مكتبة المعارف – بيروت

فقال: أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن حدث كـان بـبلاده فاسأله عنه، فلما انتهى إليه قال لترجمانه: سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده؟ فسأله، فقال:

هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون وقـد كانت بينهم ملاحم في مواطن فخرجت من بلادي وهم على ذلك، فلما أخبره الخبر قال: جردوه، فإذا هو مختتن فقال: هذا والله الذي قد أر لا ما تقولون أعطه ثوبه انطلق لشأنك، ثم إنـه دعـا صاحب شرطته فقال له: قلب لي الشام ظهرا لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا أسـأله عـن شأنه.

قال أبو سفيان(١): فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى هرقل، يدعوه إلى الله تعالى ودين الإسلام، وأمر دحية أن يدفعه إلى قيصر، فلما وصل دحيـة إلى الحارث ملك غسان أرسل معه عدي بن حاتم ليوصله إلى قيصر، فلما ذهب به إليـه قـال قومه لدحية: إذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك، قال دحية: لا أفعـل هذا أبدا، ولا أسجد لغير الله.

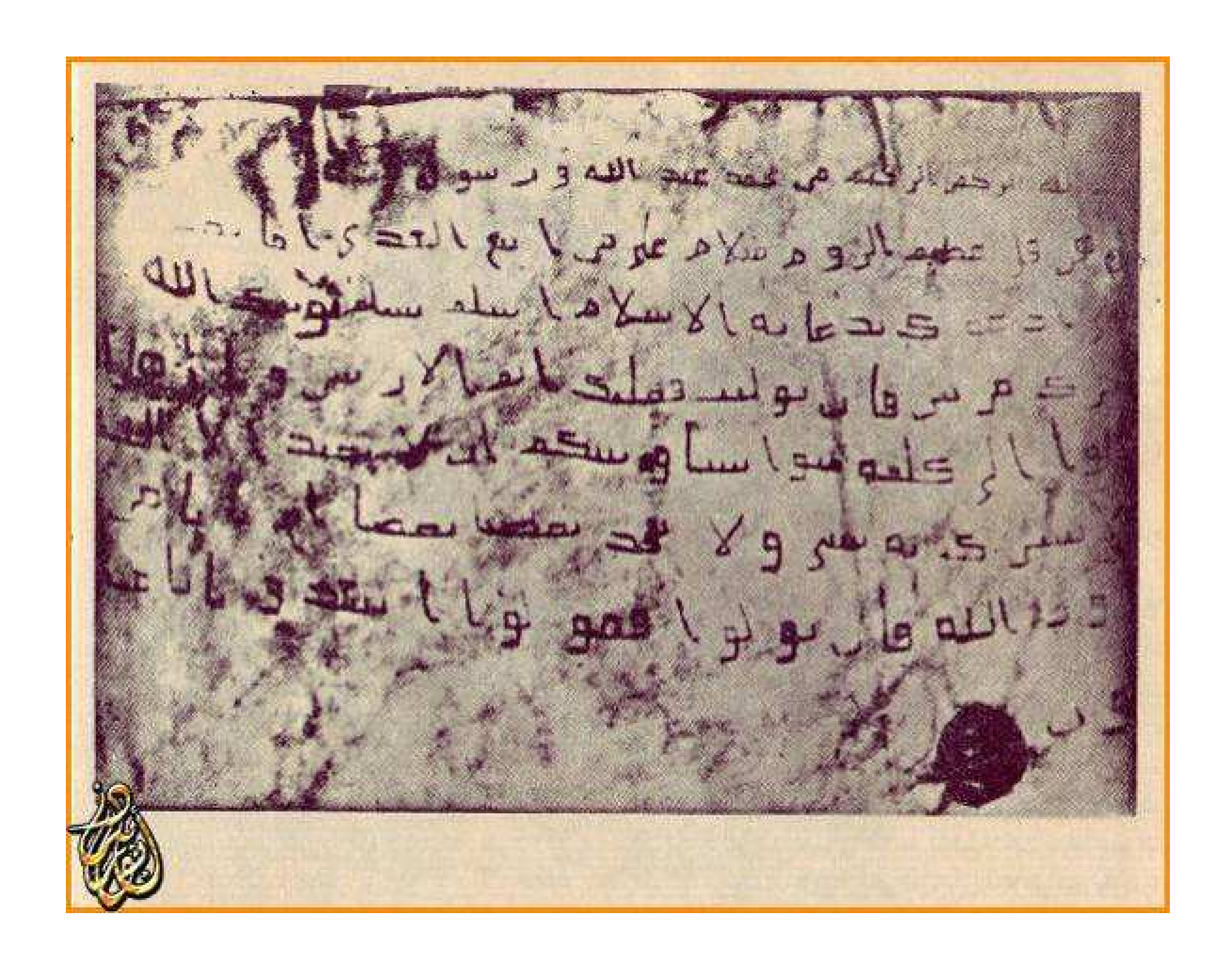
قالوا: إذا لا يؤخذ كتابك، فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له، فقال دحية: وما هو ؟ قال: إنه له على كل عتبة منبرا يجلس عليه، فضع صـحيفتك تجـاه المنبر حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها، ففعل، وكان هرقل قد استدعى أبو سفيان وأصـحابه ليسأل عن شأن النبي – صلوات الله عليه – فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنـوان كتـاب العرب وقال: إن هذا كتاب لم أره بعد سليمان – عليه السلام– : "بسم الله الرحمن الرحيم"

(١) ابن كثير .البداية والنهاية – (٤ / ٢٦٣)

(٢) انظر: الشيخ علي الأحمدي الميانجي مكاتيب الرسول المجلد الثاني ص ٤٠٠ / التنضيد والإخراج: مركز تحقيقات الحج المطبعة: دار الحديث الناشر: دار الحديث .الطبعة: الأولى – ١٩٩٨ م

فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية (فقرأه فإذا فيه بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمد عبد اللّه ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك اللّه أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [١]} [٢]



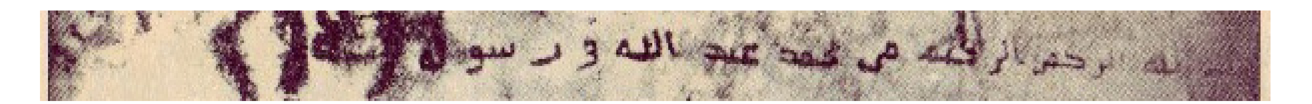
---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) صحيح البخاري (١ / ٨). صحيح مسلم – (٥ / ١٦٣)حديث رقم٤٧٠٧ .على الاحمدي .مكاتيب الرسول. م٢ ص٤٠١

* محمد حميد الله. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص١٠٨. دار النفائس .الطبعة السابعة١٤٢٢–٢٠٠١.

وفيما يلي توضيح لما في ثنايا هذه الرسالة الكريمة:



بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله



إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد



فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم ويؤتك الله



أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب



تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله



ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من



دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسـلمون



ختم محمد رسول الله

المطلب الثاني: كيف كتبت رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل

لقد كتبت الرسالة النبوية على الرق المصقول بمداد أسود ولم تكن الرسالة معجمة، فهي بدون نقاط لفظية أو أعجام لغوية، ختمت بختم النبي – صلى الله عليه وسلم – على مسافة تقع حوالى الثمن الأول من اليمين والختم النبوي قد طمس في بعض أجزائه إلا أن كلمة (محمد) يمكن قراءتها كما أن بعض أجزاء كلمة ((رسول)) و ((الله)) يمكن تمييزها.

لقد كانت الرسالة بسيطة في كتابتها لم يدخل عليها أي نوع من الزخرفة أو التزيين، وإنما استعملت الكتابة البدائية الأولية المعروفة بالخط المدني، إلا أن الكلمات جميعها واضحة ودقيقة بخط رفيع مميز وواضح، وهذه الرسالة أكثر دقة في الكتابة والتنسيق من رسالة المنذر، كما أن الأسطر مستقيمة بقدر الإمكان و الحروف واضحة المعالم والشكل، والمسافات المتواجدة بين الأسطر متساوية تقريبا كما أن المسافات بين الكلمات متناسقة وتدل على التنسيق الجيد المناسب للفترة التي كتبت فيها الرسالة.

إن هذا الرسالة هي في الواقع أحسن وأجود الرسائل الموجودة حاليا ومع أن الخط بدائي، إلا أنه أكثر دقة واعتدالا وتناسقا وسمكا، كما أن الوضوح التام متميز في أجزاء الرسالة جميعها، ما عدا الخاتم النبوي الشريف في ذيل الرسالة.

ويمكن للمرء أن يقرأ محتويات هذه الرسالة إذا تمعن في الكلمات فهناك العديد من الكلمات التي لا تحتاج إلى فك لغزها لأنها أقرب للخط البسيط الميسر، والواقع أن هذه الرسالة من أدق الرسائل النبوية المتواجدة وأكثرها جمالا وتيسيرا وأسهلها كتابة ووضوحا ولا بد أنها قد كتبت من قبل أحد كتاب النبي ذوي الخبرة الطويلة في الكتابة وذوي الخط الحسن.

وإنه ليس بغريب أن يكون كاتبها هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت فقد عرف عنه أنه ذو خط حسن وهو من الصحابة الذين لازموا النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان كاتب الوحي والقرآن الكريم في مراحل تدوينه الثلاث. والرسالة مكونة من ثمانية أسطر و٦٧ كلمة بما فيها خاتم النبي – صلى الله عليه وسلم–.[١]

---

(١) انظر: عبد اللطيف جاسم كانو. الرسائل النبوية الأولى ص٨٢-٨٣ إصدارات بيت القرآن الكريم – مايو ١٩٩٧.المنامة – البحرين. الطبعة الأولى

وتذكر بعض الروايات أن ابن أخ قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه: قد ابتــدأ بنفســه وسماك صاحب الروم، فقال: والله إنك لضعيف الرأي، أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه النــاموس الأكبر، وهو أحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكه وفــي نقــل آخر: إن هذا الرجل أخوه.[١]

(١) علي الاحمدي. مكاتيب الرسول م٢ ص٤٠٣

المطلب الثالث: أبو سفيان في مجلس هرقل

يقول أبو سفيان: والله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأغلف يريد هرقل فقال: أيكم أمس به رحما؟ فقلت: أنا، قال: ادنوه مني، قال: فأجلسني بين يديه ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي، وقال: إن كذب فردوا عليه، قال أبو سفيان: فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا علي ولكني كنت امرءا سيدا أتكرم وأستحي من الكذب وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عني ثم يتحدثونه عني بمكة فلم أكذبه، فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم؟

فزهدت له شأنه وصغرت له أمره فقلت: سلني عما بدا لك؟ فكان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟[١] قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أُدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا اللّه وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذُو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القَول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله، وسألتك، هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطّلب ملك أبيه [٢]

---

(١) انظر المرجع السابق وانظر صحيح البخاري ج١ / ص ٩

(٢) صحيح البخاري ج١ / ص٩

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لـــم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على اللَّه، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه فــذكرت أن لا وكــذلك الإيمان حين تخالطُ بشاشته القلوب وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر

وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئا وينهــاكم عــن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قــدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظُن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليــه لتجشــمت لقَاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه قال أبو سفيان فلما قَال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أُخرجنا لقد أمر أمر ابن أبــي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدْخل اللَّه علي الإسلام.[١]

ثم أخذ هرقل الكتاب فجعله بين فخذه وخاصرته ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كــان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله – صلى الله عليه وسلم–[٢] فلما قــرأ الكتاب قال الأسقف: "والله صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه وهــو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر ثم دخل وألقى ثيابا كانت عليه سودا ولبس ثيابــا بياضا ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فأعلن إسلامه أمامهم فوثبوا عليه فقتلوه."[٣]

ثم إن هرقل لما أراد الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية قام فجمع الروم فقال: يا معشر الروم إني عارض عليكم أمورا فانظروا فيما أردت بها، قالوا: ما هي؟ قال: تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده نعرفه بصفته التي وصف لنا فهلم فلنتبعه فتســلم لنــا دنيانــا وآخرتنا.

---

(١) صحيح البخاري (١ / ١٠)

(٢) انظر: ابن كثير. البداية والنهاية (٤ / ٢٦٤)

(٣) "انظر" ابن كثير. البداية والنهاية (٤ / ٢٦٧

فقالوا: نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكا وأكثر رجالا وأقصاه بلـــدا. قال: فهلم أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه. قالوا: نحـــن نعطي العرب الذل والصغار بخراج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عددا وأعظمه ملكا وأمنعـــه بلدا لا والله لا نفعل هذا أبدا. قال: فهلم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام.

قال: وكانت أرض سورية فلسطين والأردن ودمشق وحمص، وما دون الدرب ســـورية، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام. فقالوا: نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها أرض سورية الشام لانفعل هذا أبدا. فلما أبوا عليه قال: أما والله لتودنّ أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منـــه في مدينتكم. قال: ثم جلس على بغل له فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال: السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع، ثم ركض حتـــى دخـــل قســـطنطينية والله أعلم.[1]

---

(١) "انظر" ابن كثير. البداية والنهاية (٤ / ٢٦٨)وانظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجرالعسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ). تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب ج١ص ٤٤ دار الفكر

المطلب الرابع: إكرام هرقل لرسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

ثم أمر الملك بإنزال دحية[(١)] وإكرامه، وأمر مناديا ينادي: ألا إن هرقل قد ترك النصرانية، واتبع دين محمد (صلى الله عليه وآله)، فأقبل جنده قد تسلحوا حتى أطافوا بقصره، فأمر مناديه فنادى: ألا إن قيصر إنما أراد أن يجربكم كيف صبركم على دينكم، فقد رأيت، فارجعوا قد رضي عنكم. فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل[(٢)].

قال التنوخي: "أنه بعد ما قرأ الكتاب وجرى ما تقدم دعا رجلا من عرب تجيب كان على نصارى العرب قال: أدع لي رجلا حافظا للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاءني فدفع إلي هرقل كتابا فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما صغيت من حديثه فاحفظ منه ثلاث خصال:

انظر هل يذكر صحيفته التي أرسل إلي بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي هل يذكر الليل، وانظر ظهره هل به شيء يريبك؟ فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك، فإذا هو جالس بين أصحابه على الماء فقلت: أين صاحبكم؟ قيل: هاهو ذا، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: ممن أنت؟

---

(١) دحية بن خليفة الكلبي: هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم . شهد أحدا وما بعدهما وكان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه و سلم في صورته أحيانا وبعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى قيصر رسولا سنة ست في الهدنة فآمن به قيصر وامتنع عليه بطارقته فأخبر دحية رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك فقال: " ثبت الله ملكه. وذكر موسى بن عقبة عن شهاب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه دحية الكلبي بجبريل عليه السلام. الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (١ / ١٣٧) و أسد الغابة – (١ / ٣٣٥). أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. الإصابة في تمييز الصحابة (٢ / ٣٨٥) دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢

(٢) علي الاحمدي. مكاتيب الرسول م٢ ص٤٠٣ وانظر ابن حجر.فتح الباري– تعليق ابن باز – (١ / ٣٣).

قلت: أنا أحد تنوخ فقال: هل لك في الحنيفية ملة أبيكم إبراهيم؟ قلت: إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم. قال: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين، يا أخا تنوخ إني كتبت بكتابي إلى النجاشي فخرقها والله مزقه ومخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبكم بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير، وكتبت إلى كسرى والله ممزقه وممزق ملكه.

قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها وأخذت سهما من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي. ثم إنه ناول الصحيفة رجلا عن يساره، فقلت من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية، فإذا في كتاب صاحبي: " تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار، فأخذت سهما من جعبتي فكتبته في جلد سيفي، فلما فرغ من قراءة كتابي قال: إن لك حقا، وأنت رسول الحديث"(١)

ورد قيصر دحية بن خليفة مكرما، وأهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هدية وكتب إليه كتابا يعتذر فيه: "إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم: إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيرا لهم، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك".

وجعل كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الديباج والحرير وجعله في سفط، فلما وصل كتابه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " يبقى ملكهم ما بقى كتابي عندهم ". ونقل الحلبي: أنه قال (صلى الله عليه وآله): " كذب عدو الله إنه ليس بمسلم "(٢)

---

(١) علي الاحمدي. مكاتيب الرسول م٢ ص٤١٥-٤١٦

(٢) علي الاحمدي .مكاتيب الرسول م٢ ص٤٠٩-٤١٠. وانظر :ابن حجرفتح الباري تعليق ابن باز – (١ /٣٧).

المطلب الخامس: تعظيم هرقل وملوك الروم من بعده لكتاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

وقد روي أن هرقل وضع كتاب رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - الذي كتب إليه في قصبة من ذهب تعظيما له وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابرا عن كابر في أرفع صوان وأعز مكان حتى كان عند "إذفونش" الذي تغلب على طُليطلة وما أخذ أخذها من بلاد الأندلس ثُم كان عند ابن بنته المعروف "بالسليطين"

حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته من قواد أجناد المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد قال فأخرجه إلي فاستعبرته وأردت تقبيله وأخذه بيدي، فمنعني من ذلك صيانة له وضنا به علي. ويقَال هرقل وهرقل ..يقول الإمام البخاري: وأنبأني غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ الدمشقي قال: حدثني سيف الدين فليح المنصوري قال: أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك الغرب بهدية، فأرسلني ملك الغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها، وعرض علي الإقامة عنده فامتنعت

فقال لي: لأتحفنك بتحفة سنية، فأخرج لي صندوقا مصفحا بذهب، فأخرج منه مقلمة ذهب، فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد التصقت عليه خرقة حرير فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زلنا إلى الآن نتوارثه، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا.

ويؤيد هذا ما وقع في حديث سعيد بن أبي راشد الذي أشرت إليه آنفا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عرض على التنوخي رسول هرقل الإسلام فامتنع، فقال له: يا أخا تنوخ إني كتبت إلى ملككم بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير.

وكذلك أخرج أبو عبيد في كتاب الأموال من مرسل عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: " أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية، ويؤيده ما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما جاءه جواب كسرى قال: مزق الله ملكه. ولما جاءه جواب هرقل قال: ثبت الله ملكه. والله أعلم(١)

---

(١) الروض الأنف - (٤ / ٣٠٤) دت.دط

المطلب السادس: انتقال كتاب الرسول لهرقل إلى ملوك الفرنج

ظلت هذه الرسالة متوارثة في أسرة هرقل، وكان منهم حكام في الأندلس ثم انقطعت أخبارها بعد ذلك، حتى وُجدت في سنة ١٩٧٤ بحوزة أميرة عربية كانت تقيم في لندن، وما إن علم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله بأمر الرسالة (الوثيقة) حتى أوفد مستشاره إلى زيوريخ حيث كانت مودعة في خزانة خاصة بأحد البنوك، ثم جرى نقلها بحضور الأميرة إلى خزينة أخرى بأحد بنوك لندن، حيث دُرست هناك وتبين أنها الرسالة نفسها التي بعث بها النبي الى هرقل[١].

وهذه الرسالة النبوية الكريمة موجودة الآن لدى الملك حسين بن طلال ملك الأردن – رحمه الله تعالى–، فقد أعلن جلالته في بلاغ للشعب الأردني في إبريل من عام ١٩٧٧ عن حيازته لهذه الرسالة النبوية الشريفة وقد جاء في بيان جلالته أن هذه الرسالة الطاهرة أعز ما ترك الملك عبدالله بن الحسين مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية التي عاش لها وقضى في سبيلها وبسبب قيمتها التاريخية التي لا تحد ولا تقدر فقد أودعها بيد أمينة وأوصى بأن تسلم إلى من يقدر أهميتها ويدرك قيمتها .. ويحرص على صيانتها للمعاني الكبيرة التي حملتها على مدى ما يقرب من أربعة عشر قرنا من الزمان.

لقد تحدث الحسين عن كيفية وصول الرسالة إليه، ثم انتقل إلى كيفية المحافظة عليها فقال جلالته:

((حفظا للأمانة التي انتهت إلينا وصونا لها فقد ارتأيت أن أبقيها بعون الله في مسجد الهاشمية في ذلك الموقع من بلدنا الذي يطل على الوادي الأخضر كما يطل على القدس الشريف)). ومسجد الهاشمية بني على مقربة من قصر جلالته من أجل أن تدفن في أحد أركانه عليا الحسين التي توفيت في حادث الطائرة العمودية في ذلك العام.

---

(١) انظر: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي.الرسول المبلغ ص١٥٠. دار البشير. الطبعة الاولى١٩٩٧

لقد سجلت مصادر عديدة عن تواجد هذه الرسالة النبوية الشريفة فقد ذكر أنها كانت في طليطلة من بلاد الأندلس لدى ملك الفرنجة الفانسو، وقيل أنها كانت محفوظة في كنيسة إشبيلية بأسبانيا، وقد كان حوارحول رسائل النبي وبصفة خاصة رسالة النبي إلى هرقل بمؤتمر((البحث العلمي)) في إبريل ١٩٧٧م وكان حديث الساعة في ذلك المؤتمر هو إعلان الملك الحسين عن حصوله على رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل.

قد أسفر الحوار عن النتائج التالية :

إن الرسالة قد كتب عنها المستشرق الألماني هوللر منذ أكثر من ١٠٠ عام، وذكر أن القائد ابن سعيد الغرناطي قد رآها في أواسط القرن السادس الهجري عند ألفونسو السابع ملك أسبانيا .. قدمت الرسالة النبوية إلى الخليفة الموحدى الناصري من قبل الملك جون ملك إنجلترا في أوائل القرن السابع الهجري حيث بقيت الرسالة النبوية في البلاط المغربي فترة من الوقت.

لقد شاهدها السفير المصري الذي جاء إلى المغرب من أجل أن تتوسط المغرب بين مصر وملوك الفرنجة حيث بعثه ملوك بني مرين إلى الفويس العاشر.

إن السلطان المولى إسماعيل جد الدولة العلوية الحاكمة كاتب مرارا الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا من أجل استرجاع هذه الرسالة النبوية في اواسط القرن الحادي عشر الهجري على أثر الأنباء التي وصلت عن طريق البرتغال عن وجود الرسالة في أوروبا .. وأن صلات أوروبا المسيحية بالعالم الإسلامي غربا وشرقا ظلت قائمة عبر القرون سواء عن طريق المراسلات أو السفارات أو بوساطة الحجاج المسيحيين الذين كانوا يقصدون القدس الشريف ولهذا فانه ليس بالمستبعد أن تكتشف هذه الرسالة النبوية في المملكة الأردنية الهاشمية.[١]

---

(١) عبد اللطيف جاسم كانو. الرسائل النبوية الأولى. ص٨٤-٨٩

وقد كانت هذه الرسالة موضع اهتمام من قبل سماحة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية وقد عرضت في الخليج على كل من الكويت وأبو ظبي، ولقد ألقى الدكتور عز الدين إبراهيم المستشار الخاص لرئيس دولة الإمارات العربية عدة محاضرات عن هذه الوثيقة التاريخية وأرسلت إلى متحف لندن وجامعة ليدز للتدقيق والتحقيق من صحتها ومحتوياتها وقد أكدت جميع الأبحاث التي تمت على هذه الرسالة على أنها الوثيقة الأصلية التي أرسلها النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل ملك الروم.

وتحدث الملك حسين عن هذه الرسالة النبوية الشريفة بأن جلالته أودع هذه التحفة التاريخية بين يدي العلماء والإخصائيين في المتحف البريطاني وجامعة ليدز.. وهما أعظم مركزين للتدقيق في المخطوطات والآثار التاريخية الثمينة.

وظلت هذه الوثيقة فترة من الزمن بين يدي العلماء والإخصائيين في هذين المركزين الموثوقين وأجروا عليها مختلف أنواع التجارب والاختبارات والفحوصات للتحقق من صحتها ومن محتوياتها وتاريخها.

وأكدت التقارير التي وضعها هؤلاء العلماء والإخصائيون أنهم أجروا بحوثات وفحوصات في منتهى الدقة، تناولت نوع الحبر الذي كتبت به والرق الذي كتبت عليه، وتأثير درجات الحرارة عليه ومحتويات الرق من الكالسيوم وعمر هذه الوثيقة. وخرجوا بنتيجة بأنها الأصل وأنها الوثيقة الأصلية نفسها التي أرسلها رسول الله محمد بن عبدالله – صلوات الله عليه وسلامه– إلى هرقل عظيم الروم.

وجاء في تقرير المتحف البريطاني أن الرسالة الوثيقة كتبت على ورقة واحدة، وأن مادة الوثيقة هي من جلد الغزال وأن حبر الخاتم الذي وثق الرسالة الكريمة هو نفس الحبر الذي كتبت به الرسالة، وجاء في تقرير المتحف البريطاني أن الرسالة كتبت على الجانب الداخلي من الجلد، وأن المداد الذي استعمل يدخل في تركيبه عدة مواد وأن الجلد امتص هذه المواد بعمق، الأمر الذي ساعد على حفظ الخط بحالته الجيدة الحالية، رغم تقادم السنين عليه.

وأثبت تقرير المتحف البريطاني أن نوع الحبر الذي كتبت به الرسالة الكريمة، والجلد الذي كتبت عليه، هو من نفس النوع الذي كان متداولا في القرن السابع الميلادي والذي وجد في العديد من الوثائق التاريخية الأخرى التي حفظها التاريخ العربي من نفس تلك الفترة.

وأجمعت تقارير هذين المركزين في النهاية على أن هذه الرسالة هي الوثيقة الأصلية الأكيدة التي تحدرت عبر الأجيال، من زمن رسول الله محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم –واستقرت في أيدي أبناء البيت، فحفظوها أبا عن جد، وقد احتفظ التراث التاريخي ذلك الثمين المقدس بكل عناية وحرص، إلى أن كشف جلالة الملك الحسين النقاب عن هذه التحفة الإسلامية النادرة والتي يعتز بها كل مسلم(١).

---

(١) عبد اللطيف جاسم كانو .الرسائل النبوية الأولى. ص٨٧-٨٩

المطلب السابع: تحليل كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى هرقل

ذكر البخاري قصة بعث النبي بكتابه إلى هرقل يدعوه فيها إلى الدخول في الإسلام في ذلك الباب الذي استفتحه بحديث الأعمال بالنيات، كأنه قال إن صدقت نيته انتفع بها في الجملة، وإلا فقد خاب وخسر وذكر الواقدي أن ذلك في آخر سنة ست في ذي الحجة بعد عمرة الحديبية وذكر البيهقي أن ذلك كان بعد غزوة مؤتة ولا خلاف بينهم إذ أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول أبي سفيان لهرقل حين سأله: هل يغدر؟ فقال: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها.

وفي لفظ البخاري (وذلك في المدة التي ماد فيها أبو سفيان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–) وقال محمد بن اسحاق كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام. وذكر البخاري: أن[١] وصوله إلى هرقل كان في المحرم سنة سبع، والهدنة كانت في آخر سنة ست اتفاقا.[٢]

حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – على ظهور عزته وعزة الدولة الإسلامية في كل كلمة من كلمات الخطاب. فقد بدأ أولا: باسمه قبل اسم هرقل، والسنة أن يبدأ الكتاب بنفسه، وهو قول الجمهور،[٣] وهذا الكلام كان خطيرا في زمانهم، فقد كتب – صلى الله عليه وسلم–:

من محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل عظيم الروم، ولم يكتب ملك الروم ومن أجله غضب ابن أخ الملك لما فيه من الإيذان بعدم قبول كونه ملكا، وأن الملك لله ولمن ولاه سبحانه،[٤] وكان عند هرقل ابن أخ له، أحمر أزرق سبط الرأس. فلما قرأ الكتاب سخر فقال: لا تقرأه، إنه بدأ بنفسه. فقال قيصر: لتقرأنه فقرأه. و "عظيم الروم" فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة، لأنه معزول بحكم الإسلام،[٥] ولكنه لم يخله من الاكرام لمصلحة التأليف.

---

(١) انظرابن كثير. البداية والنهاية – (٤ / ٢٦٢) كتاب بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم.

(٢) انظرابن حجر. فتح الباري– تعليق ابن باز – (١ / ٣٨)

(٣) انظر: ابن حجر. فتح الباري– تعليق ابن باز– (١ / ٣٨)وانظر: د.صلاح الخالدي. الرسول المبلغ. الطبعة الاولى١٩٩٧.دار القلم – دمشق .

(٤) علي الأحمدي. مكاتيب الرسول م٢ ص٣٩٣.

(٥) انظرابن حجر. الباري– تعليق ابن باز ج١ /ص ٣٨

فمع إظهار هذه العزة و القوة إلا أنه لم يقلل من قيمة الطرف الآخر بالعكس رفع قدر الطرف الآخر وحفظ له مكانته فقال: إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى " كان (صلى الله عليه وآله) يكتبه لغير المسلم يعني من لم يتبع الهدى فلا سلام عليه[١]، والسلام هو تحية المسلم للمسلم.

فإن قيل: كيف يبدأ الكافر بالسلام؟ فالجواب أن المفسرين قالوا: ليس المراد من هذا التحية، إنما معناه سلم من عذاب الله من أسلم.ولهذا جاء بعده أن العذاب على من كذب وتولى.وكذا جاء في بقية هذا الكتاب "فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين". فمحصل الجواب أنه لم يبدأ الكافر بالسلام قصدا وإن كان اللفظ يشعر به، لكنه لم يدخل في المراد لأنه ليس ممن اتبع الهدى فلم يسلم عليه..[٢]

ثم دعاه مباشرة للدخول في الإسلام، فقال: أدعوك بدعاية الاسلام. و "الدعاية" بكسر الدال الدعوة وفي كتابه (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل أدعوك بدعاية الإسلام أي بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يدعو إليها الملل الكافرة، وفي رواية: " بداعية الإسلام " وهي مصدر بمعنى الدعوة كالعافية " بداعية الإسلام "[٣] أي: بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والباء موضع إلى.وقد وقعت هذه الكلمة في كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى كسرى والمقوقس أيضا، ودعوة الله أي: ما يدعو إليه الله تعالى [٤]............. .

---

(١) مكاتيب الرسول م٢[٣٩٤]

(٢) فتح الباري- تعليق ابن باز - (١ / ٣٨)

(٣) انظر :الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح.منهج الدعوة الاسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية ص٢٨ مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤١٩

(٤) ابن حجر .فتح الباري- تعليق ابن باز - (١ / ٣٨)

وأيضا جمع في مهارة عجيبة بين الترهيب والترغيب يقول له في صيغة ليس فيها تردد: "أسلم تسلم " أي إن أسلمت وقبلت دين الإسلام، وأجبت دعوة الله سلمت عن عقاب الله في الآخرة وعواقب الكفر والإلحاد في الدنيا. وفي بعض الروايات " أسلم أسلم يؤتك " وفي بعض آخر " أسلم تسلم أسلم يؤتك " فيحتمل التكرار التأكيد، ويحتمل أن يكون الأمر الأول للدخول في الإسلام، والثاني للدوام عليه كما في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا)** [١].

أسلم يؤتك الله أجرك مرتين. وفيها نوع من الترغيب،" يؤتك الله أجرك مرتين " إيتاء الأجر مرتين بإسلامه إما لإيمانه واتباعه أتباعه، لكونه سببا لايمانهم،.وهو موافق لقوله تعالى: { **أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ** }[٢]. وإعطاؤه الأجر مرتين لكونه كان مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد – صلى الله عليه وسلم– ، ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه ومن جهة أن إسلامه يكون سببا لدخول أتباعه.

واستنبط منه شيخنا شيخ الإسلام أن كل من دان بدين أهل الكتاب كان في حكمهم في المناكحة والذبائح، لأن هرقل هو وقومه ليسوا من بني إسرائيل، وهم ممن دخل في النصرانية بعد التبديل. وإما لإيمانه بالمسيح – على نبينا وآله وعليه السلام– ، وإيمانه بمحمد (صلى الله عليه وآله)، قال الله تعالى: **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ... أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)**[٣].

---

(١) سورة النساء: ١٣٦

(٢) سورة القصص: ٥٥

(٣) سورة القصص :٥٤–٥٥

وعد الذين يؤمنون بالرسول (صلى الله عليه وآله) من أهل الكتـاب أن يـؤتيهم أجـرهم مرتين ولعل ما في الآية يشير إلى كتاب الرسول (صلى الله عليه وآله) وما ورد في الأحاديث، وعلله في الآية الشريفة " بما صبروا "[١]

أي: صبرهم في الإيمان بالمسيح – على نبينا وآله وعليه السلام– ، وفي الإيمان بنبينـا (صلى الله عليه وآله) على الشدائد والأذى من اليهود ومن النصارى. كما أن عليه إثم صـدهم عن الإيمان إن لم يؤمن، فيقول له وهو يهدد بوضوح: فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين.

وذلك أيضا إشارة إلى قوله تعالى: **(وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ)** [٢] وقوله تعالى: **(لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْـمٍ)** [٣] وقولـه سـبحانه **(فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَـنْ سَـبِيلِ اللَّـهِ كَـثِيرًا)**[٤] والغرض أنه إذا لم يؤمن يتحمل إثمين: إثم كفره وتكذيبه النبي (صلى الله عليه وآله) وإثم صده أتباعه وخدمه وخوله ورعيته لصدهم عن سبيل الله كما دلت عليه الآيات الكريمة لا آثام الأتباع لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى.[٥]

الأريسيين "فإن أبيت فعليك إثم الأريسين" فقد اختلف في هذه اللفظة صيغة ومعنى، فروي الأريسين بوزن الكريمين، وروي الأريسين بوزن الشريبين، وروي الأرسيين بوزن العظميين، وروي بإبدال الهمزة ياء مفتوحة في البخاري. وأما معناها فقال أبو عبيد: "هم الخدم والخول [٦] يعني لصده إياهم عن الدين كما قال تعالى: **(رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَـادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَـا)** [٧] أي: عليك مثل إثمهم".

---

(١) علي الأحمدي. مكاتيب الرسول ج٢ ص ٣٩٦

(٢) سورة العنكبوت:١٣

(٣) سورة النحل: ٢٥

(٤) سورة النساء: ١٦٠

(٥) مكاتيب الرسول م٢ج [٣٩٦]

(٦) مكاتيب الرسول م٢ج [٣٩٥]

(٧) سورة الأحزاب: [٦٧]

ذهب ابن حجر في فتح الباري إلى القول بأن الأريس "الحراث": الأكار، العشار، الأريسي العامل في الأرض التابع لسيده جمع أريسيون.[١]

وقال ابن الأعرابي: " أرس يأرس أرسا فهو أريس، وأرسى يؤرس تأريسا فهـو أريـس وجمعها أريسون وأريسون وأدارسة هم الأكارون، وإنما قال ذلك، لأن الأكارين كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة النار، فجعل عليهم إثمهم " وقال أبو عبيد في الأمـوال: أصـحاب الحـديث يقولون: الأريسيين منسوبا مجموعا والأصح الأريسين يعني بغير نسب " ورده الطحاوي عليـه وقال بعضهم: إن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية، فجاء على النسب إليهم، وقيل: إنهـم أتباع عبد الله بن أريس، رجل كان في الزمن الأول قتلوا نبيا بعثه الله إليهم، وقيل: الأريسـون الملوك واحدهم أريس، وقيل: هم العشارون[٢].

فقد أوضح – عليه الصلاة والسلام– لهم إن عليهم إثم قومهم، أن هم رفضوا دعوته، معنى ذلك، أن حسابهم عند ربهم وليس عند قوات المسلمين، ولا في معارك عسكرية علـى الأرض. ونحن نراه – صلى الله عليه وسلم – يجمع بين الترغيب والترهيب فهو في ناحية يرغب وفـي ناحية أخري يرهب، وهذا الكلام في سطور قليلة للغاية.

وأيضا من دروس هذه الرسالة حسن اختيار الآية المناسبة من القرآن الكريم، فقد أتى بآية تقرب قلوب أهل الكتاب، توضح أن هناك قواسم مشتركة كثيرة بيننا وبينهم، حتى يفتح عقولهم للتفكير، ويرفع حواجز كثيرة جدا بين الطائفتين المسلمة والنصرانية.[٣]

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٩٥

(٢) راجع النهاية لابن الأثير. ومكاتيب الرسول [٣٩٧]

(٣) الروض الأنف – (٤ / ٣٠٤)

المطلب الثامن: أبو سفيان وأصحابه في مجلس هرقل

يسر الله عز وجل لهرقل لقاء غريبا عجيبا مما قد يكون مهد هرقل نفسيا لاستلام مثل هذه الرسالة العجيبة بعد الحديبية مباشرة، فقد سافر أبو سفيان لغزة للتجارة، وأمسكه بعض الجنود، وأخذوه إلى هرقل في بيت المقدس، والتوقيت عجيب من كل النواحي، فكأن الله سبحانه وتعالى أرسل أبا سفيان الذي كان كافرًا في ذلك الوقت ليقيم الحجة على هرقل في هذا اللقاء العجيب...

وهذا الحوار الذي دار بين هرقل زعيم أكبر دولة في العالم في ذلك الوقت وأبي سفيان زعيم قريش، ونحن نحسبه من أعجب الحوارات في التاريخ، وهو عجيب من أكثر من وجه؛ لاهتمام زعيم أكبر دولة في العالم بأمر رجل يظهر في صحراء العرب، أو من حيث دقة الأسئلة وذكاء الأسئلة، أو من حيث ردود أبي سفيان المشرك آنذاك

والذي كان يكره محمدًا – صلى الله عليه وسلم – كراهية شديدة، أو من حيث تعليق هرقل على كلام أبي سفيان في آخر كلامه، أو من حيث رد فعل هرقل بعد ما سمع كلمات أبي سفيان، إنه حوار عجيب بكل المقاييس.

هرقل يريد أن يعرف بجدية كل شيء عن هذا النبي، فسأل أقرب الناس إليه نسبا، ليكون على معرفة تامة به، وفي نفس الوقت جعل وراء أبي سفيان مجموعة التجار الآخرين كحكام على صدقه، وتحت تأثير إرهاب هرقل وبطشه، أبو سفيان سوف يخاف أن يكذب، ومن وراءه سوف يخافون أن يكذبوا، ولكن أقول لكم إن عامل الكذب هذا لم يكن واردا في القصة

فالعرب حتى في أيام الجاهلية كانت تستنكر صفة الكذب هذه، وتعتبرها نوعًا من الضعف غير المقبول، حتى أن أبا سفيان كان يقول تعليقا على كلمة هرقل هذه: فوالله لولا الحياء من أن يأثر أصحابي عني الكذب لكذبته حين سألني عنه ولكني استحييت أن يأثروا الكذب عني فصدقته.

فهو في هذه اللحظة – سبحان الله – مع أنه يكره الرسول – صلى الله عليه وسلم – كراهية شديدة، إلا أنه لا يستطيع أن يكذب على محمد – صلى الله عليه وسلم– ، لا يحب أن يشوه صورته بالكذب لدرجة أنه في رواية كان يقول: ولكني كنت امرأ أتكرم على الكذب، لا أكذب.

وبدأ استجواب هرقل لأبي سفيان أمام الجميع من العرب والرومان وفي حضور علية القوم من الأمراء والوزراء والعلماء من الرومان، وفي هذا الاستجواب سوف نرى أن هرقل سيسأله أسئلة يحاول بها أن يتيقن من أمر هذه النبوة التي ظهرت في بلاد العرب، هل هي نبوة حقيقية أم كذب؟

وهذه الأسئلة عبارة عن استنباطات عقلية، وهذه الأسئلة بناء على معلومات عن الأنبياء بصفة عامة، وعن هذا النبي بصفة خاصة كما جاء في التوراة والإنجيل، وكانت الإجابات واضحة وصريحة من قبل أبي سفيان إلا أنه عند سؤال هرقل إياه هل يغدر أم لا قال له: لا، إلا أننا وإياه في مدة لا ندري أيغدر فيها أم لا. أي أننا لا ندري هل يغدر بصلح الحديبية أم لا ؟

هذا كلام أبي سفيان فهو أراد أن يقول أي شيء سلبي عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– ، يقول أبو سفيان: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شكا غير هذه الكلمة.

أي حاولت قدر ما أستطيع أن أطعن في الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأي شيء فلم أستطع إلا بهذه الكلمة، وهرقل لم يعلق على هذه الكلمة، وكأنه لم يسمعها...[١]

انتهى الاستجواب الطويل من هرقل، وبدأ هرقل يحلل كل كلمة سمعها وكل معلومة حصل عليها حتى يخرج في نهاية الأمر باستنتاج خطير، وأعلن تلك النتيجة ترجمان هرقل، فقال لدحية: والله أني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وأنه الذي كنا ننتظر، ونجده في كتبنا، ولو كنت عنده لغسلت عنه قدمه ولكن أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته.

إنها كلمات خطيرة وعجيبة من زعيم الإمبراطورية الرومانية، فقد أيقن هرقل من أول وهلة أن هذا الرجل رسول حقا، وأن ملكه سيتسع حتى يأخذ بلاد الشام، وأنه يجب الاتباع له والانصياع الكامل لأمره، بل الرضوخ لقوله تماما، ويظهر في القصة التواضع الشديد من هرقل حتى أنه يتمنى أن لو غسل قدمي رسول الله – صلى الله عليه وسلم–

---

(١) انظر :أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)،فتح الباري، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)،ج١ص٣٧

ودعا هرقل بكتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمرسل مع دحية بن خليفة الكلبي – رضي الله عنه– ، وقرأ هذا الكتاب في وجود أبي سفيان، ونحن لا نعلم إن كانت هـذه أول مرة يقرأ هرقل الرسالة، أم قرأها قبل ذلك، وقد يكون هرقل قرأ رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل ذلك، ثم أراد أن يَعْرف أكثر عن هذا النبي، فبحث عمن يَعْرفه جيدا؛ ليسأله عنـه وعن سيرته وأخلاقه كما رأينا

ولعله أراد أيضا أن يُعَرِّف أساقفة الرومان وقادتها بهذا النبي الذي يريد أن يؤمن به هـو شخصيا، وقد رأينا أسئلته لأبي سفيان وتحليلاته الشخصية لأجوبة أبـي سـفيان عنهـا، تلـك التحليلات التي تنطق بأن هذا الرجل هو النبي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل.

وربما تألقت في نفسه "أي نفس هرقل" لوقت محدود فكرة الخروج من عقيدة التثليث إلى بساطة التوحيد، ثم انطفأت لما ستجره على الدولة من خلاف أشق في وهمه، وأمر المملكـة – عنده– أهم من أي شيء آخر.

فقدعقد هرقل مقارنة سريعة بين الملك وبين الإيمان، أي بين الحياة ملكا وبـين المـوت شهيدًا، فأخذ القرار، واختار الملك والحياة ورفض الإيمان، ولم يكن ذلك لعدم تيقنه مـن أمـر الرسول – صلى الله عليه وسلم– ، ولكنه ضن بملكه وضحى بالإيمان، وعنـدما غـادر بيـت المقدس إلى القسطنطينية قال بعد أن أشرف على الشام وصعد فوق ربوة عالية وأطل على الشام بكاملها قال: السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع.

وبعد كل هذه القناعة برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبكل هذا اليقين بنبوته لم يقف هرقل عند حد عدم الإيمان ولم يقبل بالحياد، ولكنه سير الجيوش تلو الجيوش لحرب المسـلمين مع إحساسه الداخلي أنه سيغلب، وأنه لن ينتصر على المسلمين، ولكن هذا الإحساس لم يمنعـه من اتباع الشياطين، ومحاولة مقاومة الإسلام بداية من مؤتة ومرورا بتبوك، ومعارك متتالية في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وتركيا وغيرها، ومع فشله في كل هذه المعارك ومع تنـاقص الأرض من حوله ومع ظهور صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوما بعـد يـوم، إلا أن هرقل لم يؤمن ويبدو أن فتنة الكرسي لا تعدلها فتنة.

والحافظ ابن حجر رحمه الله يقول أيضا تعليقا على هذا الحديث: ولو تفطن هرقل لقوله – صلى الله عليه وسلم – في الكتاب: أسلم تسلم.وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة، وأسلم لسلم له كل الدنيا وكل الآخرة، لسلم من كل ما يخافه، ولكن التوفيق بيد الله عز وجل.[١]

كان هذا هو موقف الدولة الرومانية، اعتذار مهذب، ثم حرب ضروس، وهذا الموقف نراه كثيرا في التاريخ، فكثير من زعماء وأمراء ورجال دين في العالم يعرفون صدق الإسلام، ويعرفون بنبوة الرسول – صلى الله عليه وسلم– ، ولكنهم يرفضون هذه النبوة حفاظا على كراسيهم، وشحا بملكهم

فهم قد يحاولون في بعض الأحيان إقامة العلاقات الدبلوماسية اللطيفة، وتبادل الهدايا مع المسلمين، ولكن حتما سيأتي يوم تقف فيه الهدايا، ويبدأ فيه الصراع، وبدلا من كلمات التحية والتودد ستكون هناك كلمات التهديد والإنذار، وبدلا من الرسائل والسفراء ستكون القذائف والجيوش، يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: **[وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا]**[٢].

---

(١) ابن حجر. فتح الباري ج١ ص٣٧-٣٨

(٢) {البقرة: ٢١٧}.

المبحث الرابع:

رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى المقوقس ملك مصر وتحليلها

تعددت الروايات التي تناولت قصة بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – بكتابه إلى المقوقس ملك مصر. وقد قمت بجمعها على هذا النحو لتكتمل القصة من جميع جوانبها:

بعث – صلى الله عليه وسلم– حاطب بن أبي بلتعة – رضي الله عنه– إلى المقوقس. وذلك أنه –صلى الله عليه وسلم – عند منصرفه من الحديبية قال: أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله؟ فوثب إليه حاطب وقال: أنا يا رسول الله. فقال: بارك الله فيك يا حاطب[1].

فانطلق حاطب بن أبي بلتعة بكتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى المقوقس واسمه جريج بن ميناء ملك الإسكندرية عظيم القبط، فلما دخل عليه قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك.

فقال المقوقس: إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الله وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوارة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدركه هذا النبي. ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به.

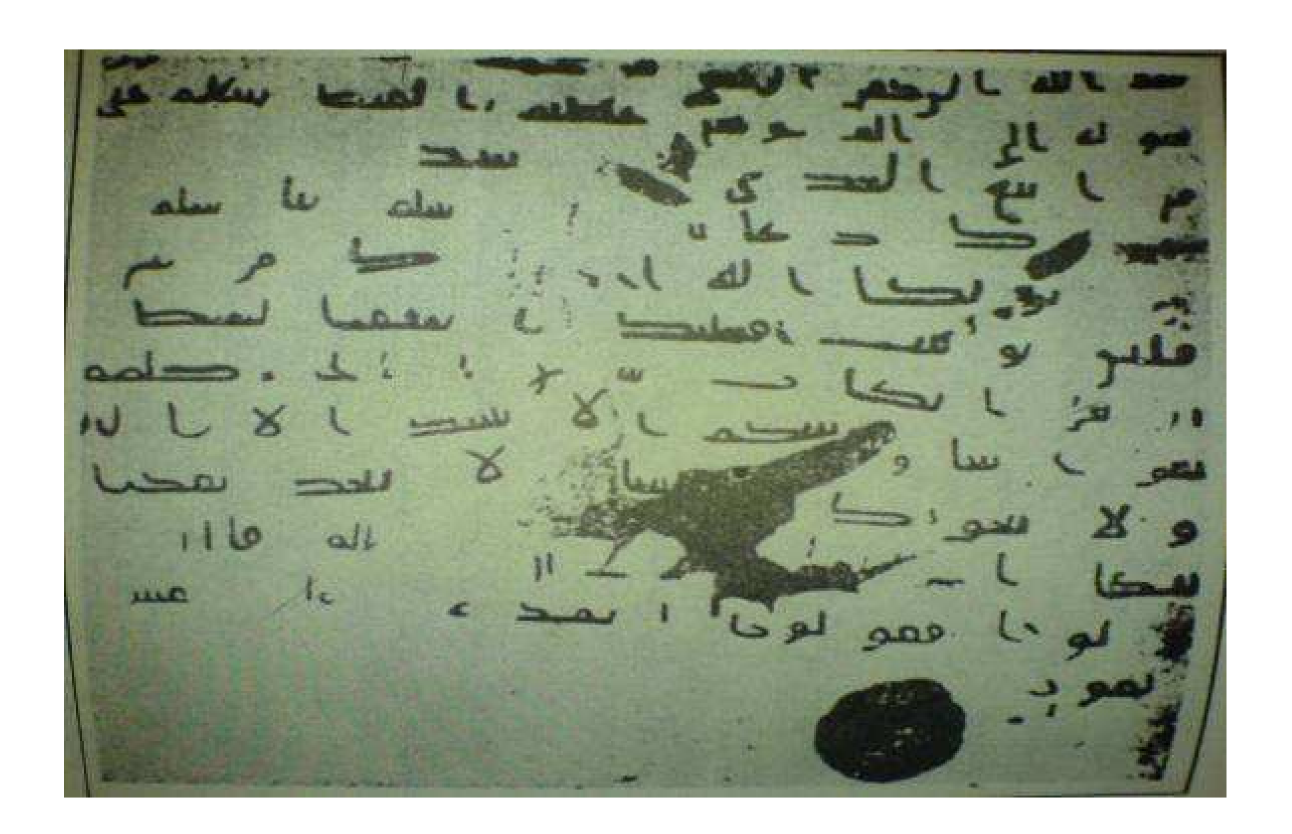
---

(١) انظر: ابن القيم زاد المعاد – مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٠٧ – ١٩٨٦تحقيق : شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط ج٣ ص ٦٠٣.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة[1] بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر. وأخذ كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم– .

---

(١) انظر: زاد المعاد(١ / ١١٦). وانظر: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري الطبقات الكبرى– المحقق: إحسان عباس .دار صادر – بيروت. الطبعة: ١ – ١٩٦٨ م .ج١ ص٢٦٠. وانظر: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء. عالم الكتب – بيروت – ١٤١٧هـ. الطبعة: الأولى. تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي. عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي. نصب الراية لأحاديث الهداية. دار الحديث – مصر، ١٣٥٧تحقيق: محمد يوسف البنوري (٤ / ٥٠١). عز الدين بن جماعة الكتاني. المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. تحقيق سامي مكي العاني. دار البشير عمان ١٩٩٣م. (١ / ١١٥). ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. دار الجيل – بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي (٦ / ٣٧٥). محمد مسعد ياقوت. نبي الرحمة الرسالة والإنسان. الطبعة الأولى ٢٠٠٧ ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي (١ / ٢١١). ابن قيم الجوزية. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. دار ابن زيدون، بيروت، لبنان. الطبعةالأولى: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. (٣ / ٥٧). تاريخ الأمم والرسل والملوك. ٢ / ١٤١



نص رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى المقوقس مقسمة إلى ١٢ سطرا وفق ما جاء في الوثيقة الأصلية

بســم الله الرحمــن الرحيــم.مـــن مــحمــد عبد الله ورســولــه إلــى المقــوقـــس عــظيــم الــقبــط. ســـلام علــى من اتبع الهدى، أما بعد:

فإنـــي أدعـــوك بدعـــايـــة الإســـلام أســلـــم تسلـــم يؤتـــك الله أجـــرك مرتيـــن فإن توليت فعليـــك إثم القبط **"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "**[١]

علامة الختم

الله

رسول

محمد[٢]

---

(١) سورة آل عمران : ٦٤.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية ص٣٧

وتقول الرواية: إن المقوقس لما قرأ الكتاب سأل حامله (حاطب بن أبى بلتعة): ما منع صاحبك إن كان نبيا أن يدعو على من أخرجوه من بلده فيسلط الله عليهم السوء؟ فقال حاطب: وما منع عيسى أن يدعو على أولئك الذين تآمروا عليه ليقتلوه فيسلط الله عليهم ما يستحقون؟ قال المقوقس: أنت حكيم جئت من عند حكيم.

فجعل الكتاب في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك. ولم يزد على هذا ولم يسلم والجاريتان مارية وسيرين والبغلة دلدل بقيت إلى زمن معاوية.

فتسرى – عليه الصلاة والسلام– مارية ووهب سيرين لحسان بن ثابت وكان مما أهدى له المقوقس أيضا: جارية أخرى وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دلدل وحمارا أشهب وهو عفير وغلاما خصيا يقال له: مابور وقيل: هو ابن عم مارية وفرسا وهو اللزاز وقدحا من زجاج وعسلا.فقال النبي – صلى الله عليه وسلم– : [ضن الخبيث بملكه] ولا بقاء لملكه.[١]

وفي رواية أخرى أن المقوقس أرسل إلى حاطب ليلة وليس عنده أحد إلا ترجمان له فقال: ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها فإني أعلم أن صاحبك قد تخيرك حين بعثك؟ قال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

---

(١) انظر: زاد المعاد – (٣ / ٦٠٣)، – (١ / ١١٦). الطبقات الكبرى لابن سعد – (١ / ٢٦٠) نصب الراية – (٤ / ٥٠١) المختصر الكبير في سيرة الرسول – (١ / ١١٥) المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض – (١ / ٢٠٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء(٤ / ٥٠١). الحسن بن عمر بن حبيب.المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم – دار الحديث – القاهرة – مصر – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦مالطبعة: الأولى تحقيق: د مصطفى محمد حسين الذهبي(١ / ٣٥)

قال: إلى ما يدعو محمد – صلى الله عليه وسلم – قال: إلى أن نعبد الله ولا نشـرك بـه شيئا ونخلع ما سواه ويأمرنا بالصلاة. قال: فكم تصلون؟ قال: خمس صلوات في اليوم والليلـة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والـدم. قـال: مـن أتباعه؟ قال: الفتيان من قومه وغيرهم. قال: فهل يقاتل قومه؟ قال: نعم. قال: صفه لي. قـال: فوصفته بصفة من صفته لم آت عليها.

قال: قد بقيت أشياء لم أرك ذكرتها، في عينيه حمرة قل ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزئ بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عـم. قلت: هذه صفته.

قال: قد كنت أعلم أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أن مخرجه الشام وهناك كانـت تخـرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في اتباعه، ولا أحب أن يعلم بمحاورتي إياك، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هـذه حتى يظهروا على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا، فارجع إلى صاحبك.

ثم دعا كاتبا يكتب بالعربية فكتب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – لمحمد بن عبـد الله وزاد غيره بسم الله الرحمن الرحيم من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشـام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط العظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك

ولم يزد على هذا ولم يسلم والجاريتان مارية وسيرين والبغلة دلـدل بقيـت إلـى زمـن معاوية.

وفي رواية عنه قال إن المقوقس لما أتاه كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ضمه إلى صدره وقال: هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته وصفته في كتاب الله وإنا لنجد صفته أنه لا يجمع بين أختين في ملك يمين ولا نكاح وأنه يقبل الهدية ولا يقبـل الصـدقة وأن جلسـاءه المساكين وأن خاتم النبوة بين كتفيه.

ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها وهما مـن أهـل حفن من كورة أنصنا فبعث بهما إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأهدى له بغلة شهباء وحمارا أشهب وثيابا من قباطي مصر وعسلا من عسل بنها وبعث إليه بمال صدقة وأمر رسوله أن ينظر من جلساؤه وينظر إلى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك الرسول.

فلما قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قدم إليه الأختين والـدابتين والعسـل والثياب وأعلمه أن ذلك كله هدية فقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الهديـة وكـان لا يردها من أحد من الناس قال: فلما نظر إلى مارية وأختها أعجبتاه وكره أن يجمع بينهما وكانت إحداهما تشبه الأخرى، فقال: اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية وذلك أنه قال لهما قولا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله فبدرت مارية فتشهدت وآمنت قبل أختها ومكثت أختها ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أختها لمحمد بـن مسـلمة الأنصاري، وقال بعضهم: بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبي وقال أخرين بل وهبها لحسان بـن ثابت ،فاختلفوا في الجارية سيرين لمن وهبها النبي– صلى الله عليه وسلم – .(١)

---

(١) أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري .المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي. عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٥هـ.تحقيق : محمد عظيم الدين ج١ ص٢٠٣، ج١ ص٢٠٤

المطلب الأول: تحليل كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المقوقس عظيم القبط

إن محمدا – صلى الله عليه وسلم – لم يدع أنه ملكا ولم يدع لنفسه أي لقب من الألقاب التي يلقب بها الناس أنفسهم مثل لقب الإمبراطور أو قيصر أو كسرى أو عظيم القبط أو خاقان البحرين أو شاهنشاه (أي ملك الملوك) أو الفيورير (أي الزعيم المطلق) أو الميكادو (أي الباب العالي) أو الزعيم الخالد أو القائد الملهم أو زعيم " النظام العالمي الجديد " أو غيرها من الألقاب ..

وإنما ادعى لنفسه لقبين لا ينفكان عن بعضهما البعض : عبد الله ورسوله. عبد الله أولا، يقر فيها ويشهد برسالته ومهمته التي اختصه الله وشرفه وكلفه بها للعالمين .

حقا إن محمدا – صلى الله عليه وسلم – هو سيد البشر . وليس بدعا أن يقال له " سيد " في النطاق البشري فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم عن نبيه يحيى عليه السلام(١): " **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَاب أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ** " (٢)

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر" وبين سبب اكتسابه هذه المنزلة والسيادة بين بني آدم كلهم هو أن جميع البشر بما فيهم الرسل والأنبياء يأتي كل منهم يوم القيامة يقول: " نفسي، نفسي "، إلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول " أمتي، أمتي ". فصلوات ربي وسلامه وبركاته عليك وعلى آلك يا نبي الرأفة والرحمة يا سيدي يا رسول الله(٣).

---

(١) إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين – (١ / ٢٧٦)

(٢) (آل عمران: ٣٩)

(٣) إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين – (٢ / ٣٨٦)

وفي رسائل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للملوك فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة، روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، (والخلفيات) التي يمتازون بها، فلما كان هرقل والمقوقس يدينان بألوهية المسيح كليا أو جزئيا، وكونه ابن الله، جاءت في الكتابين اللذين وجها إليهما كلمة (عبد الله) مع اسم النبي – صلى الله عليه وسلم – صاحب هاتين الرسالتين، فيبتدئ الكتابان بعد التسمية بقوله:

«من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم» وبقوله: «من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط» بخلاف ما جاء في كتابه – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى أبرويز، فاكتفى بقوله: «من رسول الله إلى عظيم الفرس».

وجاءت كذلك آية (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[١] في هذين الكتابين، وما جاءت في كتابه إلى كسرى أبرويز لأن الآية تخاطب أهل الكتاب الذين دانوا بألوهية المسيح، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم، وقد كان هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية والمقوقس حاكم مصر قائدين سياسيين، وزعيمين دينيين كبيرين للعالم المسيحي، مع اختلاف يسير في الاعتقاد في المسيح هل له طبيعة أم طبيعتان[٢].

فكان كلاهما أي ،هرقل والمقوقس ممن يدينان بالنصرانية المحرّفة التي تغلو في المسيح – عيسى عليه السلام – وترفعه إلى درجة الألوهية، ومن ثم أكد النبي – صلى الله عليه وسلم– على عبودية الناس عموما، والرسل خصوصاً لله رب العالمين

فذكر في رسالته إليهما قوله تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }[٣]

---

(١) (آل عمران: ٦٤)

(٢) إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين – (٢ / ٣٨٧)

(٣) (آل عمران: ٦٤)

المطلب الثاني: تحليل كتاب المقوقس عظيم القبط الى الرسول – صلى الله عليه وسلم–

ورد "المقوقس" على النبى ردا حسنا، فلم يؤمن به ولم يتهجم عليه. ولما تسلم كتابه من حاطب بن أبى بلتعة قال له: ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟ فقال حاطب: ما منع عيسى – وقد أخذه قومه ليقتلوه – أن يدعو الله عليهم فيهلكهم؟ فقال المقوقس: أحسنت.

أنت حكيم جاء من عند حكيم. وكتب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط السلام عليكم. أما بعد. فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وتدعو إليه، وقد علمت أن نبيا قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج من الشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط وبثياب، وأهديت لك بغلة تركبها".[١]

وعند التحري وتحليل كلام المقوقس يعلم من كلامه أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي – صلى اللّه عليه وسلم– ، وهو الحق لأن النجاشي ملك الحبشة لما وصل إليه كتاب محمد – صلى اللّه عليه وسلم– (فقال أشهد باللّه أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب) وكتب الجواب وكتب في الجواب (أشهد أنك رسول اللّه صادقاً ومصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي طالب، وأسلمت على يديه للّه رب العالمين)

وهذا النجاشي قبل الإسلام كان نصرانياً، وكتب المقوقس ملك القبط في جواب كتاب النبي – صلى اللّه عليه وسلم – هكذا: (لمحمد بن عبد اللّه من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك)

والمقوقس هذا وإن لم يسلم لكنه أقر في كتابه(أني قد علمت أن نبياً قد بقي) وكان نصرانياً، فهذان الملكان ما كانا يخافان في ذلك الوقت من محمد – صلى اللّه عليه وسلم – لأجل شوكته الدنيوية

---

(١) محمد الغزالي. فقه السيرة .دار نهضة مصر. الطبعة: الأولي (٣١١/١)

وجاء الجارود بن العلاء في قومه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق، والذي بعثك بالحق نبياً لقد وجدت وصفك في الإنجيل وبشر بك ابن البتول، التحية لك والشكر لمن أكرمك، لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين، مد يدك فأنا (أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله)

ثم آمن قومه وهذا الجارود كان من علماء النصارى وقد أقر بأنه قد بشر به ابن البتول أي عيسى عليه السلام، فظهر أن المسيحيين أيضاً كانوا منتظرين لخروج نبي بشر به عيسى عليه السلام.[١]

وجدير بنا أن نذكر كلام المغيرة الذي يشهد فيه لنبينا الكريم بصدق النبوة، يقول المغيرة: كنا نقول ملوك العجم يصدقونه ويخافونه في بعد أرحامهم منه ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه وقد جاءنا داعيا إلى منازلنا قال المغيرة فاقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها وسألت أساقفها من قبطها ورومها عما يجدون من صفة محمد – صلى الله عليه وسلم – وكان أسقف من القبط لم أر أحدا أشد اجتهادا منه فقلت: أخبرني هل بقي أحد من الأنبياء؟

قال: نعم وهو آخر الأنبياء ليس بينه وبين عيسى نبي قد أمر عيسى باتباعه وهو النبي الأمي العربي اسمه أحمد ليس بالطويل ولا بالقصير في عينيه حمرة وليس بالأبيض ولا بالآدم يعفي شعره ويلبس ما غلظ من الثياب ويجتزي بما لقي من الطعام سيفه على عاتقه ولا يبالي من لاقى يباشر القتال بنفسه ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم هم أشد له حبا من آبائهم وأولادهم من حرم يأتي وإلى حرم يهاجر إلى أرض سباخ ونخل يدين بدين إبراهيم.

قلت: زدني في صفته. قال: يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه ويخص ما لم يخص به الأنبياء قبله

كان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس كافة وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى. وكان من قبله مشددا عليه لا يصلون إلا في الكنائس والبيع قال المغيرة: فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره ورجعت فأسلمت.[٢]

---

(١) إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين – (٢ / ٢٨٢)

(٢) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي.الخصائص الكبرى. دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. ج٢ / ص٢٢.

المطلب الثالث: حوار حاطب بن أبي بلتعة – رضي الله عنه – مع المقوقس عظيم القبط

أما بالنسبة لكلام حاطب للمقوقس، فبتمعنه يتضح أن هذه البعوث بلغ حدا من الفقه والحصافة يستحق الإعجاب البالغ. قال حاطب: إن هذا النبى دعا الناس. فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى. ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد. وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. وكل نبى أدرك قوما فهم أمته. فحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبى، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به. وكان أثر هذه الدعوة الحارة الخطاب الذى سقناه آنفا.[١]

وقدعرف بهذه الحادثة مقدار النضج الفكري الذي وصل إليه أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى جابهوا كل الثقافات الأخرى غالبين، وهو جانب من جوانب التربية المحمدية لهذه الأمة. قال المقوقس لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟ فقال حاطب: ما منع عيسى وقد أخذه قومه ليقتلوه أن يدعو الله عليهم فيهلكهم؟ فقال المقوقس: أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم .

ويأتي رد المقوقس ملك مصر من أفضل الردود أيضًا، فقد أحسن استقبال الوفد الإسلامي، وأكرمهم بالهدايا إلا أنه لم يُسلِم.

والحقيقة أننا نتعجب من عدم إسلامه؛ لأن المقوقس ذكر في رده لحاطب بن أبي بلتعة، أنه كان يعلم أن نبيًّا سيظهر في هذا الزمان، ولكنه كان يحسب أن هذا النبي سيظهر في الشام، أي كان عنده تهيئة نفسية لظهور النبي، ومع ذلك لم يسلم، بل إنه لم يفكر أصلاً في التأكد من كونه نبيًّا أم لا مع أننا نشعر أن المقوقس كان يعرف أنه نبي فعلاً، وإلا ما أكرم سفارته وحمَّلها بالهدايا، وهو ما كان ليفعل ذلك الأمر مع كذَّاب يدَّعِي النبوة، وخاصةً أن الرسول في ذلك الوقت لم تكن له قوة كبيرة أو بأس، ولم يكن يحكم دولة ضخمة يخشاها المقوقس، ويحتاج إلى مهادنته، بل على العكس كانت قوة مصر المادية أضعاف قوة المدينة المنورة في ذلك الوقت

ولكن على كل حال أكرم المقوقس وفد رسول الله، وترك أثرًا إيجابيًّا للدولة الإسلامية في كل مكان، وأكَّد على شرعيتها في النظام الدولي الجديد، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. فهذا كان ردّ المقوقس، فقد ردَّ بأدب، وحمّل حاطب بن أبي بلتعة بالهدايا، ولكنه لم يسلم. فلم يسلم من حر الجمر.

---

(١) محمد الغزالي. فقه السيرة. دار نهضة مصر. الطبعة: الأولي(٣١١/١)

المطلب الرابع: تعامل الرسول – صلى الله عليه وسلم – مع الهدية التي بعث بها المقوقس إليه

يؤخذ من قبول الرسول– صلى الله عليه وسلم – لهدية المقوقس جواز أخذ هدية الكـــافر، فقد أرسل المقوقس عظيم القبط حاكم مصر – مع سفير رسول الله حاطب بن أبي بلتعة– وهـــو كافر هدية تشتمل على جاريتين وكسوة للرسول – صلى الله عليه وسلم – وبغلة يركبها، فقبلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإحدى هاتين الجاريتين مارية القبطية.

وقد ذكر المرحوم حفني ناصف الهدايا التي أرسلها المقوقس إلى رسول الله – صـــلى الله عليه وسلم – وهي:

١ – مارية بنت شمعون وكانت أمها رومية.
٢ – جارية أخرى يقال لها سيرين ولكنها أقل جمالاً من مارية.
٣ – جارية أخرى يقال لها قيسر.
٤ – جارية سوداء يقال لها بريرة.
٥ – غلام أسود يقال له هابو.
٦ – بغلة شهباء وهي التي سُميت بدلدل.
٧ – فرس مسرج ملجم وهو الذي سُمي بميمون.
٨ – حمار أشهب وهو الذي سُمي بيعفور.
٩ – مربعة فيها مكحلة ومرآة ومشط وقارورة دهن ومقص وسواك.
١٠ – جانب من عسل بنها.
١١ – ألف مثقال من الذهب.
١٢ – عشرون ثوباً من قباطي مصر.
١٣ – جانب من العود والند والمسك.
١٤ – قدح من قوارير.

وقد أسلمت مارية قبل أن تصل إلى المدينة هي وسيرين بدعوة حاطب بن أبي بلتعة. ولقد تعامل الرسول محمد مع (هدية) المقوقس، بالمبادئ النبوية الإسلامية، وهو أن تزوج من ماري. كما تزوج الصحابي حسان بن ثابت الجارية الثانية، وتدعى سيرين. فولدت له ابنه عبدالرحمن بن حسان.[١]

وهذا الرد المحمدي على هدية المقوقس، يمثل قمة التعامل الإنساني الذي يجسد عظمة المبادئ الإسلامية في الحياة الدنيوية.

لم يتعامل الرسول محمد مع مارية القبطية، معاملة متعة، أو (هدية). بل أدخلها إلى نسبه، وأعطاها اسمه الكريم حين جعلها زوجة له، كذلك فعل حسان بن ثابت مع الجارية الثانية.
جاءت مارية إلى الرسول محمد من عند سيدها المقوقس، جارية، فأصبحت منذ لحظة وصولها إلى بيت الرسول، زوجة لأعظم الخلق.

وهل من نعمة للجارية، أفضل من أن تدخل النظام الاجتماعي باعتبارها زوجة، لها زوج يعيلها ويحميها، وتشترك معه في الحياة الدنيا، تصونه وترعاه وتحمل اسمه وتنجب له الأبناء؟ رضي الله عنها وأرضاها.

وأهدى معهن غلاما خصيا اسمه مابور وأهدى مع ذلك بغلة شهباء اسمها الدلدل وأهدى حلة حرير من عمل الاسكندرية وكان قدوم هذه الهدية في سنة ثمان فحملت مارية من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإبراهيم عليهما السلام فعاش عشرين شهرا ومات قبل أبيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسنة وقد حزن عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبكى عليه،

وقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون. وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان وقد حظيت عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأعجب بها، وكانت جميلة ملاحة أى حلوة وهى تشابه هاجر سرية الخليل فإن كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبي كريم وخليل جليل عليهما الصلاة السلام.[٢]

---

(١) محمد رشيد رضا. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.ج١ص٤١٧

(٢) البداية والنهاية – (٧ / ٧٤)

وقيل بعث إليه بطبيب، فقال عد إلى قومــك لا حاجــة لنا بك نحن قوم لا نأكل حتى نجــوع ، وإذا أكلنا لا نشبع،[١] " عدَّ علمــاء الطــب الوقائي أنَّ هذا الحديث أصل في الطــب الوقائي "، لا نأكــل حتى نجــوع، وإذا أكلنا لا نشبــع، " لــيس على قدر ما أكلنا لا نشبع ؟؟ " هــذا معنـــى آخــر. يعنـــي نجلس إلى الطعام ونحن نشتهيه،وننزع يدنا عنه ونحن نشتهيه.

وقال بــعضهم إنَّ عُشــر ما نأكلــه يكفـــي لبقائنا أحيــاء وتسعــة أعشــار مــا نأكلــه يكفي ليبقى الأطباء أحياء.

---

(١) محمد رشيد رضا. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.ج١ص٤١٧

المطلب الخامس: مدى موثوقية رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المقوقس عظيم القبط

بعث رسول الله حاطب بن أبي بلتعة – رضي الله عنه – إلى المقوقس، ومعنى المقوقس المطول للبناء، وهو لقب يطلق على كل من كان ملك لمصر وهو يومئذ عظيم القبط بالديار المصرية "بالاسكندرية تحديدا"يأمره بالهداية وينهاه عن الغواية. فقال المقوقس:خيرا، وقارب الأمر. لكنه لم يسلم فلم يسلم من حر الجمر.(١)

وهذا نص كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المقوقس عظيم القبط سنة ٧هـ – ٦٢٨م: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى، أمابعد:

فإني ادعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم القبط " **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** "(٢)

وهذا الكتاب الذي أرسله إلى المقوقس ــ ملك مصر ــ قد وجد ملصقا بدفة كتاب في أحد الأديرة المسيحية في مصر، وبالتحديد هذا الكتاب محفوظ بدار الآثار في الآستانة، وقيل: عثر عليه عالم فرنسي في دير بمصر قرب أخميم في زمن سعيد باشا. ويغلب على الظن أنه هو أصل الكتاب المرسل من النبي، وخطه عربي قديم، وعبارته وترتيب كلماته التي في الخاتم هي عين ما يروى في الأحاديث؛ وهذا من أصدق الأدلة على صدق الأحاديث المروية وصحتها. (٣)

وقد أنكر الأستاذ نورث (C.R. North) في كتابه الذي أسماه موجزاً عن الإسلام (An outline of Islam) طبعه سنة ١٩٣٤ م ص ٣٤: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أرسل كتابا إلى امبراطور الروم وآخر إلى إمبراطور الفرس وعظيم القبط المقوقس وزعم أن ذلك ليس له أساس تاريخي، وهكذا ينكر مؤرخو الفرنجة حتى الحقائق الثابتة.(٤)

---

(١) انظر: المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض – (١ / ٢١٦) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – (١ / ٤١٦) واسم المقوقس باللغة القبطية Pkauchios ومعنى المقوقس مطول البناء . وهذا لقب كل من ملك مصر وكان اسم هذا المقوقس جريج بن ميناء.

(٢) سورة آل عمران: ٦٤.

(٣) فقه السيرة – (١ / ٣١١)

(٤) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – (١ / ٤١٦)

المطلب السادس: وصية النبي – صلى الله عليه وسلم– بأهل مصر

روى مسلم في صحيحه قول رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم– لأبـــي ذر: « « إِنَّكُــمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِىَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّـــةً وَرَحِمًا [١]».

و(القيراط) قال العلماء القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما وكـــان أهـــل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به. (ذمة): الذمة هي الحرمة والحق وهـــي هنـــا بمعنـــى الذمام.

(ورحما): الرحم لكون هاجر أم إسماعيل منهم.

والصهر: كون مارية أم إبراهيم بن رسول اللَّه – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – منهم.

---

(١) صحيح مسلم – (٧ / ١٩٠). باب وصية النبي –صلى الله عليه وسلم– بأهل مصر. حديث رقم٦٦٥٨

الفصل الثاني

رسائل الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الدولة الفارسية ولواحقها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى كسرى عظيم الفرس وتحليلها.

المبحث الثاني: كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة.

المبحث الثالث: كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المنذر بن ساوى وتحليله.

المبحث الرابع: كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى جيفر وعبد ابني الجلندي وتحليله.

الفصل الثاني:

رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم- إلى الدولة الفارسية ولواحقها

المبحث الأول:

رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم- إلى كسرى عظيم الفرس وتحليلها

تعددت الروايات التي تناولت قصة بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – بكتابه إلى كسرى عظيم الفرس. وقد قمت بجمعها على هذا النحو لتكتمل القصة من جميع جوانبها:

ذكر ابن كثير في كتابه السيرة النبوية[١] أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لعبد الله ابن حذافة، فلما أن دخل عليه،أمر كسرى بكتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يقبض منه، فقال: لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

فقال كسرى: ادنه.
فدنا فناوله الكتاب.

ثم دعا كاتبا له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه: " من محمد عبدالله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس " قال: فأغضبه حين بدأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنفسه، وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وقال- كسرى – يكتب إلي بهذا وهو عبدي. وأمر بعبد الله بن حذافة فأخرج، فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار، ثم قال: والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذا أديت كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ! قال: ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى عبد الله بن حذافة ليدخل عليه، فالتمس فلم يوجد.

فلما قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: مزق ملكه.[٢]

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٣ / ص ٥٠٧) وقد أورد في كتابه أن المبعوث كان شجاع بن وهب في هذه الرواية . وانظرالبداية والنهاية – (٤ / ٢٦٩)
(٢) السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٣ / ص ٥٠٨)

ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائبه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلــين من عندك جلدين فليأتياني به.[١] ويروى (وإلا فليواعدك يوما تقتتلون فيــه).[٢] فبعــث بــاذان قهرمانه وهو بابويه وكان كاتبا حاسبا بكتاب فارس وبعث معه رجلا مــن الفــرس يقــال لــه خرخسره.[٣]

وكتب معهما إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأمره أن ينصــرف معهمــا إلــى كسرى وقال لأبي ذويه: إيت بلاد هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطــائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال: هو بالمدينة.

واستبشر أهل الطائف وقريش بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصــب لــه كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل، فخرجا حتى قدما على رسول الله – صلى الله عليــه وســلم– فكلمه أباذويه، فقال شاهنشاه ملك الملوك كسرى: قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليــك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنطلق معي فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك.

وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك. ودخلا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال: ويلكمــا من أمركما بهذا؟[٤]

قالا: أمرنا ربنا (يعنيان كسرى) فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :ولكن ربــي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي. ثم قال: ارجعا حتى تأتياني غدا.

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك – الطبري – (٢ / ١٣٣)
(٢) عيون الأثر – (ج ٢ / ص ٣٢٨)
(٣) تاريخ الأمم والرسل والملوك– الطبري – (٢ / ١٣٣)
(٤) البداية والنهاية – (٤ / ٢٧٠)

وأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا من ليلة كذا وكذا من الليل، سلط عليه ابنه شيرويه فقتلـــه، قال: فدعاهما فأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام؟ قال: نعم أخبراه ذاك عني، وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ مـــا بلغ كسرى وينتهي إلى الخف والحافر وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك علـــى قومك من الأبناء.

ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنـــده حتى قدما على باذام فاخبراه الخبر فقال: والله ما هذا بكلام ملك وإني لارى الرجل نبيـــا كمـــا يقول وليكونن ما قد قال، فلئن كان هذا حقا فهو نبي مرسل وإن لم يكن فسنرى فيه رأيـــا فلـــم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد فإني قد قتلت كسرى وما أقتله إلا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال: إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء مـــن فارس من كان منهم باليمن.[١]

فكانت حمير تقول لخرخسره ذو المعجزة للمعجزة التي أعطاه إياها رسول الله – صـــلى الله عليه وسلم–. قال: وقد قال باذويه لباذام: ما كلمت أحدا أهيب عندي منه؟ فقال له باذام: هل معه شرط؟ قال: لا. قال الواقدي – رحمه الله – : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة لست ســـاعات مضـــت منها.

قلت: وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر الحرام وهو قول بعض الشـــعراء ... قتلوا كسرى بليل محرما ... فتولى لم يمتع بكفن ...

وقال بعض شعراء العرب ... وكسرى إذ تقاسمه بنوه ... بأسياف كما اقتسم اللحـــام ... تمخضت المنون له بيوم ... أتى ولكل حاملة تمام[٢] ...

---

(١) البداية والنهاية – (٤ / ٢٧٠) السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٣ / ص ٥١٠)

(٢) تاريخ الأمم والرسل والملوك– الطبري – (٢ / ١٣٤)

المطلب الأول: تحليل كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى عظيم الفرس

استطاع الرسول أن يبلغ دعوة التوحيد إلى مملكة فارس، من خلال الرسالة التي بعث بها إلى دولة الفرس، وهي الدولة الثانية التي تقتسم العالم مع الدولة الرومانية، وكان السفير إلى ملكها كسرى عبد الله بن حذافة فما كاد أن يطلع كسرى على الرسالة حتى بدا موقفه جليا واضحا من البداية، فمن البداية ظهر عداؤه للإسلام، ومن أول لحظة قرأ فيها الخطاب وهو ينوي تدمير هذا الدين الجديد، وحرب الرسول – صلى الله عليه وسلم-.

فمن أول كلمة في الخطاب والذي بدأ بالبسملة، وبعدها من محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إلى كسرى عظيم فارس، ثم بعد ذلك دعوته إلى الدخول في الإسلام، بألفاظ تتناسب مع الديانة المجوسية والتي هم عليها. وكانت كلمات الرسالة النبوية كلمات دعوية قوية، فأثارت غضب كسرى فتعامل مع الرسالة بسطحية بالغة، ولم يلتفت إلى المعاني التي في داخل الخطاب، فأمسك الخطاب ومزقه، وقال في غطرسة: عبد من رعيتي يكتب اسمه قبلي.

"وسب الرسول – صلى الله عليه وسلم-، وهذه الكلمات عندما وصلت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال – صلى الله عليه وسلم-: مزق اللَّه ملكه مثْل ما مزق الكتاب".

وقد كان ذلك في غضون سنوات قليلة من هذه الأحداث، فقد مزق الله – عز وجل – ملك كسرى تماما، وامتلك المسلمون كل الأراضي الفارسية وسقطت الإمبراطورية الفارسية تماما، وكانت تسيطر على مساحات هائلة من الأرض، وهذه هي النبوة في مواجهة الغطرسة المجوسية الكافرة، ولكن كسرى فارس إبرويز لم يكتف بهذه الكلمات وتقطيع الخطاب، بل حاول أن يعتقل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى يعاقبه(١).

---

(١) انظر: موقع قصة الإسلام، وموقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح.

المطلب الثاني: كسرى يأمر عامله على اليمن باعتقال الرسول – صلى الله عليه وسلم-

أرسل ملك الفرس رسالة إلى عامله على بلاد اليمن، وكانت اليمن مستعمرة فارسية، واليمن نسبيا قريبة من المدينة المنورة، فأرسل رسالة إلى عامله، وكان اسمه باذان وكان فارسيًا، وطلب منه أن يبعث رجلين من رجاله ليأتي برسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المدائن عاصمة فارس، ونحن نرى مدى النظرة الدونية التي ينظر بها الفرس إلى العرب، فيبعث برجلين فقط، ليأتي بزعيم المدينة المنورة، وأنه إن رفض فسيقتل، وسيُهلك كسرى قومه ويخرب بلاده.

وذهب رسولا باذان إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وأبلغوه بما قال كسرى، وطلب الرسول – صلى الله عليه وسلم – منهما في أدب أن ينتظرا إلى اليوم التالي وسوف يرد عليهما، وفي هذه الليلة التي جاء فيها رسولا عامل كسرى، أتى الوحي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأخبره بنبأ عجيب أن هذا الزعيم الفارسي المتغطرس إبرويز قتل في نفس الليلة، وقتله ابنه شيرويه بن إبرويز وكان هذا في ليلة الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة سنة ٧ هـ، ولما جاء اليوم الثاني بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الرسولين، وقال لهم: إن ربي قتل ربكم الليلة.

ففزع الرسولان؛ لأن المدائن على بعد مئات الكيلو مترات من المدينة المنورة، وقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فنكتب عنك هذا، ونخبر الملك باذان؟

فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – في ثقة: نعم أخبراه ذاك عني.

وقال لهما في يقين: وقولا له أيضا: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى الخف والحافر. وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك.[١]

---

(١) موقع قصة الإسلام، وموقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح.

وعاملهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – معاملة الملك الكريم، وأعطاهم بعض الهدايا، وعادوا مرة أخرى إلى اليمن، وصل الرسولان إلى باذان ملك اليمن الفارسي، وأبلغاه بكلام الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وكانت المسافة بين المدائن والمدينة المنورة مئات الكيلومترات في ذلك الزمن.

وكان باذان هذا رجلا عاقلا، فقد سمع الكلمات فقال:

والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول ولا يكونن ما قال، إلا أن يكون رسولا.

المطلب الثالث: باذان حاكم اليمن يدخل في الإسلام

وجاء خطاب من شيرويه الزعيم الجديد في بلاد فارس شيرويه بن إبرويز إلى باذان عامله على اليمن يقول فيه أنه قد قتل أباه إبرويز؛ لأن إبرويز قد قتل الكثير من أشراف فارس، وكاد أن يودي بفارس إلى الهلكة، ولما وصل هذا الخطاب إلى باذان حدد الليلة التي قتل فيها إبرويز، فوجد أنها نفس الليلة التي حددها الرسول – صلى الله عليه وسلم–

فأيقن أن هذا رسول من عند الله – عز وجل–، وأن الذي أخبره بذلك وحي من عند الله – عز وجل–؛ لأن المسافات بين المدينة والمدائن هائلة وبعيدة ومستحيل على أهل هذا الزمن بأي صورة من الصور، أن يعرفوا الأحداث التي تحدث في كل بلد، ولا يتم هذا إلا بمعجزة خارقة، وهنا أخذ باذان قرار الإسلام، وسبحان الله، الذي يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم فقد أسلم باذان وحسن إسلامه وأسلم أبناؤه وأسلم كل الفرس تقريبا في اليمن وأسلم الرسولان اللذان بعثهما باذان إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ثم أسلم بعد ذلك كثير من أهل اليمن، وكل هذه الأحداث تحقق لنا قول الله عز وجل: [**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**][(١)].

لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أرسل رسالة إلى كسرى فارس يبغي إسلام شعب فارس، وفارس تقع على بعد مئات الكيلو مترات من المدينة المنورة، ولكن الله عز وجل يريد أن يسلم بهذه الرسالة شعب اليمن البعيد جدا عن منطقة فارس، وهذا يلفت نظرنا إلى شيء مهم جدا وهو أن جهد الداعية لا يضيع فيبقى جهد الداعية وينتشر، ولكن ليس بالضرورة أن ينتشر في الاتجاه الذي أراده الداعية؛ لأن الله – عز وجل – يسير الكون بنظام بديع وتنسيق محكم وحكمة بالغة، فالقلوب بين أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء، فالمسلم عليه الدعوة، والله سبحانه وتعالى يفتح القلوب، وأعطى الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولاية اليمن إلى باذان – رضي الله عنه–.وكان إسلام اليمن إضافة كبيرة جدا لقوة المسلمين، ولكن كسرى فارس الجديد شيرويه بن إبرويز مع أنه توقف عن سب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتوقف عن التفكير في عقاب رسول الله كما يريد أبوه، ولكنه لم يفكر في الإسلام أصلا، وبذلك تجمدت تقريبا العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة الفارسية إلى أن تحركت بعد ذلك بعدة سنوات في عهد الصديق –رضي الله عنه – عندما بدأت حركة الفتوح الإسلامية.

(١) سورة الأنفال:١٧.

ويظهر من موقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – تجاه تصرف كسرى أن تبليغ رسالة الإسلام إلى غير المسلمين، تبدأ وتنتهي، بالدعوة السلمية والحوار لا بـــالعنف ولا بالســـيف .. فلم يصدر عن الرسول الكريم أي تهديد بالرد العسكري، ضد كسرى ومملكته، حين تناهى إليه رد كسرى. وهذا يعني بكل وضوح، أن الرسول كان يهمه تبليغ الدعوة.

وكان من آثار هذه الرسالة التي توجهت إلى دولة الفرس دخول أهل فارس في ديـــن الله أفواجا، فكانوا من القوميات إن صح التعبير التي لما دخلت الإسلام سببت إضافة راقية في حفظ الإسلام، وخدمته، إلى الدرجة التي كانت للفرس وهم ليسوا من العرب الدور الكبير في حفـــظ اللغة العربية، فسيبويه وغيره كان من الفرس.[١]

---

(١) انظر "خاتم النبيين .محمد ابو زهرة ". المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، الدوحة محرم١٤٠٠ ص١١٦٢-١١٦٤

المطلب الرابع: مدى موثوقية رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى عظيم الفرس

تعددت الدراسات التي تناولت رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالبحث والتوثيق. ومن هذه الدراسات التي يعتمد عليها، ما قام به الأستاذ محمد حميد الله الحيدر أبادي من جمعه لمجموعة ما تعلَّق بالنبي محمد – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– من وثائق مكتوبة

وكذلك ما يخص الخلفاء الراشدين في كتابٍ طُبع باللغة الأوردية بعنوان "رسول أكرم كي سياسي زندكي"، والكتاب تُرجم إلى العربية بعنوان "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة"، وتم طبعه بدار الإرشاد للطباعة والنشر ببيروت، وقد حاول الأستاذ محمد حميد الله بإخلاص جمع هذه الوثائق من أمهات كتب التاريخ والمتاحف، وقدّم لنا معلومات مفيدة يمكننا الاعتماد عليها كثيرا.

ولكن للأسف لم يصلنا من وثائق النبوة (أي التي ترجع إلى النبي) إلا عدد محدود محفوظ في أماكن متفرقة من أنحاء العالم وقد بينت ذلك في دراستي، أما بالنسبة لرسالته – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى عظيم الفرس فقد تبين جليا في معظم كتب الحديث والسيرة أن تلك الرسالة قد تمزقت من قبل كسرى عندما غضب؛ لأن الرسول – عليه السلام – بدأ باسمه قبل اسم كسرى، ولهذا السبب من المستحيل تصديق من يدعي بوجود تلك الرسالة.

ونرى بعضهم يوردها ويضع شقا في نصفها ليثبت صدق ادعائه بذلك .ومما يدعم كذب وتزوير تلك الرسالة أن كتابي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الصحاح لم تورد نص تلك الرسالة مما يدل على عدم وصولها إليهم. كما أن الكتب التي ورد فيها النص اختلفت فيه – أي في نص الرسالة – أيضا.

كما اختلفوا في اسم حامل الرسالة، فمنهم من قال أن حاملها كان شجاع بن وهب ومنهم من يقول بأنه كان عبد الله بن حذافة السهمي. ولا أعلم سبب اختلافهم في اسم الصحابي حامل الرسالة إلى كسرى إلا أني أرجح أنه كان عبد الله بن حذافة لكون البخاري قد أورد ذلك في صحيحه.

فقد روى البخاري في – باب – كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى وقيصر عن ابن عباس رضي الله عنه :

أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله ابـــن حذافـــة السهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قـــرأه مزقـــه فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يمزقـــوا كـــل ممزق .[١]

---

(١) صحيح البخاري– ن – (٤ / ١٦١٠) – باب – كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى وقيصرحديث رقم ٤١٦٢ .

أما بالنسبة لرسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى



وقد اختلفت كلمات الخطاب إلى كسرى من كتاب الى آخر. ففي كتاب السيرة النبوية لابن كثيريقول:

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، حدثنا ابن إسحاق، عن يزيد بن أبى حبيب قال: وبعث عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه:

" بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. فإن تسلم تسلم وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك ".[١]

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٣ / ص ٥٠٨)

وفي تاريخ الطبري: كتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى وبعث الكتاب مع عبدالله بن حذافة السهمي فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس)[١]

ويورد الطبري في صفحة أخرى نصا مختلفا فيقول: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن حبيب قال وبعث عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى ابن هرمز ملك فارس وكتب معه

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك)[٢]

أما في عيون الأثر [ذكر توجه عبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى] بكتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: ذكر الواقدي من حديث الشفاء بنت عبدالله أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بعث عبدالله بن حذافة السهمى منصرفه من الحديبية إلى كسرى وبعث معه كتابا مختوما فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بداعية الله فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك إثم المجوس."[٣]

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك– الطبري – (٢ / ١٣٢)

(٢) تاريخ الأمم والرسل والملوك – الطبري – (٢ / ١٣٣)

(٣) عيون الأثر – (ج ٢ / ص ٣٢٧)

وفي سبل الهدى والرشاد: روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين المنذر ابن ساوى نائب كسرى على البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فدعا عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن تمزقوا كل ممزق.

قال محمد بن عمر الأسلمي: وكان مكتوبا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله أرسلت إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا وأحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، وإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس)

وفي رواية: فلما قرأ كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مزقه فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: مزق الله ملكه وأهلك قومه.[١]

وفي زاد المعاد " وكتب إلى كسرى: بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن باللّه ورسوله وشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية اللّه فإني أنا رسول اللّه إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القَول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس " فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فقال " مزق اللّه ملكه "[٢]

وفي تاريخ ابن خلدون يقول: وكتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى وبعث بالكتاب عبد الله بن حذافة السهمى وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسله أما بعد فإني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا، أسلم تسلم فان أبيت فعليك إثم المجوس)

---

(١) سبل الهدى والرشاد – (ج ١١ / ص ٣٦٢)

(٢) زاد المعاد – (ج ٣ / ص ٦٠٠) فصل ذكر هديه صلى اللّه عليه وسلم في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم

فمزق كسرى كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : مزق الله ملكه. وفي رواية ابن اسحق بعد قوله (وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا الله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فإن أبيت فإثم الأريسيين عليك).(١)

وفي نصب الراية – كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى " كسرى ملك الفرس " ذكر الواقدي أيضا من حديث الشفاء بنت عبد الله أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث عبد الله ابن حذاقة السهمي منصرفه من الحديبية إلى كسرى وبعث معه كتابا مختوما فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بداعية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فإن عليك إثم المجوس " (٢)

وفي كنز العمال: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس أن أسلم تسلم من شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ذمة الله وذمة رسوله.(٣)

---

(١) تاريخ ابن خلدون – (ج ٢ / ص ٣٧)
(٢) نصب الراية – (٤ / ٤٩٩)
(٣) كنز العمال – (٤ / ٧٥٩) ١١٣٠٢ –

المبحث الثاني:

كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة

تعددت الروايات التي تناولت قصة بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – بكتابه إلى هوذة بن علي. ولقد رأيت أن أفضل تلك الروايات وأجمعها لوجوه القصة ما أورده الإمام ابن القيم. ولذلك فضلت سرد القصة كما جاءت في كتابه، وهي على النحو الآتي:

كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى صاحب اليمامة هوذة بن علي وأرسل به مع سليط بن عمرو العامري: [بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك][1].

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مختوما أنزله وحياه واقترأ عليه الكتاب فرد ردا دون رد وكتب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – : (ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك)

وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبره، وقرأ النبي – صلى الله عليه وسلم – كتابه فقال: لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه فلما انصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الفتح جاءه جبريل – عليه السلام – بأن هوذة قد مات، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– : [أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي] فقال قائل: يا رسول الله من يقتله؟ فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : [أنت وصاحبك] فكان كذلك.

---

(١) ونص الكتاب ورد في عدة كتب منها: مجموعة الوثائق السياسية. ص١٥٦ لكني أعجب كل العجب لعدم ورود صورة لهذا الكتاب في مجموعة الوثائق السياسية وهذا يدل على عدم حفظ الكتاب وعلى عدم وجوده الى الآن. وانظر قصة بعث الرسول بكتابه الى هوذة بن علي: مكاتيب الرسول ج٢ص٣٤٥، الروض الآنف – (ج ٦ / ص ١٢٦، السيرة الحلبية – (ج ٦ / ص ١٥٢)،عيون الأثر– (ج ٨ / ص ٢٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد – (١ / ٢٦٢)، الكامل في التاريخ – (١ / ٣١٨)، الرحيق المختوم – (ج ٣ / ص ١٢)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – (ج ٢٢ / ص ٣٩)

وذكر الواقدي: أن أركون دمشق عظيم من عظماء النصارى كان عند هوذة فسأله عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام فلم أجبه قال الأركون: لم لا تجيبه؟ قال: ضننت بديني وأنا ملك قومي وإن تبعته لم أملك قال: بلى والله لئن تبعته ليملكنك فإن الخيرة لك فى اتباعه وإنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى بن مريم وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل: محمد رسول الله[١].

(١) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت،الطبعة الرابعة عشرة : ١٤٠٧ – ١٩٨٦،تحقيق : شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوطزاد المعاد – (٣ / ٦٠٧)

المطلب الأول: حوار سليط بن عمرو – رضي الله عنه – مع هوذة بن علي

لما قرأ هوذة بن علي الكتاب قال له سليط: ياهوذة إنك سودتك عظام حائلة، وأرواح في النار، وإنما السيد من متع بالإيمان، ثم زود بالتقوى، إن قوما سعدوا برأيك فلا يشقون بك، وإني آمرك بخير مأمور به، وأنهاك عن شيء منتهى عنه، آمرك بعبادة الله، وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإن في عبادة الله الجنة، وفي عبادة الشيطان النار، فإن قبلت قلت ما رجوت وأمنت ما خفت، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع.

فقال هوذة: ياسليط سودني من لو سودك تشرفت به، وقد كان لي رأي أختبر به الأمور ففقدته، فموضعه من قلبي هواء فاجعل لي فسحة يرجع إلي فيها رأيي، فأجيبك به إن شاء الله.[1]

وقال هوذة بن علي في شأن سليط:

أتاني سليط والحوادث جمة ... ... فقلت لهم ماذا يقول سليط؟
فقال التي فيها علي غضاضة ... ... وفيها رجاء مطمع وقنوط
فقلت له غاب الذي كنت أجتلي ... ... به الأمر عني فالصعود هبوط
وقد كان لي والله بالغ أمره ... ... أبا النضر جأش في الأمور ربيط
فأذهبه خوف النبي محمد ... ... فهوذة فه في الرجال سقيط
فأجمع أمري من يمين وشمأل ... ... كأني ردود للنبال لقيط
فأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل ... ... أتاك رسول للنبي خبيط
رسول رسول الله راكب ناضح ... ... عليه من أوبار الحجاز غبيط
سكرت ودبت في المفارق وسنة ... ... لها نفس عالي الفؤاد غطيط
أحاذر منه سورة هاشمية ... ... فوارسها وسط الرجال عبيط
فلا تعجلني يا سليط فإننا ... ... نبادر أمرا والقضاء محيط[2]

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ص٣٤٧،وانظر : الروض الآنف (ج ٦ / ص ١٢٦)، السيرة الحلبية (ج ٦/ص١٥٢)، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض (ج ١ / ص ٣٠٠)

(٢) الروض الآنف – (ج ٦ / ص ١٢٦– ١٢٧)

ويذكر أن أركون وهو عظيم من عظماء النصارى، استأذن على هوذة، فقال لـــه هــوذة: جاءني في كتاب من النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعوني إلى الإســـلام فلـــم أجبـــه فقـــال الأركون: لم لا تجيبه؟ قال: ضننت بديني، وأنا أملك قومي، ولئن اتبعته لا أملك قال: بلى والله لئن اتبعته ليملكنك، وإن الخير لك في اتباعه، وإنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مـــريم (عليه السلام)، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله، وأركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر.[١]

---

(١) انظر: مكاتيب الرسول ج٢ص ٣٤٨

كتاب هوذة إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله– :

كتب هوذة إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله – فرد ردا دون رد، فقال: " ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمــر أتبعك"[١]. فكأنه أراد الشركة في النبوة والخلافة بعده. ثم أجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا مــن نسج هجر.

وفي فتح الباري: " أن هوذة أهدى إليه –صلى الله عليه وآله– غلاما اسمه "كركــرة"[٢]. فلما قدم سليط – رضي الله عنه – بذلك كله على النبي – صلى الله عليه وسلم– وأخبره عنه بما قال، وقرأ كتابه وقال: لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه! وفي عيــون الأثر أنه (صلى الله عليه وآله) قال: " اللهم أكفنيه، فلما انصرف رسول الله – صلى الله عليه وآله– من فتح مكة جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات.[٣]

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ص٣٤٩

(٢) فتح الباري،باب الغلول ،حديث رقم٣٠٧٣(٦ / ١٨٧)

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد – (١ / ٢٦٢) وانظر:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير – (ج ٨ /ص ٢٧) وسبل الهدى والرشاد ص ٣٥٨ .

المطلب الثاني: تحليل كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هوذة بن علي الحنفي

أن رسول الله لما كان واثقا من قوة رسالته ونصر الله سبحانه وتعالى أقدم على إرسال رسله بقلب ثابت وعزم صادق فكانت الكتب التي أرسلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة

ولا شك أن في ذلك قوة عجيبة وشجاعة عظيمة، لأن رسول الله وإن كان قد عقد الصلح مع مكة لكنه لم يكن قد تم له فتحها ولم يسلم أهلها وهذه الكتب ليس من السهل إرسالها إلى هؤلاء الملوك يدعوهم إلى الإسلام ولو كان غير رسول الله لخشي عاقبة ذلك فإن هؤلاء ملوك أقوياء على تخوم بلاده، لكن كانت تلك النتائج التي أثبتت عزة الإسلام وصدق نبيه.

وإذا نظرنا في كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هوذة بن علي نراه قد بدأه بالتحية التي يحيي فيها المسلم غير المسلم، وهي: سلام على من اتبع الهدى. وهذه التحية هي نفسها التي بعث بها إلى هرقل وكسرى وغيرهما. ثم أخبره – صلى الله عليه وسلم – بحقيقة مستقبل الإسلام بأنه سيظهر وينتشرفي أرجاء الأرض فقال له: "واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر"؛ "أي حيث تقطع الإبل والخيل"[١]

فالمجاهدون الراكبون للإبل والخيول ذات الحوافروالخفاف سيصلون بخيولهم إلى شتى البقاع لفتحها ونشر الدين، ثم انتقل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مباشرة ليدعوه للدخول في الإسلام مستخدما أسلوب الترغيب. فقال – عليه السلام –: "اسلم تسلم" أي ستتحقق لك السلامة بمجرد دخولك في الإسلام. وقال له – عليه السلام –: "وأجعل لك ما تحت يديك"، أي أنه – عليه السلام – سيقره على عمله ولن يعزله عن منصبه.

---

(١) السيرة الحلبية – (ج ٦ / ص ١٥٢)

رد هوذة بن علي على كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–

أما هوذة بن علي الحنفي فكان ملكاعلى اليمامة وكان ملكا يدين بالنصرانية. ورئيس قبيلة مسيحية وهي بنو حنيفة باليمامة، وكان حليفا لكسرى وحافظا لمصالحه، وسمي ذا التاج، وكان له بيان وجمال، وكان من الملوك العقلاء، يظهر من بعض روايات أهل الأخبارأن نفوذ هوذة لم يكن واسعا بعيدا بل كان محدودا بقبيلته، وأنه لم يكن بمستوى ملوك الحيرة أو آل غسان بل كان سيد قومه إذ ذاك، على اليمامة.[١]

واليمامة بلاد المشرق كثيرة النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من مكة، وسليط بن عمرو الذي أرسله النبي – صلى الله عليه وسلم – كان ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة نتيجة إرسال الرسل إلى الملوك والأمراء[٢] وإنما خصه النبي – صلى الله عليه وسلم – ، لأنه كان يتردد عليهم كثيرا ويختلف إلى بلادهم (اليمامة).[٣]

ويظهر من السياق أن كسرى هو من توج هوذة ملكا على اليمامة، وأن هوذة وازن بين الملك والإسلام فاختار المنصب والملك، لكنه رد ردا جميلا على الرسالة، فبدأ بمدح الرسول ودعوته.

ولهذا قال المؤرخون: رد ردا دون رد. أي أنه رد ردا غير واضح، فلا هو صرح بقبول الإسلام ولا برفضه، واشترط على الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يجعل له الأمر من بعده، وكأنه أراد الشركة في النبوة، وبعدما قرأ سليط كتاب هوذة بن علي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لو سألني سبابة من الأرض " و السبابة الناحية أو القطعة من الأرض ".[٤]

---

(١) انظر: مكاتيب الرسول ج٢ص٣٤٥

(٢) انظر: محمد رسول الله – (ج ١ / ص ٣٦٥)، الروض الآنف – (ج ٦ / ص ١٢٦)

(٣) الروض الآنف – (ج ٦ / ص ١٢٦)

(٤) انظر: السيرة الحلبية – (ج ٦ / ص ١٥٢)و المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض(١ / ص ٣٠٠)

لقاء هوذة بن علي بسليط بن عمرو – رضي الله عنه –

أخبر هوذة سليط بأنه خطيب قومه وشاعرهم، وأنه توجه كسرى على اليمامة، وهذا يعد قمة الفخر بالنسبة له، ثم أجاز سليط بجائزة وأكرمه وقربه وأحسن استقباله. وكان مما أهدى لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعث به مع سليط غلاما اسمه "كركرة". ذكر الواقدي أنه "كان أسود يمسك دابة النبي – صلى الله عليه وسلم– في القتال"،[١] فقال له سليط – رضي الله عنه –ناصحا إياه: " يا هوذة إنه سودتك أعظم حائلة: أي بالية، وأرواح في النار يعني كسرى، لأنه الذي كان توجه"،[٢] وقال هوذة:

أتاني سليط والحوادث جمة ... ... فقت لهم ماذا يقول سليط؟
فقال التي فيها علي غضاضة ... ... وفيها رجاء مطمع وقنوط
فقلت له غاب الذي كنت أجتلي ... ... به الأمر عني فالصعود هبوط
وقد كان لي والله بالغ أمره ... ... أبا النضر جأش في الأمور ربيط
فأذهبه خوف النبي محمد ... ... فهوذة فه في الرجال سقيط
فأجمع أمري من يمين وشمأل ... ... كأني ردود للنبال لقيط
فأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل ... ... أتاك رسول للنبي خبيط
رسول رسول الله راكب ناضح ... ... عليه من أوبار الحجاز غبيط
سكرت ودبت في المفارق وسنة ... ... لها نفس عالي الفؤاد غطيط
أحاذر منه سورة هاشمية ... ... فوارسها وسط الرجال عبيط
فلا تعجلني يا سليط فإننا ... ... نبادر أمرا والقضاء محيط

---

(١) فتح الباري – باب القليل من الغلول، حديث رقم: ٣٠٧٣(٦ / ١٨٧)
(٢) السيرة الحلبية – (ج ٦ / ص ١٥٢)

قوله في الشعر (فهوذة فه) قال الجوهري: الفه العي، وقوله (سقيط) قال: الســقيط اللئــيم الساقط في حسبه. وقوله (خبيط) قال الجوهري: خبط البعير بيده الأرض وخبط الرجل إذا طرح نفسه حيث كان لينام. وقوله (راكب ناضح) قال: الناضح البعير الذي يستقى عليه. وقوله (غبيط الغبيط الرحل وقوله (غطيط) قال: غط البعير يغط غطيطا أي هدر في الشقشقة والناقة تهدر ولا تغط وغطيط النائم نخيره وقوله عبيط بالعين المهملة قال الجوهري عبط فلان إذا ألقى نفسه في الحرب غير مكره. قلت: هكذا كان الصحابة – رضي الله عنهم – واشتهر ذلك من فعالهم حتى عرفوا به وقوله (سورة) قال: السورة السطوة يقال إن لغضبه لسورة[١]

---

(١) أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري ،المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، دار النشر / عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٥هـ.تحقيق : محمد عظيم الدين– (ج ١ / ص ٣٠٠)

لقاء هوذة بن علي بأركون دمشق

استغرب أركون الذي كان على علم ودراية بالديانة النصرانية وكان مطلع على بشـــارات الأنبياء السابقين بالنبي الخاتم محمد – صلى الله عليه وسلم – استغرب من رد هوذة على النبي وضنه بملكه. وقال له: لو أسلمت لأبقاك على ملكك، وإنه للنبي الذي بشر به عيســـى ونجـــده بصفته في كتبنا. وأسلم ذلك الراهب كما تقدم على يدي خالد بن الوليد – رضي الله عنه – أمـــا هوذة فمات كافرا بعدما آثر الملك على الإسلام. وكان موته بعد فتح مكة، أي أنه لم يلبث طويلا حتى مات ولو أنه أسلم، لكسب خيري الدنيا والآخرة، لكن فتنة المنصب والرياســـة لا تعـــدلها فتنة[١].

(١)انظر : أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري ،المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، دار النشر / عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٥هـ.تحقيق : محمد عظيم الدين– (ج ١ / ص ٣٠٠)

المبحث الثالث:

كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المنذر بن ساوى وتحليله

أرسل – صلى الله عليه – وسلم العلاء الحضرمي بكتابه إلى المنذر بن ساوي العبدي أمير البحرين بعد انصرافه من الحديبية، ونقلت المصادر التاريخية أن المنذر قد استجاب لكتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – فأسلم وأسلم معه جميع العرب بالبحرين، فأما أهل البلاد من اليهود والمجوس فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم دينار، ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام نص كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى المنذر بن ساوي برواية عروة بن الزبير، وجاء فيه:

«سلام أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله، وذمة الرسول، فمن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن ومن أبى فإن الجزية عليه».[١]

وفي زاد المعاد لابن القيم – رحمه الله – أنه – صلى الله عليه وسلم – كتب إلى المنذر بن ساوى وقد وجد هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فإذا فيه: بعث رسول الله – صلى الله عليه و سلم– العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى وكتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام. فكتب المنذر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أما بعد : يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمرك. فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: [بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فإني أذكرك الله – عز و جل – فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية] [٢]

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد – (١ / ٢٦٣)

(٢) زاد المعاد لابن القيم –رحمه الله– (٣ / ٦٠٤)

وقيل في إرساله – صلى الله عليه وسلم – العلاء بن الحضرمي – رضي الله تعالى عنه – إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين أنه كان قبل منصرفه من الجعرانة، وقيل: قبل الفتح، يدعوه إلى الإسلام، وكتب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإسلامه وتصديقه، وإني قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمرك.

فكتب إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية، وكتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للعلاء فرائض الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال، فقرأ العلاء كتابه على الناس، وأخذ صدقاتهم وكتب – عليه الصلاة والسلام – إلى المنذر بن ساوي أما بعد: فإن رسلي قد حمدوك وإنك مهما، تصلح أصلح إليك وأثبتك على عملك، وتنصح لله ولرسوله و [السلام عليك]. (١)

وكتب – عليه الصلاة والسلام – إلى العلاء بن الحضرمي: " أما بعد فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجمتع عنده من الجزية فعجله بها، وابعث معه ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور، والسلام." (٢)

---

(١) محمد بن يوسف الصالحي الشامي. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد .تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م (١١ / ٣٦٤)

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – (١١ / ٣٦٧)

أما في طبقات ابن سعد: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي وهو بالبحرين يدعوه إلى الإسلام وكتب إليه كتابا، فكتب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإسلامه وتصديقه، وإني قد قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمرك؛ فكتب إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسيةٍ فعليه الجزية[١]. وكتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– للعلاء فرائض الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال، فقرأ كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم.

قالوا: وكتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المنذر بن ساوى: أما بعد فإن رسلي قد حمدوك وإنك مهما تصلح أصلح إليك وأثبك على عملك وتنصح لله ولرسوله والسلام عليك. وبعث بها مع العلاء بن الحضرمي.

قالوا: وكتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المنذر بن ساوى كتاباً آخر: أما بعد فإني قد بعثت إليك قدامة وأبا هريرة فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام.

قالوا: وكتب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى العلاء بن الحضرمي: أما بعد فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية فعجله بها وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام.[٢]

---

(١) الطبقات الكبرى.لابن سعد – (١ / ٢٦٣)

(٢) االطبقات الكبرى.لابن سعد – (١ / ٢٧٦)

هذا وقد أورد القاضي عياض كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المنذر بن ساوى التميمي يدعوه إلى الإسلام وهو: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله – عز وجل – فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين وأسلموا إليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته، فعليه الجزية).[١]

وقد بعث النبي – صلى الله عيه وسلم – العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ثم ولاه عليها أميرا حين افتتحها وأقره عليها الصديق ثم عمر بن الخطاب ولم يزل بها حتى عزله عنها عمر بن الخطاب وولاه البصرة فلما كان في أثناء الطريق توفي وذلك في سنة إحدى وعشرين، وكتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للعلاء كتابا فيه فرائض الصدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال.[٢]

أما المنذر بن ساوى العبدي فأسلم فحسن إسلامه وأسلم على يديه جمع من أهل البحرين وأقام فيهم الإسلام والعدل، ثم هلك بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل ردة أهل البحرين والعلاء عنده أميرا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – على البحرين[٣] فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين وقال قائلهم: لو كان محمد نبيا ما مات. ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية يقال لها جواثا كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة، وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم حتى منعوا من الأقوات وجاعوا جوعا شديدا حتى فرج الله وقد قال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف أحد بني بكر بن كلاب وقد اشتد عليه الجوع ...

(ألا أبلغ ابا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا)

(فهل لك في شباب منك أمسوا ... جميعا في جوانا محضرينا)

(توكلنا على الرحمن أنا ... وجدنا النصر للمتوكلينا)[٤]

---

(١) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – (١ / ٤٢٤)

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير – (٤ / ٩١) والبداية والنهاية – (٥ / ٣٥٢)

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير – (٤ / ٦٩٣) والبداية والنهاية – (٦ / ٣٢٧)

(٤) انظر: البداية والنهاية – (٦ / ٣٢٧) والمعجم الكبير – (١٨ / ٩٣)

المطلب الأول: تحليل كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين

أقول: لم أعثر على هذا الكتاب في شيء من الكتب الموجودة عندي، واعترف الحلبي في السيرة[١] بعدم العثور على الكتاب الذي كتبه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المنذر بن ساوى للدعوة إلى الإسلام وفي زاد المعاد لابن القيم اعتراف بذلك أيضا.[٢] وكذلك الأمر في "مكاتيب الرسول".[٣]

ويحتمل قويا أن كثرة كتبه (صلى الله عليه وآله) إلى المنذر بن ساوى أوقع الباحثين في الاشتباه، لأنه (صلى الله عليه وآله) كتبه إليه دفعات كثيرة، فلعل كتابه (صلى الله عليه وآله) إليه للدعوة إلى الإسلام كان في السنة التي كتب فيها إلى الملوك، ثم كتب إليه في السنين القادمة فيما بينها وبين وفاته (صلى الله عليه وآله) في سنة ثمان أو غيرها، فأوجب هذا الاشتباه، فتوهم البعض أن الكتاب إلى المنذر كان في السنة الثامنة فحسب، لذهوله عن تعدد الكتاب.

فلما وصل الكتاب إلى المنذر فقرأه قال العلاء بن الحضرمي – رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله) –: يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تقصرن عن الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين ينكح فيها ما يستحيى من نكاحه، ويأكلون ما يتكره من أكله، وتعبدون في الدنيا نارا تأكلكم يوم القيامة، ولست بعديم العقل ولا رأي فانظر هل[٤] ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا نصدقه، ولمن لا يخون أن لا نأتمنه، ولمن لا يخلف أن لا نثق به، فإن كان هذا هكذا فهذا هو النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به.

---

(١) الحلبي. السيرة النبوية ٣ : ٢٨٤

(٢) ابن القيم: زاد المعاد ٣: ٦١

(٣) مكاتيب الرسول ٢/ ٣٥٥

(٤) مكاتيب الرسول٢/ ٣٥٨

فقال المنذر قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من جاء به أن يعظم رسوله. فأسلم وكتب إلى النبي (صلى الله عليه وآله): " أما بعد يارسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه، وبأرضي يهود ومجوس، فأحدث إلي أمرك في ذلك ". فأقره النبي (صلى الله عليه وآله) على عمله كما كان وعده، وتتابعت بينهما الكتب بعد ذلك في الصدقة والجزية وغيرهما[١].

وقد اتفق المؤرخون على أن الرسول هو العلاء بن الحضرمي، نقل في الوثائق السياسية أنه (صلى الله عليه وسلم) قال للعلاء: " إن أجابك فأقم حتى يأتيك أمري، وخذ الصدقة من أغنيائهم فردها على فقرائهم، قال العلاء: فاكتب لي كتابا يكون معي، فكتب له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرائض الإبل والبقر والغنم والحرث والذهب والفضة على وجهها ".

ولكن حيث إنهم صرحوا بأن الكتاب الآتي الذي كتبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جواب كتاب المنذر أيضا أرسله مع العلاء يعلم أنه مكرر من العلاء الذهاب إلى البحرين. فكأنه حمل الكتاب الأول للدعوة إلى الإسلام، فأسلم المنذر ومن معه وكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإسلامه فأجابه النبي (صلى الله عليه وآله)، وكتب عهده للعلاء في الصدقات وغيرها.

ومات المنذر بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) بقليل قبل ردة البحرين، وكان قدم عليه عمرو بن العاص وحضر عنده في وفاته، فقال المنذر لعمرو: كم جعل للميت من ماله عند الموت؟ قال: الثلث، قال: فما ترى أن أصنع في ثلث مالي؟ قال: إن شئت قسمته في سبيل الخير، وإن شئت جعلت غلته تجري بعدك على من شئت[٢]

---

(١) مكاتيب الرسول ٢/ ٣٥

(٢)مكاتيب الرسول٢/٣٦٠

" أحمد إليك الله " المراد أقدم إليكم أو أهدي إليكم حمد الله على نعمه وآلائه. " وأشـــهد أن لا إله إلا الله " أي: بعد حمده أشهد بوحدانيته، ونفي الشريك له. " فإني أدعوك إلـــى الإســـلام " يمكن أن يكون المراد الدعوة إلى الدين، ويمكن أن يكون المراد للإسلام بـــالمعنى اللغـــوي: أي أدعوك إلى التسليم في مقابل الحق سبحانه وتعالى.

قال تعالى: " إن الدين عند الله الإسلام ". " فأسلم تسلم " أي: إن أسلمت تكن ســـالما عـــن القتل ونهب الأموال و... وإن أسلمت يجعل الله لك ما تحت يديك من الأموال، ومن الحكومـــة والولاية على ما كان لك سلطان عليه. " واعلم أن ديني سيظهر.. " إخبار عن الغيب بأن دينـــه يغلب ويعلو على الأرض حتى منتهى الخف والحافر[١]

كان المنذر بن ساوى صاحب البحرين وملكه، والمقدم في تميم البحـــرين وكـــان تابعـــا لكسرى ملك فارس، وكان مجوسيا وقد كتب إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين كتب إلى الملوك والجبابرة (آخر السنة السادسة أو أول السنة السابعة) وقيل: إنه (صلى الله عليـــه وآلـــه) كتب إليه سنة ثمان. وقيل: قبل فتح مكة كما في سيرة ابن هشام[٢].

إن توسيع ميدان الدعوة بحيث تشمل المعروف المعمور من أرض الله يومئذ أمـــر يثيـــر التأمل. لقد كان العرب يستكثرون النبوة على واحد منهم، ويوسعونه جحودا وكنودا! (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا).

فما يكون شأن الروم والعجم، وهم يرون العرب دونهم منزلة وحضارة وثقافة وسياسة؟! ألا يكونون أسرع إلى السخرية وأدنى إلى الكفران؟ بيد أن أصحاب الرسالات لا ينظرون إلـــى الأمور على ضوء الحاضر الضيق المنكور فإن ثقتهم العميقة فى سيادة فكرتهم وامتداد نطاقها، تصغر العقبات المفروضة فى الطريق، وتجعلها ــ ولو كانت الشم الرواسى ــ هباء منثورا.

---

(١) مكاتيب الرسول٢/٣٥٦

(٢) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣،تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل،سنة النشر ١٤١١،مكان النشر بيروتج٥ص٢٧٠

"ولو انحصر " كارل ماركس " فى حدود مذهبه ــ وهو فكرة مطاردة تصل بذويها إلـــى السجون ــ لأصابه الشلل وقضى عليه وعلى أفكاره، لكنه مضى فى سبيله وهو على أمل بـــالغ أن تقوم بتوجيهها دول كبرى. فإن كان هذا شأن الماديين من أصحاب الأفكار الضالة، فلا جرم أن المرسلين المؤيدين بالوحى يكاتبون الملوك والأمراء وهم موقنون بأن ما لـــديهم مـــن حـــق سيعلو، وذلك ما كان يجول فى نفس الرسول الكريم وهو يعالج هداية الأعراب الشـــاردين فـــى الصحراء طورا باللين وطورا بالشدة.

ثم هو ــ فى الوقت نفسه ــ ينصح لقادة الشعوب الأخرى أن يفكروا فى هذا الدين الجديد، وأن يعتنقوه وافرين. إن الخرافة التى أفسدت عقل بدوي ترب إهابه وثيابه رياح "نجـــد"، هـــى بعينها الخرافة التى تفسد فكر كسرى، عاهل الفرس العظيم. ما الفارق بين الحمى تصيب ملكـــا أو تصيب صعلوكا؟ إن الطبيب يصف لها ــ على الحالين ــ دواء واحدا، ويتخذ ضد عـــدواها حصانات واحدة!

وقد أراد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يشفى الكبار والصغار من أمراض نفوسهم وأن يناولهم جميعا الدواء الذي يصحون به. (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا). فلا غرو إذا جمع فى مصحة بين الأحمر والأسود، والسادة والعبيد. أجل، قد يكون أولئك الملوك محجبين وراء أسوار مشيدة، وحولهم من الأتباع والجند والأبهة والرياش ما يبهر العين، لكن أى عين تنبهر لهذه المظاهر؟ إن الطبيب المعالج لا يعنيه من مريضه إلا جسده الشاحب العليل، والأنبياء لا يرون فى القوم إلا أنهم جهال يجب أن يتعلموا، سفهاء يجب أن يسترشدوا، وأن ما حولهم من الدنيا يجعل تبعتهم أخطر، وجزاءهم على الهدى والضلال أضخم. على أن هذه القوى المسخرة فى حماية الباطل لن يطول أمدها، إلا كما يطول الليل على المؤرق، ثم تطلع الشمس، ويمحو الله بالآية المبصرة سدول الظلام"[١].

(١) فقه السيرة – (١ / ٣١٥)

المطلب الثاني: حكمه – صلى الله عليه وسلم – في الجزية ومقدارها وممن تقبل

قد تقدم أن أول ما بعث الله – عز و جل – به نبيه – صلى الله عليه وسلم – الدعوة إليه بغير قتال ولا جزية فأقام على ذلك بضع عشرة سنة بمكة ثم أذن له في القتال لما هاجر من غير فرض له ثم أمره بقتال من قاتله والكف عمن لم يقاتله ثم لما نزلت (براءة) سنة ثمان أمره بقتال جميع من لم يسلم من العرب : من قاتله أو كف عن قتاله إلا من عاهده ولم ينقضه من عهده شيئا فأمره أن يفي له بعهده ولم يأمره بأخذ الجزية من المشركين وحارب اليهود مرارا ولم يؤمر بأخذ الجزية منهم

ثم أمره بقتال أهل الكتاب كلهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية فامتثل أمر ربه فقاتلهم فأسلم بعضهم وأعطى بعضهم الجزية واستمر بعضهم على محاربته فأخذها – صلى الله عليه وسلم – من أهل نجران وأيلة وهم من نصارى العرب ومن أهل دومة الجندل وأكثرهم عرب وأخذها من المجوس ومن أهل الكتاب باليمن وكانوا يهودا ولم يأخذها من مشركي العرب، فقال أحمد والشافعي:

لا تؤخذ إلا من الطوائف الثلاث التي أخذها رسول الله – صلى الله عليه و سلم – منهم وهم : اليهود والنصارى والمجوس ومن عداهم فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل. وقالت طائفة : في الأمم كلها إذا بذلوا الجزية قبلت منهم : أهل الكتابين بالقرآن، والمجوس بالسنة ومن عداهم ملحق بهم لأن المجوس أهل شرك لا كتاب لهم فأخذها منهم دليل على أخذها من جميع المشركين

وإنما لم يأخذها – صلى الله عليه وسلم – من عبدة الأوثان من العرب لأنهم أسلموا كلهم قبل نزول آية الجزية فإنها نزلت بعد تبوك وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد فرغ من قتال العرب واستوثقت كلها له بالإسلام ولهذا لم يأخذها من اليهود الذين حاربوه لأنها لم تكن نزلت بعد فلما نزلت أخذها من نصارى العرب ومن المجوس ولو بقي حينئذ أحد من عبدة الأوثان بذلها لقبلها منه كما قبلها من عبدة الصلبان والنيران .

ولا فرق ولا تأثير لتغليظ كفر بعض الطوائف على بعض ثم إن كفر عبدة الاوثان ليس أغلظ من كفر المجوس وأي فرق بين عبدة الأوثان والنيران بل كفار المجوس أغلظ وعباد الأوثان كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأنه لا خالق إلا الله وأنهم إنما يعبدون آلهتهم لتقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ولم يكونوا يقرون بصانعين للعالم أحدهما :

خالق للخير والآخر للشر كما تقوله المجوس ولم يكونوا يستحلون نكاح الأمهات والبنات والأخوات وكانوا على بقايا من دين إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وأما المجوس فلم يكونوا على كتاب أصلا ولا دانوا بدين أحد من الأنبياء لا في عقائدهم ولا في شرائعهم والأثر الذي فيه أنه كان لهم كتاب فرفع ورفعت شريعتهم لما وقع ملكهم على ابنته لا يصح البتة ولو صح لم يكونوا بذلك من أهل الكتاب فإن كتابهم رفع وشريعتهم بطلت فلم يبقوا على شيء منها

ومعلوم أن العرب كانوا على دين إبراهيم – عليه السلام – وكان له صحف وشريعة وليس تغيير عبدة الأوثان لدين إبراهيم – عليه السلام – وشريعته بأعظم من تغيير المجوس لدين نبيهم وكتابهم لو صح فإنه لا يعرف عنهم التمسك بشيء من شرائع الأنبياء – عليهم الصلوات والسلام – بخلاف العرب فكيف يجعل المجوس الذين دينهم أقبح الأديان أحسن حالا من مشركي العرب وهذا القول أصح في الدليل[١].

وفرقت طائفة ثالثة بين العرب وغيرهم فقالوا: تؤخذ من كل كافر إلا مشركي العرب ورابعة: فرقت بين قريش وغيرهم وهذا لا معنى له فإن قريشا لم يبق فيهم كافر يحتاج إلى قتاله وأخذ الجزية منه البتة وقد كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أهل هجر وإلى المنذر بن ساوى وإلى ملوك الطوائف يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية ولم يفرق بين عربي وغيره.

وأما حكمه في قدرها فإنه بعث معاذا إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم دينارا أو قيمته معافر وهي ثياب معروفة باليمن ثم زاد فيها عمر – رضي الله عنه – فجعلها أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعين درهما على أهل الورق في كل سنة، فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – علم ضعف أهل اليمن وعمر – رضي الله عنه – علم غنى أهل الشام وقوتهم[٢].

---

(١) زاد المعاد – (٥ / ٨٢)

(٢) زاد المعاد – (٥ / ٨٢)

المبحث الرابع:

كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى جيفر وعبد ابني الجلندي وتحليله

تعددت الروايات التي تناولت قصة بعث عمرو بن العاص – رضي الله عنـــه– بكتــاب النبي– صلى الله عليه وسلم– إلى جيفر وعبد ملكي عُمان، وكان هناك شبه كبير بينها وقد يصل إلى حد التطابق التام في سرد تلك القصة، وقد ارتأيت تناول ما أورده ابن القيم وهـــي: أنـــه – صلى الله عليه وسلم– كتب إلى ملك عمان كتابا وبعثه مع عمرو بن العاص، وفيه:

[بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام علـــى من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما] وكتب الكتاب أبي بن كعب وختم الكتاب.

قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت إلى عبـــد وكـــان أحلـــم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت: إني رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليك وإلى أخيك فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال: وما تدعو إليـــه؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله قال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة؟

قلت: مات ولم يؤمن بمحمد – صلى الله عليه وسلم – ووددت أنه كان أسلم وصدق بـــه، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريبا فســـألني أيـــن كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال: فكيف صنع قومه بملكـــه؟ فقلت: أقروه واتبعوه قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم، قال: انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب قلت: ما كذبت وما نستحله في ديننا، ثم قال: مـــا أرى هرقل علم بإسلام النجاشي قلت: بلى قال: بأي شيء علمت ذلك؟

قلت: كان النجاشي يخرج له خرجا فلما أسلم وصدق بمحمد – صلى الله عليـه وسـلم – قال: لا والله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته. فبلغ هرقل قوله فقال له يناق أخوه: أتدع عبدك لايخرج لك خرجا ويدين دينا محدثا؟ قال هرقل: رجل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال: انظر ما تقول يا عمرو قلت: والله صدقتك.

قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله – عز و جـل – وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنـى وعـن الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كـان أخـي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصـير ذنبا قلت: إنه إن أسلم ملكه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على قومه فأخذ الصـدقة مـن غنيهم فردها على فقيرهم قال: إن هذا لخلق حسن وما الصدقة؟

فأخبرته بما فرض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل قال: يا عمرو: وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وتـرد الميـاه؟ فقلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قـال: فمكثـت ببابه أياما وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري ثم إنه دعاني يوما فدخلت عليه فأخذ أعوانـه بضبعي فقال:

دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه فقال: تكلـم بحاجتـك فدفعت إليه الكتاب مختوما ففض خاتمه وقرأ حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثـل قراءته إلا أني رأيت أخاه أرق منه [(١)]

قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إما راغب في الدين وإما مقهـور بالسيف قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة وأنت إن لـم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك فأسلم تسلم ويستعملك على قومـك ولا تـدخل عليك الخيل والرجال قال: دعني يومي هذا وارجع إلي غدا. فرجعت إلى أخيه

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد – (٣ / ٦٠٥)

فقال: يا عمرو! إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه. حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه فأخبرته إني لم أصل إليه فأوصلني إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيلــه هاهنـــا وإن بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت: وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال: ما نحن فيما قد ظهر عليه وكل من أرسل إليه قد أجابه فأصبح فأرسل إلي فأجـــاب إلـــى الإسلام هو وأخوه جميعا، وصدقا النبي – صلى الله عليه وسلم – وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني.(١)

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد – (٣ / ٦٠٥)، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد – (١ / ٢٦٢)، الأنصاري، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (ج ١ / ص ٢٨١)، السيرة الحلبية – (ج ٦ / ص ١٤٨)، الرحيق المختوم – (ج ٣ / ص ١٣)

المطلب الأول: موثوقية رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى جيفر وعبد الجلندي

يقول المؤلف (حميد الله): رأيت عند بعض الإخوان في باريس في السنة ١٤٠٠ ه – ١٩٨٠م فصيلة من جريدة يومية عربية من تونس فيها تصوير أصل مكتوب النبي (عليه السلام) إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، ولكن لم يعرف اسم الجريدة ولا تاريخها.

وفيما علقت عليه الجريدة التي نشرته: "عثر علماء الآثار على النسخة الأصلية... جاء هذا أثناء زيارة الأستاذ اسماعيل الرصاصي السفير العماني السابق لدى إيران لبعض البلدان العربية، وقد وجد الأصل في حوزة هاوي آثار وتحف لبناني الجنسية... الشخص المذكور رفض تسليم المخطوط لسعادة السفير إلا أنه سمح له بتصويره. ووعدنا سعادة سفير عمان في باريس أن يبحث فيه فجزاه الله خيرا، والنص في هذا الأصل كما يلي:

[بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما فإن ملككما زائل وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما] (١)



---

(١) مجموعة الوثائق الساسية، ص١٦١-١٦٢

المطلب الثاني: ردة فعل جيفر وعبد ملكي عمان من الدعوة

وروي في بعض كتب السيرة الحوار الذي جرى بين عمرو بن العاص "داهيـــة العــرب" وجيفر وعبد ملكي عمان، وفيها:

أن عمرا قال له فيما دار بينهما من الكلام: إنك وإن كنت منا بعيدا فإنك من الله غير بعيد، إن الذي تفرد بخلقك أهل أن تفرده بعبادتك وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك واعلم أنه يميتك الذي أحياك ويعيدك الذي أبدأك فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاءنا بالدنيا والآخرة فإن كـــان يريد به أجرا فامنعه أو يميل به هوى فدعه ثم انظر فيما يجيء به هل يشبه ما يجيء به الناس فإن كان يشبهه فسله العيان وتخير عليه في الخبر وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال وخــف مـــا وعد.

قال ابن الجلندي: إنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كـــان أول من أخذ به، ولا ينهي عن شر إلا كان أول تارك له، وإنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضـــجر، وأنه يفي بالعهد وينجز الموعود، وأنه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوي فيه أهله. وأشـــهد أنـــه نبي.[١]

وقد ترجم ابن حجر للجلندي وعده من الصحابة، وذكر الحوار الذي جرى بينـــه وبـــين عمرو ابن العاص والذي أفضى إلى إسلامه، ثم أنشد بعد إسلامه أبياتا منها:

أتاني عمـــرو بالتـــي ليـــس بعدها ... من الحق شيء والنصيح نصيح ...
فقلت له ما زدت أن جئت بالتي ... جلندى عمـــان في عمـــان يصيح ...
فيا عمرو قـــد أسلمـــت لله جهـــرة ... ينادي بها فـــي الواد بيـــن فصيـــح[٢]

---

(١) أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء – عالم الكتب – بيروت – ١٤١٧هـــ،الطبعة: الأولى، تحقيق: د . محمد كمال الدين عز الدين علي(٢ / ٣١٩) وانظر: عز الدين بن جماعة الكتاني، المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق سامي مكي العاني، دار البشير، سنة النشر ١٩٩٣م، مكان النشر عمان (١ / ١١٧– ١١٨)
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة – (١ / ٥٣٨)

المطلب الثالث: تحليل الحوار ما بين عمرو بن العاص والجلندي

استمع عبد الله بن الجلندى لكلام محدثه عمروبن العــاص – رضـــي الله عنـــه – عـــن الإسلام، وتأثر بالإسلام تأثرا كبيرا، وأعجب بمبادئه إعجابا بالغا، وصار قريبا جدا من الإسلام.

لكن القرار هو قرار أخيه جيفر، فهو الملك، وهو يعلم حرص أخيه على الملك، فهل يسلم يا ترى؟

والكتاب الذي مع عمرو بن العاص – رضي الله عنه – موجه أساسا إلى جيفر، وعمرو لم يقابله حتى الآن. وقد تكفل عبد الله بالكلام مع جيفر، والتمهيد لمقابلة ابن العاص له.

انتظر عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أياما، ليقابل جيفر، وقد كلم عبد الله أخاه عن عمرو ومهمته والكتاب الذي معه، فأجل مقابلته له أياما، وعمرو ينتظر تحديد موعد المقابلة! وأخير حدد الملك جيفر موعدا لمقابلة عمرو.

وفي الموعد المحدد، أخذ عمرو الكتاب المختوم، ودخل على الملــك، ولمـــا رآه رجـــال الحاشية أمسكوا به، وأرادوا منعه وإخراجه. وكان الملك جالسا في صدر ديوانـــه، فلمـــا رأى تصرف رجال حاشيته قال لهم: دعوه!

حوار ابن العاص مع الملك جيفر:

تقدم عمرو بن العاص إلى الملك جيفر، وناوله الكتاب المختوم، فتناول الكتـــاب، وفـــض خاتمه، وقرأه باهتمام، وبعدما أنهى قراءته دفعه إلى أخيه عبد الله، الذي كان جالســـا بجانبـــه، فقرأه عبد الله.

قال عمرو: قرأ عبد الله الكتاب كما قرأه أخوه جيفر، إلا أنني نظرت في وجه عبدالله وهو يقرأ الكتاب، فرأيته أرق من أخيه، وأكثر تأثرا بالكتاب.

بعدما قرأ الملك جيفر كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، سأل عمرو بن العــاص – رضي الله عنه–: أخبرني كيف صنعت قريش بالإسلام، فهم قدوتنا في ذلك؟!

قال عمرو: فريق منهم اتبعوه مسلمين راغبين في الدين، وفريق آخرون حاربوه، فقهرهم المسلمون بالسيف.

قال جيفر: ومن سار مع محمد ودخل في دينه؟

قال عمرو: الناس رغبوا في الإسلام، واختاروه على غيره، وبعدما فكروا عرفــوا أنهــم كانوا على ضلال، ولم يبق في هذه المنطقة غيرك.

ثم قال عمرو للملك جيفر: إن لم تسلم وتدخل في دين محمد – صلى الله عليــه وســلم–، فسوف يجهز جيشا من المجاهدين لحربك، وسوف يهاجمونك بخيولهم، فيقضون عليك، ويبيدون خضراءك، ويزيلون ملكك.

وإن أسلمت فإن محمدا – صلى الله عليه وسلم – سوف يستعملك على قومــك، ويقــرك ملكا، وبهذا تسلم أنت وقومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال، وتنال خير الدنيا والآخرة.

فكر جيفر في كلام عمرو، وفي ما ساقه له من ترغيب وترهيب، وبدا متأثرا بذلك.

ثم خاطب ابن العاص قائلا: دعني أفكر في يومي هذا، وارجع إلي غدا أعطك الجــواب.

خرج عمرو من مجلس الملك، والتقى بأخيه عبدالله، الذي كان أكثر تأثرا منه، وأرق قلبا منــه، ولكنه لا يخطو خطوة قبل أخيه، وقال له: كيف ترى موقف أخيك؟

قال عبد الله: إن لم يضن بملكه، ولم يؤثره على الإسلام، فإني أرجو أن يسلم!(١)

---

(١) انظر: صلاح الخالدي، الرسول المبلغ، دار القلم /دمشــق، ط١،ص٢٠٣-٢١٢ نقــلا عــن زاد المعــاد ج٣ص(٦٩٣- ٦٩٦

الملك جيفر يرفض الإسلام:

وفي اليوم التالي ذهب عمرو بن العاص إلى الملك جيفر، حسب الموعد المتفق، فتشاغل عنه الملك، ولم يأذن له بالدخول.

غضب عمرو من موقف جيفر، وذهب إلى أخيه عبدالله محتجا.

هدّأ عبد الله من غضب عمرو، وأخذ بيده، وأدخله على جيفر.

خاطب جيفر ابن العاص قائلا: إني فكرت فيما دعوتني إليه، من الدخول في الإسلام، وإني أرفض هذه الدعوة، ولا أريد أن أسلم!!

إنني يا عمرو ملك عمان، فكيف تريدني أن أتنازل عن الملك، وأن أسلم ملكها لمحمد بن عبدالله؟ وهل هناك عاقل يفعل ذلك!؟

أما ما تهدد به يا عمرو من غزونا بخيولكم أيها المسلمون، فإن خيولكم لا تصل إلى هنا، للمسافة البعيدة بين المدينة وبين عمان، وإن بعث محمد بن عبد الله خيولا إلينا لقتالنا فسوف نقضي عليها، ونحن أقوى من كل من قاتلهم محمد بن عبد الله !!

ماذا فعل عمرو بعدما سمع كلام جيفر؟ هل يسكت على تهديده؟ ليس عمرو من يسكت على التهديد.

---

(١) انظر: صلاح الخالدي، الرسول المبلغ، دار القلم /دمشق، ط١،ص٢٠٣-٢١٢ نقلا عن زاد المعاد ج٣ص(٦٩٣-٦٩٦)

ابن العاص يهدد الملك جيفر:

ولذلك أقبل على الملك، وخاطبه خطابا في غاية الجرأة والوضوح، دفع الملك إلى تغيير موقفه.

قال له عمرو: يا جيفر بن الجلندى: أعلم أنك إن كنت منا بعيدا، فإنك من الله غير بعيد، وهو قادر عليك.

واعلم أن الله الذي تفرد بخلقك أهلٌ أن تفرده بعبادتك، ولا يجوز أن تشرك به غيره من الأوثان، لأن الله لم يشركهم في خلقك عندما خلقك.

واعلم أنه يميتك الله الذي أحياك، ويعيدك إلى الحياة يوم القيامة الذي بدأك أول مرة.

وانظر في النبي محمد – صلى الله عليه وسلم–، فإنه جاء بخيري الدنيا والآخرة، انظر في حياته، فإن كان يريد بدعوته مالا وأجرا، فامنعه ذلك ولا تعطه إياه، وإن كان متبعا للهوى فدعه ولا تبايعه على هواه.

ثم انظر في دعوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم–، هل جاء أحد من الناس بمثل ماجاء به؟ وهل دعا أحد من الناس إلى مثل ما دعا إليه؟ فإن كان يشبهه فدع دعوة النبي، وإن كانت دعوته لا تشبه أي دعوة، فاقبل ما قال، وخذ ما دعاك إليه، وارج ما رغبك إليه، وخف ما هددك به !!

فكر الملك جيفر في كلام عمرو، واستحضر في ذهنه ما سمعه عن النبي – صلى الله عليه وسلم–، ثم خاطب ابن العاص قائلا:

يا عمرو، لقد سمعت أن هذا النبي الأمي لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به وفعله، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وإذا انتصر وغلب عدوه فإنه لا يبظر أو يتكبر، وإذا هزم فإنه لا يضجر أو ييأس، وهو يفي بالعهد، وينجز الموعود.[١]

---

(١) انظر: صلاح الخالدي، الرسول المبلغ، دار القلم /دمشق، ط١،ص٢٠٣-٢١٢ نقلا عن زاد المعاد ج٣ص(٦٩٣-٦٩٦)

تردد جيفر الجلندي في إعلان إسلامه:

لكن رغم هذه الشهادة من الملك جيفر للنبي – صلى الله عليه وسلم–، فإنـــه لـــم يعلـــن إسلامه، ولم يعد بذلك.

لاحظ عمرو بن العاص تردد الملك جيفر، فهو يخطو نحو الإسلام خطوات واسعة للأمام، لكن نفسه تدعوه إلى الإحجام، وأراد عمرو أن يقطع تردد الملك بخطوة أشبه ما تكون بتهديد.

قال له : أيها الملك، لقد مضى علي عدة أيام عندكم، وقد بلغتكم دعوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وها أنتم لا تلبون دعوته، ولا تدخلون في دينه، وقد انتهت مهمتي عندكم، وأنا عائد غدا إلى المدينة، لأخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بموقفكم!

وغادر عمرو مجلس الملك جيفر، وخلا عبد الله بأخيه، وكلمه بشأن الإسلام، وقال له: يا أخي : لقد راسل محمد بن عبد الله الملوك والأمراء وبلغهم الدعوة، وأقام عليهم الحجة، وكل من حولنا أجابوه إلى ما طلب، فأسلموا ودخلوا في دينه، وإذا نحن لم نسلم، فسيتوجه كل من حولنا لقتالنا بأمر رسول الله.

ثم انت وقفت على أخبار رسول الله، وعلمت حقيقة دعوته، وأنها دعوة الحق، فلمـــاذا لا نسلم وندخل في دينه، وننال خير الدنيا والآخرة !!

إسلام جيفر وأخيه وأهل عمان:

سمع جيفر كلام أخيه عبد الله بتفاعل واهتمام، وفكر في موقفه، فها هو عمرو بن العاص سيعود غدا إلى المدينة، وسيبلغ رسول الله بالأمر، وستكون النتائج وخيمة !

وشرح الله صدر جيفر وأخيه عبد الله للإسلام، وعزما على إعلانه في صباح اليوم التالي.

وفي الصباح دعا عبد الله عمرو بن العاص لمقابلة الملك؛ فلما دخل عليهما بادره جيفر بقوله: يا عمرو بن العاص : لقد أيقنت أن محمدا هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله !

ولما أسلم جيفر، أسلم أخوه عبد الله ، ففرح عمرو بذلك ودعا الله لهما.

وبعد ما أسلم جيفر دعا وجوه وأعيان قومه، وأخبرهم بقصة عمرو بن العاص، وكتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – له، ودعوته للدخول في دينه.

وأعلمهم أنه أيقن أنه رسول الله، وأنه أسلم مع أخيه، ودعاهم إلى الدخول في الإسلام، فلبوا دعوته، ودخلوا في الإسلام.

ولما رآهم الملك جيفر مسلمين، أنشد أبياتا في الحادثة، فقال :

أتاني عمرو بالتي ليس بعدها ... من الحق شيء والنصيح نصيح

فقلت له: ما زدت أن جئت بالتي ... جلندي عمان في عمان يصيح

فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة ... ينادي بها في الواديين فصيح

وأقام عمرو بن العاص في عمان عند جيفر وعبد الله، رضي الله عنهم، وجمع الصدقات من الأغنياء، وقسمها على الفقراء.

وبذلك دخلت عمان في الإسلام، بإسلام ملكها جيفر وأخيه عبدالله.[١]

---

(١) انظر: صلاح الخالدي، الرسول المبلغ، دار القلم /دمشق، ط١،ص٢٠٣-٢١٢ نقلا عن زاد المعاد ج٣ص(٦٩٣-٦٩٦)

المطلب الرابع: تحليل كتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى جيفر وعبد ابني الجلندي

كانت عُمان عندما راسلها – عليه الصلاة والسلام – مملكة آمنة مستقرة ، وكانت تحظى بما يشبه الاستقلال، إذ كان يتولى الأمر فيها عربي من قبيلة الأزد، هو جيفر بن الجلندى، يساعده في ذلك أخوه عبد. وقد كان منهج النبي – صلى الله عليه وسلم– يقوم على توجيه الدعوة إلى الحكام قبل رعاياهم؛ لأنهم أصحاب القرار الأول في إجابة الدعوة أو رفضها، ولأن الرعية تبع لراعيها، وقد قيل "الناس على دين ملوكهم[١]."

ومن هذا المنطلق الحكيم، استهل – عليه الصلاة والسلام – دعوة العمانيين بمخاطبة ملكهم المحلِّي آنذاك جيفر ونائبه عبد، واتخذ – صلى الله عليه وسلم – الصحابي الجليل عمرو بن العاص سفيراً إليهما، وتتحدَّث المصادر عن حُسن وفادة ابن العاص على ابني الجلندى، ومحاورته معهما، ونجاحه في إقناعهما بقبول الإسلام[٢]. وأما نص الرسالة التي حملها ابن العاص، فهو يجري على هذا النحو:

"بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى، سلام على من اتَّبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإنّي رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين. وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرَا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما"[٣]

---

(١) انظر: محمد الدروبي، رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان دراسة تحليلية ص٢نقلاعن السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج١، ص ٥٣–٥٨.

(٢) محمد الدروبي، رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان دراسة تحليلية ص٢

(٣) مجموعة الوثائق الساسية، ص١٦١–١٦٢

تقوم الرسالة الآنفة على ثلاث محاور أساسية تقوم عليها الرسائل النبوية بعامة، فهي تستهل بعرض الدعوة من غير تفصيل، وتتعانق الرسالة مع غيرها من رسائل الدعوة في العبارة المحورية "فإني أدعوكما بدعاية الإسلام"، وتشبه هذه العبارة أن تكون شعاراً نبوياً في عرض الدعوة على المدعوين من المُلوك، فقد ترددت في الرسائل الموجهة إلى كسرى، وهرقل، والمقوقس، وغيرهم. وهكذا يجد الدارس أن عرض الدعوة، كما تشف عنه الرسالة، كان يقوم على المباشرة والوضوح والبساطة، مع ترك تفصيلات الدعوة للسفراء الذين كانوا يحملون هذه الرسالة، فهم القادرون على شرح رسالة الإسلام، والإجابة عن استفسارات المدعوين[١].

يبدو موضوع الرسالة لصيقا برسائل الدعوة التي بعثها – عليه الصلاة والسلام – إلى معاصريه من الملوك والأمراء والسادة، إذ يجد المدقّقُ مشابه عدَّة بين هذه الرسائل، ولا سيما في قوله:

"فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين"؛ فإن هذا المقطع يتكرر في الرسائل المشار إليها، مع بعض تحوير في الضمائر لتناسب حال المخاطب، فردا كان أو أكثر. ويؤمى هذا المنحى من ترداد الألفاظ بحذافيرها إلى أمرين:

أحدهما أن تكون هذه الرسائل حررت في المدَّة نفسها، والأغلب أن يكون ذلك في السنة السابعة للهجرة أو بعدها بيسير، فقد كاتب – عليه الصلاة والسلام – ابتداء من هذا العام ملوك الأرض، ونفذت كتبه إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

وثانيهما أن تكون هذه الرسائل أنشأت على يد الكاتب نفسه، وثمَّة ما يشير إلى أنَّ الصحابي أُبيّ بن كعب كان تولى كتابة الرسالة النبويَّة إلى ملكي عُمان[٢].

---

(١) محمد الدروبي، رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان دراسة تحليلية ص٢نقلا عن ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج٣، ص٦٢، الميانجي، مكاتيب الرسول، ج٢، ص ٣٦١.و المقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، ص ٨٥

(٢) انظر: المرجع السابق نقلا عن القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص ٣٦٦، حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ٨١، الميانجي، مكاتيب الرسول، ج٢، ص٣٢١.

و" دعاية الإسلام " هي دعاية الله وهي التوحيد. " لأنذر من كان حيا " أي: فهما عـاقلا، كنى عن العاقل بالحي إيعازا إلى أن الذي لا يعقل ولا يفهم كالميت، كما قال تعالى: (**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**) [١] و (**إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**)[٢]. تصريح في الكتاب بعموم دعوته بقوله (صلى الله عليه وآله): (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة) [٣]وأنه لا يختص نبوته بالعرب أو أم القـرى ومـن حولها.

وتلح الرسالة في هذا المحور على مبدأ عالمية الإسلام وشموله، وأنه إلى الناس كافـة، وأن الرسول – عليه الصلاة والسلام – نذير من الله، جاء مبلغا عن ربه، ليكون حجـة علـى الناس، فلا يبقى لهم عذر في قبول الوحدانية التي تمثل جوهر الدعوة الإسلامية.

وتتحول الرسالة بعد عرض الدعوة إلى محور آخر يحث على الترغيب في هذه الـدعوة؛ ليتسنى إقناع المدعوين بها، ويدور الحديث في هذا المقطع عن بعض المُحفِّزات التي ترغب الملكين في قبول الإسلام، إذ يعد الرسول – عليه الصلاة والسلام – الإيمان بدعوته سبيلا أفضل لتحقيق السلامة والأمن بمفهومهما الواسع، فالإسلام في معناه يحمل دلالات عظيمة، فهو يحقـق المعاني السامية التي ينشدها الإنسان، حاكما كان أم محكوما، وهذا مناط العبارة الـواردة فـي الرسالة "أسلِما تسلما".

وتكاد هذه العبارة النمطية تكون شافية في أكثر المراسلات النبوية . وباستطاعة المدقّق أن يترصد هذه العبارة في الرسائل الموجهة إلى كسرى ، وهرقل، والمنذر ابن سـاوى صـاحب البحرين، وهوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة، وغيرهم.

---

(١) النمل: ٨٠

(٢) فاطر: ٢٢

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) رقم ٢٣ (١ / ١٦٨)، - أخرجه مسلم في أوائل المساجد ومواضع الصلاة رقم ٥٢١

وفي هذا السياق، تسلك الرسالة مسلكا نفسيا دقيقا، يرغب الملكين العمـانيين فـي قبـول الدعوة، إذ يقرر – عليه الصلاة والسلام – مبدأ بقاء الحاكم في منصبه إذا اسـتجاب للإسـلام، وكأنما يقدم الرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذا المقطع عرضا مغريا يشجّع الملكين على اعتناق الإسلام، ولعله لا يخفى أن مثل هذا المسلك يعانق الجوانب النفسية في الإنسان المـدعو؛ لأن الإنسان بطبعه مجبول على النظر إلى مصالحه، والقيام على رعايتها، وغالبا مـا يعـادي الأفكار الجديدة التي تجرده من مكتسباته، أو تسبب الضرر لمصالحه، وقد جذم الرسول – عليه الصلاة والسلام – هذا الهاجس الذي يداعب النفس الإنسانية في العادة، فوعد الملكين بالحفـاظ على سلطانهما، إن هما آمنا ودخلا في الإسلام.

وقد يكون من نافلة القول أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يصدر عن هذه الرؤيـة السياسية الحكمية في علاقاته مع أصحاب السلطات المدعوين، فكان يقرهم على ما هم عليه من سيادة أقوامهم. وربما يكون جديرا أن يشير الباحث في هذا الصدد إلى أن السير العمانية تؤكـد بقاء جيفر وأخيه عبد – بعد إسلامهما – في سدة الملك إلى وفاتهما.[1]

وتختم الرسالة بالمحور الثالث القائم على الترهيب من رفض الدعوة؛ ليكون هذا المحور مقابلا للمحور الآنف القائم على الترغيب في قبول الدعوة. ويتضمَّن هذا المحور تهديدا واضحا بإنهاء مُلك الملكين، إذ ستقضي الجيوش الإسلامية على سلطانهما، وسينتهي مُلكهما إلى الضياع، وسيكون النصر للمسلمين.

ويبدو الرسول – عليه الصلاة والسلام – ههنا واثقا من النصر وانتشار الإسلام وظهـور المسلمين على غيرهم، ويلاحظ الدارس أنَّ هذا المنحى من التهديد والوعيد يتراءى واضحا في عدد من الرسائل النبوية الموجهة إلى ملوك الجزيرة وأُمرائها[2].

---

(١) محمد الدروبي، رسائل النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أهل عمان دراسة تحليلية ص٣ نقلا عن السالمي، تحفة الأعيان، ج١، ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق

ثم وعدهما ببقاء ملكهما إن أسلما وذهابه إن لم يسلما، وأخبر بأن خيله تحل بساحتهما، وتغلب نبوته على ملكهما. والساحة: الناحية والقضاء بين دور الحي ،قوله (صلى الله عليه وآله): "وتظهر نبوتي إلخ " هذه الجملة تعطينا درسا إضافيا ومعنى حقيقيا كاملا من السلطنة والفتوحات الإسلامية، إذ المستفاد منها: أن الفتوحات الإسلامية يجب أن تكون فتحا إلهيا وظهورا روحانيا تحكم على القلوب، وتفتح الضمائر والصدور محفوفة بالإيمان ومشفوعة بالتقوى (قبل أن تكون مغالبة القدرة الظاهرة بالقوة ورباط الخيل) .(١)

ويشكل الإسلام عقيدة وإيمان وروحانية ونبوة، وليست ملكا وإمبراطورية مادية، والفرق بينهما واضح لمن عقل وتدبر، وكذلك الحكومات التي أسسها الأنبياء العظام – صلوات الله عليهم – وإذا شئت أن تعرف الحقيقة فقس بين فتوحات ملوك العالم والفتوحات التي وقعت في عصر النبي (صلى الله عليه وآله)، ولاحظ حكومة علي (عليه السلام) ومعاوية، هذا يعفو عن أعدى أعدائه، وذاك يقتل على الظنة والتهمة، والكلام في المقام كثير، وقد كان الجلندي وجيفر وعبد أزديين، والأزد قبيلة من أعظم قبائل العرب وأشهرها، وتنقسم إلى أربعة أقسام:

أزد شنوءة، أزد غسان، أزد السراة، أزد عمان. وكان الجلندى وجيفر وعبد والمنذر بن ساوى بل جميع البحرين خاضعين للفرس "و" كانت ملوك فارس تستعملهم عليها، بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عمان " و" لكن قبضة الفرس عليهما (أي: البحرين وعمان) في هذه الفترة بالذات قد ضعفت كنتيجة طبيعية لتدهور الحكم الإمبراطوري في فارس وانحطاطه، فالانتصارات المتلاحقة التي أحرزها الروم على الفرس، والانقسامات المتكررة داخل الأسرة المالكة أتاحت للقبائل العربية في المنطقة ممارسة ضرب من الحرية فيما يتعلق بشؤونها الخاصة "

لا سيما بعد أن كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الملوك ورجع الرسل بنتائج هامة من الروم ومصر والحبشة وفارس مع تعاقب قتل كسرى وإسلام باذان والأبناء باليمن، فإن لذلك أثر هام على أفكار العرب تماما، وعلى أفكار عمال الفرس منهم خصوصا. كتب إليهما يدعوهما إلى الإسلام ويرغبهما فيه ويهددهما بأنهما إن أبيا زال ملكهما وحلت عساكر الإسلام بين دورهم، وتظهر النبوة على ملكه.(٢)

---

(١) انظر: مكاتيب الرسول ج٢ص٣٦٦

(٢) انظر: مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٧-٣٦٨

وأخيرا، يبدو واضحا أن الرسالة تلتزم العناصر البنائية التي كانت تشيع في المراسلات النبوية، وأهمها الاستهلال بالصيغة الإسلامية للبسملة "بسم الله الرحمن الرحيم"، فقد كان هذا العنصر البنائي تقليدا راسخا في مكاتبات الرسول، عليه الصلاة والسلام. وتجري الرسالة بعد ذلك على شاكلة المراسلات النبويّة، فهي تثبت العنوان، وتشير صراحة إلى طرفي المراسلة "من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى"، ثم ترد تحية البداءة لغير المسلمين "سلام على من اتَّبع الهدى" ، فعبارة التخلص "أمَّا بعد" التي تُفضي إلى الحديث عن موضوع الرسالة.

ويمكننا عقب هذه النظرة الداخلية إلى النص أن نقف عند الأثر الذي تركه في نفسَي الملكين العُمانيين، وليس من شكٍّ في أن السجية العربية في حسن تفهم الخطاب الصادر عن أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء – صلى الله عليه وسلم – قد يسَّرت على الملكين الأزديين بعض أمرهما، فلم يسرفا في التأبي، وإن كانا قد أعطيا الحوار حقَّه من الأناة والتفكير، وإنَّ الأمر المؤكد أن فصاحة عمرو بن العاص، وطول باعه في الإقناع، وعمق ملكته في الحوار، قد قرَّبت طريق الإيمان إلى الملكين الأزديين.

وكان الفضل قبل ذلك وبعده إلى الصيغة المحمدية في بلاغة الكتاب، وفي مقدِّمتها الشعار المشترك في جميع كتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "أسلم تسلم"، فقد كانت هذه الجملة على إيجازها الشديد تمثِّل الهيبة المحمديَّة أمام قارئها، ثم تتسرَّب في عقله ولُبِّه، فتقنعه ثم تفزعه، ولكنَّ الشعار هنا يأخذ صيغة الخطاب إلى اثنين بدلاً من واحد، فكانت عبارته: "أسلِما تسلما"، ولقد استجابا ودخلا في الدعوة، فأسلما وسلما.(١)

---

(١) انظر: محمد الدروبي، رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان دراسة تحليلية ص٣ نقلا عن القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص ٣٦٦.

الفصل الثالث

ضوابط ومنطلقات الدعوة من خلال رسائل الرسول

-صلى الله عليه وسلم- إلى الملوك والأمراء

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الوصف العام لرسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء

المبحث الثاني: التوجيه الإلهي للأساليب الحكيمة في الدعوة

الفصل الثالث:

ضوابط ومنطلقات الدعوة من خلال رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى الملوك والأمراء.

المبحث الأول:

الوصف العام لرسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء

بعد النظر والتمعن في رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء وتحليلها

يلاحظ الباحث أن الوصف العام لتلك الكتب يكاد يكون واحدًا، ويمكننا أن نستخرج منها الأمور التالية:

أولا: نلاحظ أن جميع كتب الرسول – صلى الله عليه وسلم – التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء يفتتحها – صلى الله عليه وسلم – بالبسملة، والبسملة آية من كتاب الله تبارك وتعالى، وفي تصدير الكتاب بها أمور مهمة، كاستحباب بدء الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم، اقتداء برسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم–، فقد واظب عليها في كتبه – صلى الله عليه وسلم–[١]، بعدما أمره الله تعالى في قوله: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**)[٢] بقراءة اسمه مبتدأ به.

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكتب كما تكتب قريش (باسمك اللهم)، حتى نزلت عليه:" **بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا** "[٣]. فكتب بسم الله ثم نزلت:" **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ** "[٤] فكتب (بسم الله) الرحمن ثم أنزلت الآية التي في طس: " **إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** "[٥] فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)[٦] ويستنتج من ذلك أن افتتاح الكتب بالبسملة كسائر الأمور العظام والصغار مندوب إليه ومطلوب.

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – (٤ / ١٦)

(٢) العلق : ١ (٣) هود: ٤١

(٤) الاسراء: ١١٠. (٥) النمل: ٢٠

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد – (١ / ٢٦٤) ذكر بعثة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الرسل بكتبه إلى الملوك.

ثانيا: طرح الأحمدي – رحمه الله تعالى – قضية للبحث مفادها: أنه – صلى الله عليه وآله – كيف استن بقوله تعالى (بسم الله مجراها) فكتب بسم الله على ما يزعمون؟. وكيف استن بقوله تعالى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) فكتب بسم الله الرحمن على ما يزعمون؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصلي منذ بعث بالرسالة ويقرأ فيها الفاتحة وفيها بسم الله الرحمن الرحيم. وأنه يقول (صلى الله عليه وآله): " كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج " أو " لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب "(١) كما أن "بسم الله الرحمن الرحيم "جزء من الفاتحة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقرأها في الفاتحة بل كان يجهر بها(٢).

ونراه بعد ذلك أجمل الحل لتلك القضية بقوله: "والذي يتضح للمتدبر المنصف هو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان مستنا بسنة الله تعالى في افتتاح جميع أموره وكتبه ومراسلاته بالبسملة، وأما ما نقل عنه (صلى الله عليه وآله) من الكتب وليس فيها البسملة فمن آفات الرواة وتلخيص الناقلين وعدم اهتمامهم ببعض الأمور"(٣).

وتذهب الباحثة في حل ذلك الإشكال إلى أنه – صلى الله عليه وآله – كان يفتتح أموره كلها بالبسملة، إلا في كتبه فقد جرت العادة على افتتاح الكتب بـ (باسمك اللهم)، وكذلك افتتحها الرسول – صلى الله عليه وآله –.

والذي يدل على ما ذهبت إليه الباحثة: أنه عند كتابة صلح الحديبية جاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا. فدعا النبي – صلى الله عليه وسلم – الكاتب فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – (بسم الله الرحمن الرحيم). قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – (اكتب باسمك اللهم). ثم قال (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله). الحديث .... (٤)

---

(١) متفق عليه . صحيح البخاري حديث رقم ٤٨ – باب وسمى النبي صلى الله عليه و سلم الصلاة عملا (٦ / ٢٧٤٠)،صحيح مسلم حديث رقم ٣٩٤ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها(١ / ٢٩٥)

(٢) انظر: مكاتيب الرسول ج١ص[٦٠-٦٣]

(٣) انظر: مكاتيب الرسول ج١ص٦٥

(٤) صحيح البخاري حديث رقم ٢٥٨١ – باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط(٢ / ٩٧٤)

ثالثا: كان يشرع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتبه بعد البسملة تقديمه (صلى الله عليه وآله وسلم) اسمه الشريف في أول كتابه إن هذا طريق مألوف يقتضيه أدب الكتابة، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكتب في أول كتبه: "من محمد رسول الله إلى فلان" أو "من محمد رسول الله لفلان" أو "هذا كتاب من محمد النبي لفلان" أو "هذا ما كتبه النبي محمد لفلان" وقد كان يكتب: "سلم أنت" أو "سلام عليك" أو "سلام على من آمن بالله" أو "هذا ما أعطى محمد رسول الله لفلان".

وقد كان يكتب: "أحمد الله إليك" أو "أحمد إليك الله" أي: أهدي إليك حمد الله، وكان ذلك تحية يكتبونه في افتتاح كتبهم. وكان (صلى الله عليه وآله) إذا كتب بدأ باسمه الشريف تعظيما للنبوة وترفيعا لمقام الرسالة، ووضعا له في موضعه، وصونا له عن الذلة، إذ كما يجب على غيره أن يعظم ساحتها المقدسة السامية يلزم على نفسه الكريمة أيضا أن يحفظها ويصونها، وأن لا يضعها ولا يذلها، ألا ترى أنه يجب عليه (صلى الله عليه وآله) أن يصلي على نفسه في الصلاة، وأن يشهد على نفسه بالنبوة

فيقول: أشهد أن محمدا عبده ورسوله واللهم صل على محمد وآل محمد، وليس ترفيعا وإكبارا وإعظاما في الحقيقة بل هو وضع للشيء في موضعه، فيكون تركه خلاف العدل، وليس هذا كما يصنعه الجبابرة، ويفعله الفراعنة والقياصرة تجبرا وتكبرا [١].

رابعا: وترد في تلك الرسائل عبارة: "أما بعد". عن هشام قال: "قرأت في رسائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كلما انقضى أمر قال: أما بعد".[٢]

وكان يصرح في الغالب باسم المكتوب إليه أو المكتوب له في أول المكاتبات، وربما اكتفى بشهرته كالقصير، فإن كان المكتوب إليه ملكا كتب بعد ذلك اسمه عظيم القوم الفلانيين وربما كتب ملك القوم الفلانيين، وربما كتب صاحب مملكة كذا.

---

(١) انظر: مكاتيب الرسول ج١ ص ٦٧-٦٨

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت ج٥ ص٢٥٨. حديث رقم ٢٥٨٥٢ باب في الرجل يكتب أما بعد. [٧٥]

وكان يعبر عن نفسه (صلى الله عليه وآله) في أثناء كتبه بلفظ الإفراد مثل إني ولي، وجاءني، ووفد علي، وما أشبه ذلك، وربما أتى بلفظ الجمع مثل بلغنا، وجاءنا ونحو ذلك. كما أنه كان يخاطب المكتوب إليه عند الأفراد بكاف الخطاب أو تاء الخطاب مثل: لك وعليك وأنت وجعلت، وعند التثنية بلفظها مثل: إنهما ولكما وعليكما، وعند الجمع بلفظ مثل: أنتم ولكم وعليكم وما أشبه ذلك[١].

هذا... وكان غيره (صلى الله عليه وآله) يبدأ باسمه المبارك إجلالا وإعظاما للرسالة وأداء لحق النبوة السامية وإليك نماذج: كتب إليه المقوقس: "لمحمد بن عبد الله من المقوقس".

وكتب إليه قيصر: "إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى". وكتب إليه النجاشي: "إلى محمد رسول الله من النجاشي"[٢] نقل متواترا من أن كسرى لما رأى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدأ بنفسه وقدّم اسمه غضب ومزق الكتاب، وأن أخا قيصر أو ابن عمه لما قرأ الكتاب وسمع أن النبي (صلى الله عليه وآله) قدم اسمه استشاط غضبا وامتلأ غيظا وحنقا، وأراد أن يخرق الكتاب فمنعه قيصر وقال: إنك أحمق صغير أو مجنون كبير، أتريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه؟! ولعمري إن كان رسول الله لنفسه أحق أن يبدأ بها مني[٣].

خامسا: وتظهر جليا في تلك الكتب بلاغته (صلى الله عليه وآله) و تجنبه (صلى الله عليه وآله) عن الإسهاب الممل والإيجاز المخل، فقد كان اللسان العربي في الجاهلية، وفي صدر الإسلام صحيحا محروسا، لا يتداخله الخلل، ولا يتطرق إليه الزلل، وكان العربي وقتئذ، عربي اللسان، عربي الأسلوب، في تراكيب ألفاظه، وتنسيق جمله، عربيا قحا في كلامه، ومنطقه، وخطبه، وأشعاره، وكتبه، إذ لم يستأنسوا بالأعاجم من الروم والفرس، ولم يختلطوا بغيرهم حتى يتغير أسلوبهم، هذا كله في خطبهم.

---

(١) انظر: مكاتيب الرسول ج١ ص ٦٨

(٢) انظر :مكاتيب الرسول ج١ ص [٦٩]

(٣) انظر :مكاتيب الرسول ج١ ص [٦٩]

وأما كتبهم فإنها كانت على هذا النمط أيضا، وكان همهم في كتبهم، إفهام المقابل ما يبغون من دون أي تكلف، أو تسجيع، أو تطويل، وأضف إلى ذلك السذاجة العربية وقتئذ، التي لم تكن ترى للبدء والختم في الكتاب شأنا خاصا. إذا عرفت ذلك، فارجع إلى كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقسها، وتدبرها تدبر رعاية ودراية، تجد فيها البلاغة من وجوه كثيرة:

١- الاقتصار على القدر الضروري من أصول المطالب، من دون نظر إلى فروعها، وتجزئة الأمور، والأعمال الصغار.

٢- مراعاة الإيجاز إلا إذا اقتضى الحال الإسهاب ، ألا ترى إلى إيجازه (صلى الله عليه وآله) مع جزالة اللفظ، وحلاوته، وطلاوته من دون إخلال بالمعنى في كتابه ،والاكتفاء في التهديد والتطميع، بقوله: أسلم تسلم أي: إن لم تسلم فلا سلامة لك، وقوله: واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر.

٣- استعمال الألفاظ الفحلة، والعبارات الجزلة، والأساليب البليغة، إن كان المكتوب إليه عربيا فصيحا، واستعمال الألفاظ الموجزة السهلة، إذا كان المكتوب إليه غير عربي، ليسهل لمن له أدنى إلمام باللغة العربية الوصول إلى معانيها.

٤- قلة التفنن في بدء الكلام، وختمه، يبدأ الكتاب بالبسملة، ويمضي في غرضه، ويختمه بالسلام، أو السلام على من اتبع الهدى.

٥- التعبير عن نفسه بضمير الأفراد، مثل أنا، ولي، وجاءني، ووفد علي ومخاطبة المكتوب إليه

بكاف الخطاب، وتائه، والتعبير عن التثنية والجمع بلفظهما، كأنتما، وأنتم، وهما، وهم، فقد اكتفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالإيجاز، لإفهام مقاصده من دون إسهاب ومن دون إخلال في بساطة من التعبير وجزالة في العبارة.(١) قال الرازي في تفسير الآية: " إنه من سليمان: " أن الأنبياء (عليهم السلام) لا يطيلون بل يقتصرون على المطلوب " أو " وكذلك كانت تكتب الأنبياء لا تطنب إنما تكتب جملا ".(٢)

---

(١) انظر: مكاتيب الرسول ج١ ص٧٧

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م،الطبعة:الأولى(١٦٧/٢٤)

سادسا: أما بالنسبة للغرائب الموجودة في كتبه (صلى الله عليه وآله)، فقد كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم الخاصة. إلا أنه في كتابته إلى الأعاجم فقد كانت بالعربية، فالعرب حين ظهر الإسلام وصدع النبي (صلى الله عليه وآله) بالرسالة كان لسانهم في أسنى مدارج الفصاحة، وأعلى طبقات البلاغة، وكانوا يتنافسون في إنشاد الأشعار وإلقاء الخطب، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مشرع الفصاحة، ومعدن البلاغة، رئيس الفصحاء، وإمام البلغاء، وكان أفصحهم لسانا، وأعذبهم منطقا، وأسدهم لفظا، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمعرفة الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب، بتأييد إلهي، وعناية ربانية، ورعاية روحانية.[١]

وإن سمع لغة غيره فهمها كالعربية، وما ذلك منه إلا بقوة إلهية، وموهبة ربانية، لأنه بعث إلى الكافة، وإلى الناس سودا وحمرا، فعلمه الله جميع اللغات، قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)**[٢] فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون، فكان ذلك من معجزاته، وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم، وبعض الفرس بكلامهم.[٣] وقال له (صلى الله عليه وآله) بعض أصحابه يوما: يا رسول الله ما أفصحك ما رأينا الذي هو أعرب منك؟ قال: حق لي و إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين.[٤]

---

(١) انظر: مكاتيب الرسول ج١ ص٧٩

(٢) سورة إبراهيم: ٤

(٣) انظر: مكاتيب الرسول ج١ ص٨٣

(٤) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان،دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول (٢ / ١٥٨)، حديث رقم ١٤٣١، وانظر:
ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى : ٨٠٤هـ)
البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال،دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م (٨ / ٢٨٣)

ولكنه (صلى الله عليه وآله) كتب إلى ملوك العجم "كقيصر وكسـرى والنجاشـي" بلغـة العرب مع أن الجدير أن يكتب إلى كل قوم بلسانهم، إظهارا للمعجزة واستحداثا للألفة، فما الوجه في ذلك؟ وأي فائدة في الكتابة بالعربية؟ وأي وازع في الترقيم بالعجمية؟ الذي يقضي به التدبر وينتهي إليه الفكر أن الفائدة في ذلك هو حفظ شؤون الملة الإسلامية وصون لجانب الاسـتقلال والعظمة، ألا ترى أن الأمم الراقية المتمدنة يسعون في انتشار لسانهم في العالم حتـى تصـير لغتهم لغة عالمية، إعمالا للسيادة وتثبيتا للعظمة، فكأنه (صلى الله عليه وآلـه) يلاحـظ جانـب الإسلام وأنه يعلو ولا يعلى عليه، وأن لغة القرآن لابد وأن تنتشر، وتعم العالم، لأن القرآن كتاب للعالم، فعظمة القرآن وعموم دعوته وعظمة النبي الأقدس ورسالته العالمية تقضـي أن يكتـب إليهم بلغة القرآن.

فعلى ملوك العالم والعالم البشري أن يتعلموا لسانه المقدس، ولغته السامية لغـة القـرآن المجيد، تثبيتا لهذا المرمى العظيم والغرض العالي.(١)

---

(١) انظر :مكاتيب الرسول ج١ ص٨٤

حكمة الدعوة في رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء

في رسائل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للملوك فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة، روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، (والخلفيات) التي يمتازون بها، فلما كان هرقل والمقوقس يدينان بألوهية المسيح كليا أو جزئيا، وكونه ابن الله، جاءت في الكتابين اللذين وجها إليهما كلمة (عبد الله) مع اسم النبي – صلى الله عليه وسلم – صاحب هاتين الرسالتين، فيبتدئ الكتابان بعد التسمية بقوله: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم» وبقوله: «من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط» بخلاف ما جاء في كتابه – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى أبرويز، فاكتفى بقوله: «من رسول الله إلى عظيم الفرس».

وجاءت كذلك آية **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)**[١] في هذين الكتابين، وما جاءت في كتابه إلى كسرى أبرويز لأن الآية تخاطب أهل الكتاب الذين دانوا بألوهية المسيح، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وقد كان هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية والمقوقس حاكم مصر قائدين سياسيين، وزعيمين دينيين كبيرين للعالم المسيحي، مع اختلاف يسير في الاعتقاد في المسيح هل له طبيعة أم طبيعتان[٢].

ولما كان كسرى أبرويز وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدينون بوجود إلهين، أحدهما يمثل الخير وهو يزدان، والثاني يمثل الشر وهو أهرمن، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجه إلى الإمبراطور الإيراني عبارة: «وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيًّا»[٣].

---

(١) [آل عمران: ٦٤]

(٢) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – (ج ٤ / ص ١٤) نقلا عن ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي، ص٣٨، ٣٩.

(٣) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – (ج ٤ / ص ١٥) نقلا عن السيرة النبوية للندوي، ص٢٩٠.

وقد كان تلقي الملوك لهذه الرسائل يختلف، فأما هرقل والنجاشي والمقــوقس، فتــأدبوا، وتلطفوا في جوابهم وأكرم (النجاشي والمقوقس رسل رسول الله – صــلى الله عليــه وســلم–، وأرسل المقوقس هدايا منها جاريتان كانت إحداهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، وأما كسرى إبرويز فلما قرئ عليه الكتاب مزقه وقال: (يكتب إليَّ هذا وهو عبدي؟) فبلغ ذلك رســول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: «مزق الله ملكه»[١].

وأمر كسرى باذان وهو حاكمه على اليمن بإحضاره، فأرسل بابويه يقول لــه: إن ملــك الملوك قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فأخبره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله[٢].

وقد تحقق ما أنبأ به رسول الله بكل دقة، فقد استولى على عرشه ابنه (قباذ) الملقب بـــ (شيرويه) وقتل كسرى ذليلا مهانًا بإيعاز منه سنة ٦٢٨م، وقد تمزق ملكه بعد وفاته، وأصــبح لعبة في أيدي أبناء الأسرة الحاكمة، فلم يعش (شيرويه) إلا ستة أشهر، وتوالى على عرشه مدة أربع سنوات عشرة ملوك، واضطرب حبل الدولة إلى أن اجتمع الناس على (يزدجرد) وهو آخر ملوك بني ساسان، وهو الذي واجه الزحف الإسلامي الذي أدى إلى انقراض الدولة الساســانية التي دامت وازدهرت أكثر من أربعة قرون انقراضًا كليًّا، وكان ذلك في ســنة ٦٣٧م، وهكــذا تحققت هذه النبوءة في ظرف ثماني سنين[٣].

---

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – (ج ٤ / ص ١٥) نقلا عن تاريخ الطبري (٩٠/٣).

(٢) انظر: المرجع السابق

(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – (ج ٤ / ص ١٦)

المبحث الثاني:

التوجيه الإلهي للأساليب الحكيمة في الدعوة

إن الله تعالى لم يخلق الإنس والجن إلا ليعبدوه، كما قال سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [(١)] ولا يمكن أن تعرف أحكام العبادة وتفصيلها لذا أرسل الله الرسل – عليهم الصلاة والسلام– ، وأنزل عليهم الكتب فكانوا دعاة إلى الله سبحانه وتعالى. ومن هنا تتبين أهمية الدعوة إلى الله .

ولم يقتصر واجب الدعوة إلى الله على الرسل وحدهم بل جاء أتباعهم من بعدهم فشاركوهم في الدعوة إلى الله في كل زمانٍ ومكان وجاء المسلمون من بعدهم فحملوا أمانة تبليغ الإسلام على كاهلهم فوضحوا معالمه وبينوا أحكامه وأخذوا بأيدي المتعثرين إلى الطريق القويم.

والدعوة إلى الله واجب عام، وفريضة مستمرة والقيام بأعبائها في تكافل وتعاون، يجعل من العمل المشترك استمرارا لجهاد رسل الله وإعلاء كلمة الله، ونشر دينه وإقامة حجته على الناس عامة وثمرتها الهداية إلى الخير والتحبيب في عمل الخير والتنفير من الشر والإخراج من الظلمات إلى النور بدعوة الناس إلى دين الله وتحكيم منهجه وإفراده بالعبادة وهي من أشرف الأعمال ، قال تعالى (**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)[(٢)]

ولا بد للداعية أن يدعو إلى الله على بصيرة، ويقين وبرهان عقلي وشرعي؛ لأن الداعي قد نصب نفسه موجها ومرشدا فإذا كان جاهلا فإنه يكون بذلك ضالة مضلة والعياذ بالله ويكون جهله هذا جهلا "مركبا" والجهل المركب اشد من الجهل البسيط كما قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله–.

فالجهل البسيط يمسك صاحبه ولا يتكلم ويمكن رفعه بالتعلم،ولكن المشكلة كل المشكلة في حال الجاهل المركب. إن هذ الجاهل جهلا" مركبا"لن يسكت بل سيتكلم ولو عن جهل وحينئذ سيكون مدمرا أكثر مما هو منور.[(٣)]

---

(١) الذاريات: ٥٦ (٢) فصلت: ٣٣

(٣) محمد بن صالح بن عثيمين. مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن عثيمين ج١٤ص٤٥

قـال تعـالى: (قُـلْ هَـذِهِ سَـبِيلِي أَدْعُـو إِلَـى اللَّـهِ عَلَـى بَصِـيرَةٍ أَنَـا وَمَـنِ اتَّبَعَنِـي)[١] وهذه طريقته – صلى الله عليه وسلم – ومسلكه وسنته، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُـلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [٢] وقـال تعـالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٣].

وكان منهجه – عليه السلام – في دعوته إلى الله أن سلك مسلك الحجة الواضحة والحكمة والإقناع ولم يستجب لإيذاء معارضيه وقابل السيئة بالحسنة، فمنهج رسول الله في الدعوة هـو منهج قرآني حكيم يكشف عن نوازع النفوس البشرية وما تنطوي عليه من خير أو شر، و قـد أشار القرآن الكريم الى ذلك قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾[٤]ومن خلال الآية السابقة يتبين لنا أن المنهج النبوي في الدعوة إلـى الله يـدور حول هذه المحاور الكامنة في كتاب الله – عزوجل – وهي:

أ) الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة .

ب) الدعوة إلى الله بالحكمة.

ج) الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة .

د) الجدال بالتي هي أحسن .

هـ) القوة في الدعوة.

وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[٥] توجـه الخطاب في صدر هذه الآية إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يدعو إلى سبيل الله، وأسلوبه في دعوته يجب أن يتحلى بالحكمة فلا شطط ولا صخب ولا تمويه ولا تدليس للحقيقـة وعليـه أن يقدم النصيحة لمن تنكب سبيل الله ولكن في رفق حتى تستأنس به النفوس وتقبل عليه، ثم أمره بألا يكتفي بالدعوة المجردة عن الاستدلال بالبراهين ودفع حجج المعارضين

---

(١) يوسف: ١٠٨

(٢) التوبة: ١٢٢

(٣) آل عمران: ١٠٤

(٤) النحل: ١٢٥

(٥) النحل: ١٢٥

فقال: (وجادلهم) أي المخاطبين الذين يعترضون طريق الدعوة بما يلقون من شبهات، وفي بسطه لأدلة دعوته وأحقيتها في الاتباع يجب أن يكون لينا كما أمر بذلك في إلقائه لموعظته وإسدائه النصح لمن يستمعوا إليه فالحكمة والنصيحة والجدال الحسن دعائم ثلاث كشفت عنها هذه الآية

وأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – ببناء دعوته على أساسها وحذف مفعول (ادع) لقصد التعميم أو لأن الفعل نزل منزلة اللازم ،لأن المقصود الدوام على الدعوة لا بيان المدعوين لأنه أمر معلوم من حال الدعوة[١]؛ لأن الموعظة لما كان المقصود منها ردع نفس الموعوظ عن أعماله المشينة كان مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ أرشد الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يتوخى في الموعظة أن تكون حسنة، أما الحكمة فهي تعليم لمتطلبي الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه فلا تكون إلا في حالة حسنة فلا حاجة إلى وصفها بالحسن[٢].

---

(١) حسن مسعود الطوير، الدعوة الى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الأولى ،دار قتيبة للنشر، ص٦٨

(٢) المرجع السابق. ص٦٨-٦٩

المطلب الأول: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى

سنأتي الآن إلى تفصيل كل مرتبة من مراتب الدعوة إلى الله تعالى علـــى حـــدة لتتضـــح الصورة الدعوية وتكتمل من جميع جوانبها:

المرتبه الأولى: وهي الدعوة بالحكمة

مفهوم الحكمة لغة واصطلاحا

و الحكمة لغة: جاءت الحكمة في اللغة على معانٍ عدّة، منها:

الحكمة: وزان قصبة للدالة، سميت بذلك لأنها تذللها لراكبها، تمنعها الجماح ونحوه، ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع من أخلاق الأرذال(١).

وتستعمل بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، وأحكم الأمر: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد(٢).

والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقـــال لمـــن يحســـن دقـــائق الصناعات ويتقنها: حكيم (٣) .

والحكيم: المتقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيما: قد أحكمته التجارب (٤)

والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل (٥).

---

(١) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير،دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ج١ص٧٩، مادة حكم وتاج العروس ٨ / ٢٥٣ .

(٢) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المتوفى ٨١٧هـ ، باب الميم، فصل الحاء، ص١٤١٥، وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء١٢ / ١٤٣، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص٦٢ .

(٣) وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء ،١٢ / ١٤٠، والمعجم الوسيط، مادة: حكم: ١٩٠/١ .

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظو ، باب الميم، فصل الحاء، ١٢ / ١٤٣، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص٦٢ .

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الحاء، مادة: حكم ص ١٢٧ .

والحُكْمُ: هو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة، لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه، وأحكمته إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكمت فلانًا تحكيمًا: منعته عما يريد [١] .

ويتضح ويتبين مما تقدم أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع، فقد استعملت في عدّة معان تتضمن معنى المنع. فالعدل يمنع الجور، والعلم يمنع الجهل والحلم يمنع الغضب، والإتقان يمنع الفساد. والحكمة تمنع من أخلاق الأراذل. وفي هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : "الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء معناه لا جميع معناه " [٢].

(١) أبي الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة ٢ / ٩١ ، باب الحاء والكاف ، مادة : حكم .

(٢) ابن تيمية. مجموعة الرسائل الكبرى ، ٢ / ٧ .

تعريف الحكمة في الاصطلاح الشرعي

ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية[١]، واختلفوا على أقوال كثيرة، فقيل: الحكمة النبوة، وقيل: القرآن والفقه به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه.

(١) جاء لفظ: الحكمة في كتاب الله – تعالى – في أكثر من تسعة عشر موضعًا، انظر: سورة البقرة، آيات: ١٢٩، ١٥١ ، ٢٣١ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ ، وآل عمران: ٤٨ ، ٨١ ، ١٦٤، والنساء: ٥٤ ،١١٣، والمائدة: ١١٠، والنحل: ١٢٥، والإسراء: ٣٩ ، ولقمان: ١٢، والأحزاب: ٣٤ ،وص: ٢٠ ، والزخرف: ٦٣ ، والقمر: ٥، والجمعة: ٢ . وجاء لفظ الحكمة في السنة النبوية في عدة مواضع، انظر معظمها: في البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الإغتباط في العلم والحكمة، ١ / ١٦٥ ، برقم ٧٣، وكتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس – رضي الله عنهما – ، ٧ برقم ٣٧٥٦ ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، برقم ٧٢٧٠ ، وكتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، ٨ / ٩٨ ، ٩٩ برقم ٤٣٨٨، ٤٣٩٠، وكتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجَز والحداءِ وما يكره منه ،١٠ / ٥٧٣ ، برقم ٦١٤٥ ، وباب الحياء ، ١٠ / ٥٢١ برقم ٦١١٧ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه ، ١ / ٧١ – ٧٣ برقم ٥١ ، وباب عدد شعب الإيمان ، ١ / ٦٤، برقم ٣٧ ، وكتاب صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه وغيره فعمل بها وعلمها ، ١ / ٥٥٩ برقم ٨١٦ والترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة / ٥١ ، برقم ٢٦٨٧ ، وكتاب البر والصلة ، باب ما جاء في التجارب ، ٤ / ٣٧٩ برقم٢٠٣٣ ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب الحكمة ، ٢ / ١٣٩٥ برقم ٤١٦٩ ، والدارمي ، في المقدمة ، باب من هاب الفتيا مخافة السقط ، ١ / ٧٥ برقم ٢٩٣ ، وباب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ،١ / ٩٠ برقم٣٩٥ ، وباب فضل العلم والعالم ،١ / ٨٤ ، برقم ٣٥٧ ، وكتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن ، ٢ / ٣١٢ برقم ٣٣٣٠ .

وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة.[١] وقيل أنها: وضع الأشياء في موضعها، وإعطاء كل أمر ما يناسبه بعيدا عن الحماقة في تصريف الأمور[٢].

---

(١) انظر: تفسير مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية في المصادر التالية : جامع البيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ١ / ٤٣٦ ، ٣ / ٦٠ ، ٦١ وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري المطبوع بهامش تفسير الطبري ١ / ٤١٣ ، وتفسير البغوي١ / ٢٥٦ ،١ / ١١٦ ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١ / ٣٢٤ ، ١ / ١٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ / ١٣١ ، ٣ / ٦٠، ٦١ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ١٨٤ ، ١ / ٣٢٣ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ١ / ٣٨٧ ، ٣ / ٤١ ، وفتح القدير للشوكاني ١ / ٢٨٩ ، ١ / ١٤٤ ، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١ / ٤٧٢ ، ٢ / ٢٩ ، ٣ / ٧٥ ، ٣ / ٢٦٣ ، وتفسير المراغي ١ / ٢١٤ ، ٢ / ١٩ ٣ / ٤١ ، وتفسير السعدي ١ / ١٧٣ ، ١ / ٢٩٠ ، ٦ / ١٥٤ ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ١ / ٣١٢ ، ١ / ١٣٩ ، ٣٩٩ ، ٢ / ٩٩٧ ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦ / ٦٦ ، ٦٧ ، ٩ ، ٢٣ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩ / ١٧٠ ، ومدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، والتفسير القيم لابن القيم ص ٢٢٧ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١ / ٦٧ ، ٧٠ ، ٦ / ٥٣١ ، ٧ / ١٠٠، ١٠ / ٥٢٢ ، ٥٢٩ ، ٥٤٠ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ، ٢ / ٧ ، ٣٣ ، ٦ / ٩٨ ، ١٥ / ١٢ ، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦ / ١٨٢ ، ٧ / ٥٨، ١٠ / ٣٢٧ ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ،١٣ / ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) الدكتور أحمد أحمد علوش ،الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها ،الطبعة الأولى ،ص١٠

قال الإمام النووي- رحمه الله – وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها: أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك. قال أبو بكر بن دريد: « كل كلمة وعظتك وزجرتك أودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة » [١]

وبالنظر والتأمل في المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للحكمة نجد أن هناك علاقة وثيقة بين المعنيين، فكلاهما يدل على الإصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه.

كمايمكننا في ضوء ما تقدم أن نعرف الدعوة بالحكمة: بأنها العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق شرط اجتناب الحماقات وتذليل العقبات، بوضع الأشياء في موضعها، وإعطاء كل أمر ما يناسبه[٢]. فتوضع الدعوة بالقول، والتعليم برفق في موضعه، وتوضع الدعوة بالموعظة الحسنة في موضعها، وتوضع المجادلة سواء كانت بالحسنى أو وجهت للمعاند المكابر أيضا بحكمة في موضعها.

و الدعوة بالحكمة تقتضي استعمال الطريقة المناسبة لفتح شهية المدعو إلى معرفة الإسلام على حقيقته، مما يقتضي الدخول إلى آمال الشخص ورغائبه ولمسها بخفة إن كانت تتنافى مع الإسلام، والتأكيد عليها والدخول في تفاصيلها إن كانت تتفق مع الإسلام[٣].

والحكمة في الدعوة المسبوقة دائما بتدبر فكري يدرك فيه الداعية السلوك الأكمل، كما نبه الله تعالى إلى ذلك بقوله: " **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** "[٤].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم،٢ / ٣٣ .

(٢) الدكتور زياد محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، الطبعة الأولى، دار عمار، ص١٧نقلا عن أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ص٦٧

(٣) انظر: د. زياد العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص١٧

(٤) البقرة: ٢٦٩

والحكمة تدل على علم دقيق محكم، وتعليمها كمال علمي، والقضاء بها كمـــال عملـــي. والدعوة بالحكمة تعتمد على وسائل الإقناع الفكري المنطقي الحكيم، بالحجج والبراهين المثبتـــة للحقائق، وتكون الحكمة باتخاذ الأساليب الملائمة للحالة الفكرية النفسية التي عليها المســـتهدفون بالدعوة(١).

والدعوة بالحكمة هي الأسلوب الناجح في كسب المناوئين والمحرومين من نور الهدايـــة، وهي الأسلوب الأمثل والأفضل الواجب اتباعه في أي أمر من أمور الدعوة، وما يتعلـــق بهـــا، بعيدا عن ردود الفعل الخالية من التعقل والانفعالات الناتجة عنا، والخطوات غيـــر المدروســـة المجهولة النتائج(٢).

لأنها توجيه "إلهي للرسول – صلى الله عليه وسلم – مع كونه نبيا مرسلا ومؤيدا من قبله – أمره الله تعالى به، وألزمه اتباعه. فسار على ضوء هذا التوجيه في مراحل دعوته كلها، في مكة وفي المدينة، في سلمه وحربه، في حله وترحاله، وهي تشمل كل أسلوب أو وســـيلة مـــن شأنها أن تحقق ما ذكرناه، وتكون نتيجتها ذات مردود إيجابي أكبر بكثير ممـــا لـــو اســـتخدمنا غيرها(٣)".

---

(١) انظر: د. زياد محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، دار عمار. ط١.ص١٨ نقلا عن أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ص٣٥٢

(٢) انظر: د. زياد العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص١٨

(٣) المرجع السابق ص١٩

"ويظن كثير من الناس أن الحكمة تقتصر على الكلام اللين والرفق والعفو والحلم فحسب لكن هذا نقص وقصور في فهم مفهوم الحكمة فإنها قد تكون:

- باستخدام الرفق واللين والعفو مع بيان الحق علماً وعملاً واعتقاداً بالأدلة وهذه المرتبة تستخدم لأذكياء البشر الذين يقبلون الحق ولا يعاندون .
- وتارة تكون باستخدام الموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل وتستخدم هذه المرتبة مع القابل للحق المعترف به لكن عنده غفلة وشهوات وأهواء تصده عن الاتباع.
- وتارة تكون باستخدام الجدال بالتي هي أحسن بحسن خلق ولطف ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة وتستخدم هذه لكل جاحد معاند.

وتارة تكون الحكمة باستخدام القوة بالكلام القوي وبالضرب والتأديب وإقامة الحدود لمن كان له قوة وسلطة مشروعة، وبالجهاد في سبيل الله بالسيف والسنان تحت لواء ولي أمر المسلمين مع مراعاة الضوابط والشروط التي دل عليها القرآن والسنة وتستخدم هذه مع كل معاند ظلم وطغى ولم يرجع إلى الحق بل رده ووقف في كل طريقه ليصد عنه."(١)

والحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور بقدرها ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطباعهم فتخرج أقوال الداعية إلى الله وأفعاله وتدبيراته وأفكاره تابعة من هذه الحكمة موافقة للصواب غير متقدمة على أوانها ولا متأخرة، لا زيادة عما ينبغي ولا نقص.

---

(١) انظر: "www.lahaonline.com" . لجنة الدعوة :منهج النبي في الدعوة الى الله ص٣

المطلب الثاني: الدعوة الى الله تعالى بالموعظة الحسنة

إن من حكمة القول في الدعوة إلى الله – تعالى- أن يخاطب الداعية الناس علـى قـدر عقولهم، وأحوالهم، وعقائدهم، وأوضاعهم، وليس من الحكمة أن يخاطب المسلم – في توجيهـه وإرشاده وحثه على الالتزام والتمسك بدينه – كما يخاطب المعانـد أوالملحـد، أو الـوثني، أو اليهودي، أو النصراني، أو غيرهم من الكفار.

ولا شك أن المسلمين ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول من المسلمين: وهم الذين ينقادون للحق ولا يعاندون، فهؤلاء يكفي في دعوتهم بالقول الحكيم أن يبين لهم الحق علما وعملا واعتقادا، وحينئذ ينقادون لذلك- بإذن الله تعالى-

أما القسم الثاني من المسلمين: وهم الذين عندهم غفلة وشهوات وأهـواء، وهـم عصـاة المسلمين، فهذا القسم تكون دعوتهم بالموعظة الحسنة[١].

المرتبة الثانية: أسلوب التربية والدعوة بالموعظة الحسنة

الموعظة لغة: الموعظة لغة من وعظه يعظه وعظا وعظة وموعظة. والوَعْظ: التخويف. والعِظَة الاسمُ منه؛ قال الخليل: هو التَّذكير بالخير وما يرقُّ له قلبُه[٢] ذكره من الثواب والعقاب. وجاء في لسان العرب: إن الوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب، يقال: السعيد من اتعظ بغيره[٣]

والوعظ شرعا: النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلـب ويبعـث على العمل[٤].

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى – (ج ٢ / ص ١١٢)

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة.تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر. الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.ج٦ص ١٢٦(باب الواو والعين وما يثلثهما)

(٣) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . : لسان العرب .دار صادر – بيروت .الطبعة الأولى(.باب الواو)ج٧ص٤٦٦

(٤) أبو حيان الأندلسى .تفسير البحر المحيط . دار الفكرج١ص٢٣٨

فالموعظة الحسنة تثير كوامن النفس وتزيل عنها الغفلة، وتحيي فيها الأحاسيس، وتنمي فيها الشعور بالتقصير وتنشئ فيها همة عالية تدفعها إلى الجد والعمل على تغيير السلوك نحو الأفضل، والتمسك بالصفات الجيدة والأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة، لا سيما إذا كانت (كلاما بليغا طويلا حسن الألفاظ حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب، والإحذار والإنذار، والثواب والعقاب، فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب)[١]

والموعظة الحسنة من الأساليب التربوية الناجحة ذات الدور الكبير في التربية والإعداد والتوجيه وتصويب السلوك، شريطة أن تكون (بالأسلوب المحبب والوجه المقبول، فيستعمل التبشير والوعد بالخير مع النفوس المقبلة، ويستعمل الإنذار والوعيد مع النفوس المعرضة المدبرة، مع ملاحظة ضرورة الصبر وصدق الحديث)[٢].

ويجب مراعاة مقومات شخصية كل مستهدف بالتربية كمكانته الاجتماعية، واستعداداته النفسية، لغرض صياغة الموعظة بما يتناسب وهذه المقومات.فيخاطب عوام الناس بخطاب يختلف عن خواصهم، والمؤمنين بخلاف ما يخاطب الفاسقين، كذلك يخاطب الرؤساء بخلاف المرؤوسين، فمخاطبة الرؤساء بالأمر اللين مطلوب شرعا وعقلا، ولذلك نجد الناس كالمفطورين عليها، وهكذا كان منهج النبي – صلى الله عليه وسلم – بمخاطبته للملوك والأمراء[٣].

والموعظة الحسنة طريقة في التبليغ وأسلوب في الدعوة يحببها إلى الناس ويقربهم منها الداعية ويشعر المخاطب فيها أن دور الداعي له دور الناصح الرفيق به، الباحث عما ينفعه ومن الأمثلة:

قوله تعالى لموسي وهارون: ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا...** ﴾[٤] وسلك الخليل مع قومه سبيل المناجاة الذاتية وكذا شعيب يسلك مع قومه الموعظة الحسنة فيقول لهم: ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.. ﴾[٥]

---

(١) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي. مفاتيح الغيب .دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م .الطبعة: الأولى ج١٠ص١٢٨

(٢) د.زياد العاني .أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص٣٨١ نقلا عن الإعلام في هذا الاسلام للدكتور عمارة نجيب ص١٨٣

(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٨٢

(٤) طه: ٤٤

(٥) هود:٨٦

المطلب الثالث: الدعوة الى الله تعالى بالجدال بالتي هي أحسن

المرتبة الثالثة: المجادلة بالتي هي أحسن:

وهي الطريقة التي يواجه بها الداعية رد الفعل الذي تثيره الدعوة لدى المخاطبين نتيجة اختلاف أفكارهم عما جاءتهم به من عقيدة وسلوك، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**[١] }، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...** ﴾[٢]

حكم مجادلة وحوار أهل الكتاب

ينقسم حكم الجدل معهم إلى قسمين:

الأول: الجدل الممدوح: وهو الجدل الذي يقصد به تأييد الحق أو إبطال الباطل أو أفضى إلى ذلك بطريق صحيح. ومن هذا الجدل ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض على الكفاية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (...والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهذا واجب على الكفاية منهم. وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم ...).[٣] وقال رحمه الله أيضا: (... فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء – عليهم السلام – وأمر بها في مثل قوله تعالى: { قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا } وقوله: { **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ** } وقوله: { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ** } وقوله: { **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** }[٤] وأمثال ذلك فقد يكون واجبا أو مستحبا وما كان كذلك لم يكن مذموما في الشرع).[٥]

---

(١) فصلت: ٣٣

(٢) العنكبوت:٤٦

(٣) تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن (١ / ٥١-٥٢)

(٤) [سورة النحل ١٦ / ١٢٥]

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ١٥٦)

وذكر ابن القيم – رحمه الله – في ضمن فقه قصة وفد نجران: (ومنها: جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بل استحباب ذلك بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة...)[١] وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في فوائد قصة أهل نجران: (وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته).[٢]

الثاني: الجدل المذموم:

وهو الجدل الذي يقصد به الباطل أو تأييده أو يفضي إليه أو كان القصد منه مجرد التعالي على الخصم والغلبة عليه فهذ ممنوع شرعا ويتأكد تحريمه إذا قلب الحق باطلا أو الباطل حقا. قال ابن تيمية – رحمه الله– : (والمذموم شرعا ما ذمه الله ورسوله كالجدل بالباطل والجدل بغير علم والجدل في الحق بعدما تبين ...).[٣]

ولهذا فإن الفرق جلي بين من يرد ويدافع على سبيل الدعوة من أجل نصرة الإسلام وعزته وبين من كان يقصد بالمجادلة مجرد التعالي على الخصم والغلبة عليه.

---

(١) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. زاد المعاد في هدي خير العباد. مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت. الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٠٧ – ١٩٨٦ تحقيق: شعيب الأرناؤوط –عبد القادر الأرناؤوط (٣ / ٥٥٧) .

(٢) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) فتح الباري. دار الفكر. كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (٨ / ٩٥)

(٣) درء التعارض (٧ / ١٥٦) .

وكان منهجه – عليه الصلاة والسلام – في محاجة الخصوم نابعا من هذه الصفات لينا لا يصادم الخصوم بل يتدرج معهم وقد يجاريهم في فرضية ما حتى تنقلب حجة عليهم بعد ان كانت عذرا لهم، فهو ليس خصما لجوجا مكابرا يريد أن يقهر من يواجهه في ميدان المحاجة ولو تظاهر عليه بالباطل وإنما حجته دائما تلمح بضياء الحق ومحمد – صلى الله عليه وسلم – يمثل ذلك أصدق تمثيل فهو إن جادل جادل بالحق لا لأجل المغالبة وإن صمت عن الكلام فإن صمته لا يكون عن تسليم لباطل يفرض عليه من الخصوم وإنما احتراس من الوقوع في الجدال الذي لا يكون غرضه إظهار الحق ولقد راودته قريش بالدنيا كلها فآثر الحق وحده ولذلك صرعهم بقوة الحجة كما صرعهم بقوة السيف، لأن لسانه ينطق بالصدق وسيفه يقاتل بالإيمان.(١)

فمنهج النبي – صلى الله عليه وسلم – في الدعوة لا يقتصر على حجة اللسان في إرشاده الناس إلى دعوته، بل يسلك مع المدعوين مسالك تربوية يأخذهم فيها باللين أحيانا وبالسخاء أحيانا أخرى، فيلامس قلوبهم مشاعر تتحرك بتلك اللمسات الإنسانية التي يبثها من قلبه الرحيم فتستجيب إلى دعوته طائفة ثم تستجيب عقولهم بعد ذلك، فهو لا يجادل العقل وحده بل يحرك الوجدان أيضا.

هذا هو منهج النبي – صلى الله عليه وسلم – في الدعوة إلى الله تعالى وبه انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وصدق فيه قول الله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ...**(٢)﴾

---

(١) انظر:حسن مسعود الطوير. الدعوة الى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة. دار قتيبة بيروت دمشق. ط١ص٧٣

(٢) آل عمران : ١٥٩

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة على هذه الصورة، فالفضل والمنة له أولا وآخرا، و { لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }(١)، { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }(٢).

بعد هذه الرحلة المباركة – إن شاء الله تعالى– التي طفت من خلالها بتحليل رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك لمعرفة المنهج القويم في الدعوة إلى الله – تعالى– ، تلك الدعوة والرسالة العالمية التي أعز الله بها الإسلام وأهله، وأذل بها الكفر والعصيان والنفاق وأعوانها، مع أصناف المدعوين على اختلاف عقائدهم وعقولهم وإدراكاتهم ومنازلهم.فهذا ما من الله به، ثم ما وسعه الجهد، وسمح به الوقت، وتوصل إليه الفهم المتواضع، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن فيه خطأ أو نقص فتلك سنة الله في بني الإنسان، فالكمال لله وحده، والنقص والقصور واختلاف وجهات النظر من صفات الجنس البشري، ولا أدعي الكمال، وحسبي أني قد حاولت التسديد والمقاربة، وبذلت الجهد ما استطعت بتوفيق الله – تعالى– ، وأسأل الله أن ينفعني بذلك، وينفع به جميع المسلمين؛ فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

أما أهم النتائج التي أعانني الله ويسر لي التوصل إليها في هذا البحث فمنها ما يلي:

١ – إن الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللين والترغيب والرفق والحلم والعفو والصفح، بل تشمل جميع الأمور التي عملت بإتقان وإحكام، وذلك بأن تنزل في منازلها اللائقة بها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، والموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند، والمستكبر في موضعها، والزجر والغلظة والقوة في مواضعها، وكل ذلك بإحكام وإتقان، ومراعاة لأحوال المدعوين، والواقع والأزمان والأماكن، في مختلف العصور والبلدان، مع إحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان.

---

(١) سورة القصص، الآية ٧٠ .

(٢) سورة سبأ، الآية ١ .

٢ – إن الداعية الحكيم هو الذي يدرس ويعرف أحوال المدعوين: الاعتقادية، والنفسية والاقتصادية،والاجتماعية، والعلمية، ويعرف مراكز الضلال ومواطن الانحراف، وعاداتهم ولغتهم ولهجاتهم، والإحاطة بمشكلاتهم، ومستواهم الجدلي، ونزعاتهم الخلقية، والشبه التي تعلق بأذهانهم، ثم ينزل الناس منازلهم ويدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم، ويعطي الدواء على حسب الداء، فينهج منهج النبي في ذلك.

٣ – إن النبي – صلى الله عليه وسلم – هو القدوة الحسنة للدعاة الحكماء، فقد كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله –عز وجل– ، وهذا من فضل الله عليه وعلى أتباعه، فقد أرسل جبريل ففرج صدره ثم غسله بماء زمزم، ثم أفرغ في صدره طستا من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا(١)، وأقبل الناس، ودخلوا في دين الله أفواجا بفضل الله ثم بحكمة هذا النبي الكريم، وما من خلق كريم ولا سلوك حكيم إلا كان له منه أوفر الحظ والنصيب.

٤ – سميت الشريعة شريعة تشبيها بشريعة الماء أيضا لوضوحها، ولأن من يردها روي وتطهر من درن جسده. وكذلك الشريعة الإلهية من يردها رويت روحه وتطهر قلبه من كل درن.

٥– يظهر بعد البحث والتحقيق أن هناك نجاشيان، النجاشي الأول، أسلم ومات مسلما وصلى عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو من هاجر اليه المسلمون ، و قد ترجم له وعد من الصحابة وهو من زوج الرسول عليه السلام بأم حبيبة.و النجاشي الثاني الذي بعث اليه النبي بالكتاب يدعوه الى الاسلام فخرق كتاب الرسول وتجبر وعاند وكفر.

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، ١ / ٤٥٨ ، ومسلم ١ / ١٤٨ ، وتقدم تخريجه .

٦ – عبارة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر"تدل دلالة واضحة وصريحة على عدم وصول جعفر ومن معه بعد، إنما بعث إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – بالرسالة قبل وصولهم إليه. ويستدل من ذلك أنه – عليه السلام – كان على علم بإسلام النجاشي لذلك اختاره من بين الملوك وأمنه على المسلمين.

٧– ان رسالته – صلى الله عليه وسلم– إلى النجاشي انفردت عن الرسائل الأخرى بذكر بعض أسماء الله الحسنى: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وشرح طبيعة المسيح عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ فهو "روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، حملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه."

ولكن معرفة الواقع التاريخي آنذاك تجعلنا نؤمن بأن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في اختصاصه رسالته للنجاشي بذكر المسيح، وكيفية ولادته ــ و إثبات حقيقة النبي عيسى – عليه السلام – وأنه نبي من عند الله، تولد بطريقة غير بيولوجية طبيعية (نفخ الله في مريم العذراء من روحه).

وإثبات حقيقة آدم – عليه السلام – بأن قال له كن فكان، مما يدل على أن آدم – عليه السلام – بدوره خلق بطريقة لا تخضع للقوانين البيولوجية. فكما خلق آدم خلق عيسى عليه السلام، فلم يؤله عيسى ولايؤله آدم عليه السلام؟

٨– بالنسبة لرسالته – صلى الله عليه وسلم – إلى كسرى عظيم الفرس فقد تبين جليا في معظم كتب الحديث والسيرة أن تلك الرسالة قد تمزقت من قبل كسرى عندما غضب؛ لأن الرسول – عليه السلام – بدأ باسمه قبل اسم كسرى، ولهذا السبب من المستحيل تصديق من يدعي بوجود تلك الرسالة.

ونرى بعضهم يوردها ويضع شقا في نصفها ليثبت صدق ادعائه بذلك .ومما يدعم كذب وتزوير تلك الرسالة أن كتابي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الصحاح لم تورد نص تلك الرسالة مما يدل على عدم وصولها إليهم. كما أن الكتب التي ورد فيها النص اختلفت فيه – أي في نص الرسالة – أيضا.

٩- إن الدعوة إلى الله تكون بأن يبدأ الداعية بالمهم، ثم الذي يليه، وأن يجعل للمدعو من الدروس ما يسهل عليه حفظها وفهمها، والتفكر التام فيها، وأن يعلم العوام ما يحتاجون إليه بألفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم تناسب مستواهم مع مراعاة التنويع في الأسلوب والتشويق.

١٠- إن مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر، فالقابل للحق يدعى بالحكمة، فيبين له الحق بدليله: علما وعملا واعتقادا، فيقبله ويعمل به. وهذا هو القسم الأول من المسلمين، والقابل للحق الذي عنده شهوات تصده عن اتباع الحق يدعى بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن.

والظالم الذي عاند وجحد ولم يقبل الحق بل وقف في طريقه، فهذا يدعى بالقوة إن أمكن .فهذه مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر.

أما التوصيات والمقترحات:

١- أوصى الدكتور محمد عمارة في برنامج له على الهواء بأن يكتب بحث يتناول تحليل كتب الرسول- صلى الله عليه وسلم – الى ملوك النصارى فكان هذا البحث استجابة لوصيته،وأنا اوصي الباحثين بعمل بحث يتناول أسباب اختيار الرسول- صلى الله عليه وسلم – لمبعوثيه من الصحابة المكلفين بحمل تلك الرسائل الى الملوك من بين كل الصحابة رضوان الله عليهم .

٢- التزام الدعوة إلى الله تعالى في جميع الأمور، قولا وفعلا، وتفكيرا، ومنهجا، وسلوكا، صدقا وإخلاصا ورغبة فيما عند الله -عز وجل- ، وهذا من أعظم العطايا وأجل الهبات، ولا يكون ذلك إلا بالتزام أحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة، والعناية بهما حفظا وفهما وعملا، وتعليما للناس ودعوة، فهما المنبعان الصافيان، من أخذ بهما سعد وفاز في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنهما وعن هديهما خاب وخسر وضل مسعاه، وتشتت شمله.

٣- أقترح عقد دورات تدريبية علمية وميدانية للعاملين في مراكز الدعوة ومراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لرفع مستواهم العلمي وتدريسهم كيفية دعوة الناس بالحكمة. وكل ذلك من خلال عرض رسائل الرسول للملوك وتحليلها والوقوف على دروسها الدعوية الحكيمة.

وأسأل الله -عز وجل- بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلني وإياهم وجميع المسلمين من القائلين بالحق وبه يعملون، وأن يحسن لنا جميعا النية والقصد والعاقبة، إنه حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

Abstract

Prophet Muhammad’s Approach in the letters that he sent to the kings and Princes

"An Analytical Study"

This research studies the approach that Prophet Mohammad (Peace be upon him) followed in writing letters to the kings and princes of his time. The researcher divided the thesis into: an introduction, the preliminary chapter, three chapters, and the conclusion.

In the introduction, the researcher dealt with the importance of spreading Islam (Al- Da’wa) and the fact that this can only be achieved through clear and founded insight.

Therefore the researcher studied the methods of spreading Islam by analyzing the letters that Prophet Mohammad (PBUH) wrote to the kings of his time. The analysis revealed the wisdom in Prophet Mohd’s letters, which should be taken as an example for Muslims to follow in their attempt to spread Islam.

In addition, the introduction shed light on the theories of the present study. That includes the problem of the study; reasons for choosing the subject of the study; the importance of the subject; the aims; the methodology, along with the previous research that was carried out on subject of the current study.

In the preliminary chapter, the researcher defined the approach and spreading Islam (Al-Da'wa).

She also differentiated between approach (Manhaj) and (الشرعة) since the two are similar and were mentioned together in Qur'an The researcher also explained the use of the two terms in the context of Qur'an and Sunna .

In the first chapter, the researcher dealt with Prophet Muh'd's (PBUH) letters to the Roman kings and princes. In doing that, she focused on the fact that the prophet was extremely careful and used all means of communication to spread Islam properly.

In his letters, the prophet (PBUH) for looked the invasion that the Roman and Persians were doing at that time against Arab territories. The letters that he (PBUH) wrote. Were brilliantly written. They invited people to become Muslims without threatening them in any way. Prophet muh'd (PBUH) addressed kings and princes by their proper titles, reassuring them that entering Islam would not effect their status and power. If the king is from another religion, prophet Moh'd (PBUH) would point out the fact that all religions spring from the same foundation, which is believing in Allah . On the other hand, if the king was a non-believer, prophet muh'd (PBUH) would explain the fact that all creatures of God should worship only God and nothing else.

The messengers were chosen to know the language of the recipient of the letters. Prophet moha'd (PBUH) sent those letters starting Al-hudaibeya treaty and he (PBUH) passed away.

All the letters that were sent resulted in spreading Islam, thus making the Islam state one with high poison and great strength.

In the second chapter, the researcher displayed the letters that prophet Muh'd (PBUH) sent kings and princes of the Persians state and analysed each one, pointing out the reaction that they received.

In the third chapter, the researcher explained the principles and rules of Al-Da'wa (spreading Islam) through analysing the letters that prophet Moh'd (PBUH) sent to the kings and princess of his time. She pointed out that the letters were written with wisdom, and that they contained only righteous arguments. That was followed by a general description of the letters were all introduced with the name of Allah the merciful, and the name of Prophet Mohammad (PBUH). The kings would also begin their letters with the blessed name of Prophet Mohammed, honouring him and showing him respect.

The letters also showed the Prophets high linguistic proficiency, by being straight to the point with no unnecessary repetitions or redundancy. Each letter was different from the other, taking into consideration the different religions beliefs of those kings. The kings of the present should all learn from the prophet s holy speech and the language of Qur'an in order to accomplish the great aims of Al-Da'wa.

This is an abstract of the current study, in which I tried to give a general idea of the subject. I ended the study by conclusion of the results that I arrived at .

I pray that Allah would grant us success in all our words and deeds and to avoid. Us any mischief.

فهرس الآيات القرآنية

٢٤- [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ..] سورة الأنفال، الآية ١٢٣/١٧

٢٥- (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ...) سورة التوبة، الآية ١٨١/١٢٢

٢٦- " وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ .) سورة يونس، الآية ٢٤/٢٥

٢٧- (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا...) سورة هود، الآية ١٧١/٤١

٢٨- ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.. ﴾ سورة هود، الآية ١٩١/٨٦

٢٩- { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ) سورة يوسف، الآية ٢٢/١٠٨

٣٠- (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ....) سورة يوسف، الآية ١٨١/١٠٨

٣١- (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) سورة إبراهيم، الآية ١٧٦/٤

٣٢- (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ...) سورة النحل، الآية ٢/١٢٥

٣٣- (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ....) سورة النحل، الآية ٢٢/١٢٥

٣٤- (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) سورة النحل، الآية ٩٤/٢٥

٣٥- ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ.......) سورة النحل، الآية ١٨١/١٢٥

٣٦- ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ... ...) سورة النحل، الآية ١٨١/١٢٥

٣٧- (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) سورة الاسراء، الآية ١٧١/١١٠

٣٨- { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ ....} سورة مريم، الآية ٣٠، ٥٠/٣١

٣٩- { ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ......} سورة مريم، الآية ٣٤، ٥٠/٣٥

٤٠- { وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) سورة مريم، الآية ٥٠/٣٦

٤١- (مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ....) سورة مريم، الآية ٦٣/٢٧

٤٢- (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ .....) سورة مريم، الآية ٦٣/٢٠

٤٣- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا.................. ﴾ سورة طه، الآية ١٩١/٤٤

٤٤- { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ..} سورة الفرقان، الآية ٢٩/١

٤٥- (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ....) سورة النمل، الآية ١٦٦/٨٠

٤٦- (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سورة النمل، الآية ١٧١/٢٠

٤٧- (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ........) سورة القصص، الآية ٩٣/٥٥

٤٨- (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ....) سورةالقصص ، الآية ٥٤-٩٣/٥٥

٤٩- { لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ..... } سورة القصص، الآية ٧٠ /١٩٥

٥٠- (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) سورة العنكبوت، الآية ٩٤/١٣

٥١- ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) سورة العنكبوت، الآية ١٩٢/٤٦

٥٢- { وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ....) سورة الأحزاب، الآية ٢٣/٤٦

٥٣- { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ } سورة الأحزاب، الآية ٢٩/٢١

٥٤- (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا....) سورة الأحزاب، الآية ٩٤/٦٧

٥٥- { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ } سورة سبأ، الآية ٢٩/٢٨

٥٦- { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ........) سورة سبأ، الآية ١ /١٩٥

٥٧- (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ....) سورة فاطر، الآية ١٦٦/٢٢

٥٨- {ولهم مايدعون ....} سورة يس، الآية ٢٣/٥٧

٥٩- (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا .....) سورة فصلت، الآية ٣/٣٣

٦٠- (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ....) سورة فصلت، الآية ١٨٠/٣٣

٦١- ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ....} سورة فصلت، الآية ١٩٢/٣٣

٦٢- (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ....) سورة الشورى، الآية ١٧/١٣

٦٣- (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ......) سورة الزخرف، الآية ١٧/٣٢

٦٤- (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ ....) سورة الجاثية، الآية ١٧/١٨

٦٥- (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ ....) سورة الجاثية، الآية ١٧/١٨

٦٦- (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ ......) سورة الجاثية، الآية ١٨/١٨

٦٧- (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ ....) سورة الجاثية، الآية ١٨/١٨

٦٨- (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ..) سورة الأحقاف، الآية ٣١ /٢٣

٦٩- (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هو ....) سورة النجم، الآية ٣-٩/٤

٧٠- (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ..) سورة الذاريات، الآية ١٨٠/٥٦

٧١- (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ ..) سورة الممتحنة ، الآية ٣٦/٧

٧٢- { ومبشراً برسول يأتي من بعدي} سورة الصف، الآية ٥٨/٦

٧٣- (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى.......) سورة المعارج، الآية ٢٤/١٧

٧٤- (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ.............) سورة العلق ، الآية ١٧١/١

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث | الصفحة

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- ابن الجوزي، الوفا بتعريف فضائل المصطفى، دار المعرفة،بيروت.

٣- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٠٧ - ١٩٨٦

٤- ابن القيم. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. دار ابن زيدون، بيروت، لبنان. الطبعةالأولى: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥- ابن الملقن .سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى : ٨٠٤هـ)،البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال،دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

٦- ابن هشام .عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣،تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل،سنة النشر ١٤١١،مكان النشر بيروت.

٧- ابن تيمية. تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دارالكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨- ابن حجر. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. (المتوفى : ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٢.

٩- ابن حجر. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)،فتح الباري، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية).

١٠- ابن عاشور .محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحريروالتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

١١- ابن فارس. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة.تحقيق عبد السلام محمد هارون .دار الفكر. الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٢- ابن كثير ،الامام أبو الفداء اسماعيل بن كثير ٧٠١ – ٧٤٧ ه ، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد ،دار المعرفة، بيروت – لبنان.

١٣- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ٧٠١ – ٧٤٧ ه ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف –بيروت .

١٤- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . لسان العرب .دار صادر – بيروت .الطبعة الأولى .

١٥- ابن تيمية. تقي الدين أبو العَباس بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(٦٦١-٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى ، مطابع الرياض .

١٦- الأنصاري ،أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تحقيق: محمد عظيم الدين، دار النشر / عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٥هـ.

١٧- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: دارالجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

١٨- أبو البقاء . أيوب بن موسى الكفوي. الكليات. مؤسسة الرسالة.الطبعة الثانية .

١٩- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٠- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة ،المحقــق : عبد السلام محمد هارون الناشر: اتحادالكتاب العرب الطبعة: ١٤٢٣ هـــ/ ٢٠٠٢ م.

٢١- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجــر العســقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)- فتح الباري، تعليق ابن باز، المحقق: عبد العزيز بن عبــد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، الناشر: دار الفكر.

٢٢- ابن هشام ،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية لابن هشام،سنة الولادة / سنة الوفــاة ٢١٣، تحقيــق طــه عبــد الــرؤوف سعد،الناشر دار الجيل، بيروت ،سنة النشر ١٤١١ .

٢٣- ابن العثيمين .مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن عثيمين. مكة المكرمة.

٢٤- ابن الأثير .عز الدين ابن الأثير محمد الجــزري ت٥٥٥-٦٣٠، دار الفكــر .بيروت، لبنان .

٢٥- ابن الجوزي ،عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، زاد المسير في علــم التفسير، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤

٢٦- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي – بيــروت ،الطبعــة الثانيــة ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣ ،تحقيق : محمد حامد الفقي.

٢٧- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني .مجموع الفتاوى،المحقق : أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٢٨- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]، معــالم التنزيــل، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمــان جمعــة ضــميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـــ – ١٩٩٧ م

٢٩- ابو زهرة ، محمد ابو زهرة. خاتم النبيين . المؤتمر العالمي الثالــث للســيرة والسنة النبوية، الدوحة محرم١٤٠٠ .

٣٠- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. صحيح مســلم. دار الجيل، بيروت + دار الأفاق الجديدة ــ بيروت.

٣١- أبو حيان الأندلسى . محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّــان (٦٥٤ - ٧٤٥هــ)، تفسير البحر المحيط . دار الفكر.

٣٢- أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري .المصباح المضـــيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمـــي. تحقيــق : محمد عظيم الدين، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٥هــ.

٣٣- أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي. الاكتفاء بمــا تضــمنه مــن مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء. تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الــدين علـــي. عالم الكتب - بيروت - ١٤١٧هــ. الطبعة: الأولى.

٣٤- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هــــ)، تفسير القرآن العظيم، المحقــق : محمــود حســن، دار الفكــر، الطبعــة الجديــدة ١٤١٤هــ/١٩٩٤م

٣٥- البخاري ،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بــن المغيــرة الجعفـــي البخاري .الجامع المسند الصحيح المختصرمن أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة .الطبعة : الأولى ١٤٢٢هــ.

٣٦- البيهقي ،أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمــان، تحقيــق: محمــد السعيد بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠.

٣٧- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكــر (٣٨٤ ــ ٤٥٨ هـــ) دلائل النبوة. دار الكتب العلمية ــ ودار الريان للتراث.الطبعة الأولى١٤٠٨ هــ /١٩٨٨ م.

٣٨- البيهقي ،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سنن البيهقـــي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ،مكتبة دار البــاز - مكــة المكرمــة، ١٤١٤ - ١٩٩٤،.

٣٩- الترمذي ،محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي الســلمي، ســنن الترمــذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٠- الحسن بن عمر بن حبيب.المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم – تحقيق: د مصطفى محمد حسين الذهبي ،دار الحديث – القاهرة – مصر – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م الطبعة: الأولى.

٤١- الدكتور زياد محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية،دار عمار. الطبعة الأولى.

٤٢- الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.الرسول المبلغ. دار البشير.عمان الطبعة الاولى١٩٩٧.

٤٣- الدكتور صلاح الخالدي، الرسول المبلغ، دار القلم /دمشق، الطبعة الأولى.

٤٤- الذهبي: محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٣٩٦.١٩٧٦ م .

٤٥- الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر ،تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م،الطبعة: الأولى.

٤٦- الزهري ،محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، الطبقات الكبرى- المحقق: إحسان عباس .دار صادر – بيروت. الطبعةالأولى ١٩٦٨ م .

٤٨- الزيلعي ،عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي. نصب الراية لأحاديث الهداية. تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث – مصر، ١٣٥٧ .

٤٩- السيوطي ،أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي.الخصائص الكبرى. دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٥٠- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٥١- الشامي ،محمد بن يوسف الصالحي الشامي. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد .تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .

٥٢- الشوكاني ، محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.دط

٥٣- العسكري ،أبو هلال العسكري . معجم الفروق اللغوية. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم. الطبعة: الأولى .

٥٤- العيسوي. عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية ، ١٩٩٦م / ١٩٩٧م .

٥٥- الغزالي ،محمد الغزالي. فقه السيرة .دار نهضة مصر. الطبعة: الأولى .

٥٦- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. المعجم الكبير ،تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي .مكتبة العلوم والحكم – الموصل،الطبعةالثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.

٥٧- الطبري ،محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تاريخ الأمم والرسل والملوك، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

٥٨- الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ] جامع البيان في تأويل القرآن،المحقق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٥٩- الفراهيدي ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

٦٠- القرطبي ،ابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لاحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان ١٤٠٥ ه – ١٩٨٥ م

٦١- الكتاني ،عز الدين بن جماعة الكتاني، المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق سامي مكي العاني، دار البشير _عمان ، سنة النشر ١٩٩٣م.

٦٢- الكوفي ،أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

٦٣- الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعـروف بالراغـب الأصـفهانى. المفردات في غريب القرآن. مكتبة نزار مصطفى الباز.دط .

٦٤- الألوسي ،محمود الألوسي أبو الفضل ، وروح المعاني فـي تفسـير القـرآن العظيم والسبع المثاني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٦٥- المباركفوري . صفي الرحمن المباركفوري .الرحيق المختوم. بنارس ـ الهند

٦٦- الميانجي ،علي الأحمدي الميانجي، مكاتيب الرسول، المجلد الثاني / التنضـيد والإخراج: مركزتحقيقات الحج .المطبعة: دار الحديث الناشر: دار الحديث .الطبعة: الأولى – ١٩٩٨ م .

٦٧- المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير،دراسـة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.

٦٨- أحمد بن حنبل. أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل.تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون.مؤسسة الرسالة.ط الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

٦٩- أحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلى الموصلي التميمي ،مسـند أبـي يعلـى، تحقيق: حسين سليم أسد الناشر: دار المأمون للتراث –دمشـق، الطبعـة الأولـى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

٧٠- أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي. عمدة الحفـاظ فـي تفسير أشرف الألفاظ. تحقيق محمد باسل عيون السود.دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان. الطبعة الأولى .

٧١- أحمد غلوش.الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها.دار الكتاب المصري.القاهرة ،الطبعة الأولى ،١٩٨٧م.

٧٢- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي. سنن البيهقي الكبـرى. تحقيق : محمد عبد القادر عطا ،مكتبـة دار البـاز – مكـة المكرمـة ، ١٤١٤ – ١٩٩٤.

٧٣- حسن مسعود الطوير. الدعوة الى الله تعالى على ضوء الكتاب والسـنة. دار قتيبة بيروت دمشق.الطبعة الأولى .

٧٤- سعيد إسماعيل علي ، مشكلة المنهج في دراسة التربية الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠

٧٥- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق، بيروت ، القاهرة ط سنة ١٤٠٠ه.

٧٦- عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"،مقدمة في المنهج، جامعة القرويين، المغرب .٧٧- عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري. تأويل مختلف الحديث. تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل - بيروت، ١٣٩٣- ١٩٧٢

٧٨- عبد المنصف محمود عبد الفتاح.منهج الدعوة الإسلامية من القرآ ن الكريم والسنة النبوية . مجلة الأزهر. جمادى الأولى ١٤١٩ه .

٧٩-عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، الزهد - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٠- عبد اللطيف جاسم كانو. الرسائل النبوية الأولى ، إصدارات بيت القرآن الكريم - مايو ١٩٩٧.المنامة - البحرين. الطبعة الأولى.

٨١- عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ،مختصر تفسير البغوي، الطبعة : الأولى، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض ١٤١٦هـ

٨٢-عز الدين بن جماعة الكتاني، سنة الولادة ٦٩٤هـ / سنة الوفاة ٧٦٧هـ، المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق سامي مكي العاني، دار البشير، مكان النشر عمان.سنة النشر ١٩٩٣م.

٨٣- علوي بن عبدالقادر السَّقَّاف. تخريج أحاديث وآثاركتاب "في ظلال القرآن" لسيد قطب - رحمه الله-الطبعة الثالثة.

٨٤- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤ .

٨٥- محمد بن سيدي بن الحبيب، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، دار الوفاء، جدة، (ط ١ / ١٤٠٦ هـ).

٨٦- مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض ،. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مجموعة من المحققين/ دار الهداية .

٨٧- محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس ٦٧١هـ - ٧٣٤، السيرة النبوية المسمى عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير ،مؤسسة عز الدين ، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨٨- محمد حميد الله. مجموعة الوثائق الساسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. دار النفائس، بيروت –لبنان، الطبعة السابعة.

٨٩- محمد مسعد ياقوت. نبي الرحمة الرسالة والإنسان. القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي . الطبعة الأولى ٢٠٠٧ .

٩٠- محمد الدروبي، رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان دراسة تحليلية

٩١- محمد أويس الندوى ، التفسير القيم لابن القيم، جمع وترتيب / محمد أويس الندوى،هذا التفسير قام بجمعه العلامة المحقق الشيخ محمد أويس الندوي خريج ندوة العلماء في الهند

٩٢- محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٣- محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٥

٩٤- محمد رشيد رضا ، محمد رسول الله، دار الكتب العلمية ، بيروت .لبنان.

٩٥- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩٦- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري . الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ــ بيروت.

٩٧- موقع قصة الإسلام.

٩٨- موقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح.

٩٩- www.lahaonline.com